وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم التاريخ

مطبوعة بيداغوجية في مقياس :

صدر الاسلام و الدولة الاموية

لفائدة طلبة السنة الثانية تاريخ عام

إعداد الدكتور : بن خيرة أحمد

الموسم الجامعي 1444-1445هـ/2023-2024 م

مقدمة:

تندرج أحداث هذه المطبوعة ضمن مقياس صدر الاسلام و الدولة الاموية الممتدة زمنيا من فترة ما قبل الاسلام الى ظهور الإسلام وعصر بني أمية، وتندرج ضمن صفحاتها عدة محاضرات كمقررة جامعي على طلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ عام .

وتنقسم مضامين المطبوعة ضمن عدة محاور و نقاط استهلنا بمحور مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام حيث تطرقنا إلى أهميتها وكيفية التعامل معها، وأشرنا إلى ما كتبه القدامى الأجانب من الإغريق والرومان، وكذلك إلى بعض ماكتبه العرب أنفسهم عن تاريخهم قبل الإسلام...و في عنصر ثاني إلى(تاريخ العرب قبل الإسلام)حيث ركزنا الحديث فيها على البيئة العربية من منطلق الماهية والتعريف في بطاقة فنية تمحورت حول الحدود الجغرافية الاقليمية، وأجناس السكان وأعراقهم ومن ثم التجاوز إلى ذكر أوضاعهم الاجتماعية والثقافية...وهذا كله قبل الإسلام، أما في ما يخص مرحلة ظهور الإسلام فقد تناولنا السيرة النبوية والدعوة الإسلامية ،و خصصنا جزء مهما كونها من دواعي تأسيس الحضارة ولبنة لبناء المجتمع الاسلامي، أما الدعوة الاسلامية كانت بمثابة الجانب النظري في عملية البناء في حين ان السيرة النبوية فهي الشق التطبيقي

ثم تناولنا بداية التمكين للدين الجديد والأسس التي قامت عليها الدولة في المدينة، ولما كان هذا التأهيل في صفوف أولئك الصحابة الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، وما متعهم الله بهم – بعد صبرهم – من مُكنة ووضوح وجلاء لمظان التشابه والالتباس، جاءهم الإذن الإلهي بالقتال و الدفاع على أنفسهم وقد ذكرنا هذه التمظهرات والتجليات للقتال والمعارك في المحاضرة خاصة (السرايا و الغزوات).

ولأن النبي ﷺ مثله مثل سائر الأنبياء قد كتب الله عليهم الموت والفناء، كان لابد له من خلفاء يتبعون السيرة ويواصلون المسيرة، ويحفظون العهد ويلعقون الشهد، فكانوا بحق خير خلف لخير سلف، دانت لهم الأمم بالجزى والعطايا، وكل ذلك ضمناه في المحاضرة السادسة (الدولة الاسلامية في العهد الراشدي) ولكي نطرح الإطلاق والعموم جانبا في سرد أحداث هذه المرحلة المهمة في تاريخ أمتنا، كنا قد فصلنا القول فيها– انطلاقا من تقسيمها إلى عدة محطات بدأناها بالمحاضرة السابعة وهي (عهد عمر بن الخطاب 13644 م) أين تطرقنا إلى سياسته ﷺ سواء الداخلية في أوساط الرعية والجبهة – 24 هـ/ 634 الاجتماعية وما كان فيها من عدل وتسيير و حسن تدبير، أو على مستوى العلاقات الخارجية التي غلب عليها الحكمة والصرامة والحزم جراء الفتوحات الإسلامية، ثم أعقبنا ذلك بالمحاضرة الثامنة التي تحكي حال الدولة 655 م (وما كان منه ﷺ– في سياسته – – 35 هـ/ 644 – الإسلامية في) عهد عثمان بن عفان 2من سماحة ولين ورفق بالرعية، جعل البعض من سفهاء الأحلام و حُدثاء الأسنان يتحاملون عليه بسببها، وينزلونها منازل الضعف والوهن التي أصابت الدولة على عهده، وكنا قد ركزنا على هذه الجوانب بالذات من منطلقات عقدية وخلفيات شرعية إذ لا مجال لإعمال الذهن والعقل فيها، وقد سجلنا الصراع القائم بين النقاد والدارسين وكذلك ما جادت به قرائح أهل الصنعة من المؤرخين خاصة في ما وقع من بوادر الصدامات– 41 هـ/ 655 – والتشنجات للدولة الإسلامية وذلك في المحاضرة أخرى في (عهد علي بن أبي طالب 661/35 م)، وقد استمر هذا الصراع لحكمة كونية أرادها الله سبحانه وتعالى استخلصنا منها العبر والفوائد، ثم

انتقلنا المحاضرة العاشرة وهي (قيام الدولة الأموية) وسردنا الظروف والملابسات لقيامها وتكلمنا على النسب الأموي وما لهذه العائلة من عراقة وامتداد وحضور سواء قبل الإسلام أو بعده، وقد فصلنا القول في تلك الخصائص والمميزات التي وسمت عهد بني أمية انطلاقا من الكلام على الخلفاء وسيرهم وسياساتهم وتلك الأوليات التي شهدها عهدهم خاصة في نظم الحكم وتسيير الإدارة، كسك العملات وإنشاء الدواوين وتعريب الأقاليم ...كما تتبعنا ظاهرة تشكل الطوائف والفرق والأحزاب وما نشب في محيطها من فرقة وتشرذم وعناد، كان من تداعياته سقوط الدولة وضمور البلاد ....ومما ينبغي التركيز عليه أن الدولة الأموية بالرغم ما كان عليها من شذب وانتقاد، إلا أنها تميزت بسجايا طيبة ومناقب حسنة، أفردتها المجد والثناء، وخلعت عليها صنوف المدح والإطراء في صورة تلك الفتوحات التي توسعت حتى بلغت عنان السماء، وهذا الذي فصلنا فيه القول من خلال سلسلة المحاضرات الخاصة بالتاريخ الاموي (الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية) .

المحاضرة الاولى: مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام.

من أهم المصادر المدونة لتاريخ العرب قبل الاسلام هي :

أولا– القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث :-

القرآن الكريم من أهم المصادر المدونة لتاريخ العرب قبل الإسلام وأقدمها، كما أنه أوثقها علي الإطلاق، وهو كتاب صدق لا سبيل إلي الشك في صحة نصه، قال الله سبحانه وتعالي : " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "، والقرآن الكريم يصور لنا جميع المظاهر المختلفة لحياة العرب في شبه الجزيرة العربية، فهو يتناول الناحية الفكرية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية، فهو أصدق مرآة للحياة في العصر الجاهلي، والآيات القرآنية قد أجملت الأخبار التي تتعلق بأقدم الأقوام العربية التي سكنت شبه الجزيرة العربية وذلك لأن القرآن ليس كتابا تاريخيا صرفا يفصل القول في جزيئات الأحداث، وإنما أجمل في أياته الجوهر الأساسي فيما يتعلق بتلك الأقوام[1] .

وقد جاء ذكر أقوام عاد كثيرا في القرآن الكرم فهم ذكروا باسم المنطقة التي سكنوا فيها، كما يعطينا فكرة عن ديانة تلك القوام، إذ كانت ديانتها وثنية، ووصف مدينتهم وما كان فيها من إسراف في البناء، وأعطانا فكرة عن ترفهم ومصانعهم، وكذلك عن ثروتهم وخصب أراضيهم ثم كيف أهلكهم الله بعد أن استكبروا في الأرض واستعلوا وحسبوا انفسهم اشد قوة وبطشا، إذ سخر الله عليهم ريحا صرصرا عاتية فهلكوا [2].

الوان الأواني عند صناعة الفخار في العصر القديم _ تعرف علي الوان الاواني

كما ذكر القرآن اقوام ثمود ووصف لنا منازلهم التي كانت منحوتة في الجبال، ثم وصف كيف هلكوا بعد ذلك عندما كفروا بنبيهم صالح وأبوا إل أن يبقوا علي الوثنية، ويؤخذ من القرآن الكريم، عاد وثمود كانوا معروفين لدي العرب الجاهلية القريبة، كما كانوا يعرفون واضع آثارهم ومساكنهم القديمة، وعلي هذا المنوال تحدث القرآن الكريم عن مدين وسبأ وحمير وأصحاب الأخدود وغيرهم[3] .

ثانيا– النقوش والكتابات والآثار

تعتبر النقوش والكتابات من أهم وسائل التسجيل في الأزمنة الغابرة، إذ لا يكاد يوجد مظهر من مظاهر الديانة أو الحياة العامة أو الخاصة إلا وللنقوش فضل في كشف ما غمض من أسراره ،وهي تنقسم غلي ثلاثة أقسام : النقوش والكتابات العربية الجنوبية، والنقوش والكتابات في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية, ونقوش وكتابات غير عربية .

أ– النقوش والكتابات العربية الجنوبية[4]:-

مما يؤسف له أن النقوش والكتابات التي وصلت إلينا عن جنوب الجززيرة لا تتضمن نصوصا تستحق الذكر، لأن معظمها كتابات تذكارية علي العمائر لتسجيل أسماء الذين شيدوها أو كتابات تاريخية لتدوين أخبار الانتصارات التي نالها الملوك في المعارك المختلفة أو كتابات علي شواهد قبور أو قوانين وكتابات دستورية [5].

---

[1] نبيلة حسن مُحَمَّد، في المكتبة التاريخية ومنهج البحث، القاهرة، دار المعرفة الجامعية 2005 م، ص 34.

[2] محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار النهضة العربية، بيروت، ت ت، ص164؛محمد موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، دار الامة، جدة، ط1، 2016، ص36.

[3] محمد بيومي مهران، نفسه، ص166.

[4] حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1993 ،ص 4

[5] أحمد أمين سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتب كريدية اخوان ، بيروت د ت، ص 30

وتختلف الكتابات العربية الجنوبية طولا أو قصرا تبعا للمناسبات وطبيعة الموضوع لكنها تشبه في المضمون والأسلوب بها في الغالب وذلك لأنها كتبت في أغراض شخصية مماثلة، كما أن الكتابات المؤرخة قليلة، وذلك لأن العرب الجنوبيين لم يستخدموا تقويما ثابتا، وإنما كان لهم طرق كثيرة استخدموها في تأريخ الأحداث، فأرخوا بحكم الملوك أو بايام الرؤساء . وقد اتخذ الحميريون منذ سنة (115 ق.م) تقويما ثابتا يؤرخون به . وكان الفضل في الحصول علي هذه النقوش والكتابات الجنوبية للرواد والمستكشفين الأوروبيين والعرب بعد ذلك.[1]

ب- النقوش والكتابات في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية :-

تعد النقوش والكتابات المكتوبة باللهجات الشمالية المختلفة قليلة، وما وصل إلينا منها مكتوبا بالثمودية أو اللحيانية أو الصفوية فهي قصيرة وفي أمور شخصية، كما أن المؤرخة منها معدومة، وهي لا تعطي فكرة عن تأريخ الكتابات في الأقسام الشمالية والوسطي من بلاد العرب، ولقد كان الفضل في الكشف عن هذه النقوش والكتابات لرحلات العلماء والمستشرقيين الأوروبيين .[2]

ج- نقوش وكتابات غير عربية :

ونقصد هنا ما جاء من إشارات قليلة عن العرب في الكتابات المسمارية ولاسيما في حوليات الأشوريين منذ القرن التاسع ق.م .

د- السكة (النقود) :

وقد ضرب السبئيون سكة خاصة بهم من الذهب والفضة والنحاس، وقيل أنهم اقتبسوا ذلك من اليونانيين، كما اقتبسوا النماذج الفنية من الرومان، وقد ضرب علي احد وجوهها صور الملوك وعلي الوجه الآخر أشكال مختلفة تمثل بومة أو رؤوس ثيران أو غير ذلك . وقد صورت العملة هيئة العرب القدامي ولهم أول الأمر شعر طويل، ثم قصوا ذلك الشعر، وأخيرا جعلوه قصيرا اشبه بشعر الرومان . وفي الواقع أن صور الملوك التي تحملها هذه العملة الجنوبية، والذوق الفني الذي يميز تصميمها، تدل علي أن العملة العربية الجنوبية لها تطور خاص بها، رغم ضيق حدوده، وبصورة عامة تمتاز العملة القديمة برسومها المتقنة الثقيلة .[3]

أما عرب الشمال فكان الأنباط أول من سك النقود، كما كان للدولة العربية في تدمر عملة خاصة بها، أما قبيل ظهور الإسلام فلم تكن لهم عملة خاصة بهم، إذ كانوا يتعاملون بنقود كسري وقيصر وهي الدراهم الفضية والدنانير الذهبية .

ولاشك أن دراسة السكة العربية القديمة تفيدنا فائدة كبيرة في تعيين التاريخ الحقيقي لعدة حوادث سياسية، كما أنها مادة أساسية في إثبات التاريخ وإتمام نقصه، ويستطيع المرء عن طريق السكة استنتاج أمور كثيرة منها ما يخص العلاقات التجارية، أو طرق التجارة المهمة واتساع نفوذ المملكة أنذاك، وتفيدنا السكة كذلك في الوصول إلي معرفة التطور الفني القديم، وكذلك الاتصال الحضاري، فهي في الواقع مصدر مهم لدراسة تاريخ العرب قبل الاسلام .[4]

ثالثا : الأدب الجاهلي:

وهو من المصادر المهمة في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، لأنه يعكس لنا أحوال العرب أنذاك، ويقدم لنا صورة حية عما ساد ذلك العصر من طبيعة اجتماعية وسياسية، وما كان يشيع فيه من تقاليد وعادات ومعتقدات وعلوم

[1] نور الهدى لوشن، انتشار الاسلام من خلال النقوش الكتابية، جريدة الشرق الاوسط، ع9553، يناير 2005، ص11.
[2] ألفريد لويس دي بريمار، تأسيس الاسلام بين الكتابة و التاريخ، دار الساقي، دت، ص26.
[3] نور الهدى لوشن، المرجع السابق، ص11.
[4] نفسه، ص11.

ومعارف فهو كما نعتوه (ديوان العرب)، وبالرغم مما أثير من شكوك عن هذا الشعر الجاهلي أو جزء منه، إنكار بعض النقاد المحدثين جميع الشعر الجاهلي أو جزء منه وهذا في الواقع غلو في النقد، فإننا نستطيع عن طريقه معرفة الحياة الجاهلية بما فيها من التفاخر بالأنساب وطبيعة المعتقدات الدينية والفكرية والصراع بين الأثرياء المترفين والطبقات الاجتماعية الفقيرة من قيان وعبيد وصعاليك إلي آخر ذلك من المظاهر الاجتماعية[1] .

رابعا: المؤرخون المسلمون :

كثير من الروايات والأخبار لتي وصلتنا عن الفترة التي سبقت الإسلام روايات شفوية وعلي شكل أساطير تسودها المبالغة، وقد نسجها خيال الرواة في العصر الإسلامي، لهذا لا يمكن الاطمئنان اليها، وينبغي الأخذ بها بحيطة وحذر، لأن هذه الروايات المكتوبة في المراجع الإسلامية لم تؤخذ من مصادر مدونة وغنما أخذت من أفواه الرجال، وهذا ما يجعلنا حذرين أمام هذه الروايات، وقد تنبه غلي ذلك من قبل ابن خلدون .

أما الأخبار التي جاءت عن شمال الجزيرة فهي أقرب الي الواقع التاريخي، إذ كانت للمناذرة في الحيرة كتب تحتوي علي أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وأخبارهم، والظاهر أنها كانت تحتفظ بالكنائس والأديرة، يضاف إلي ذلك أنه كان لأهل الحيرة معلومات عن الروايات التاريخية الفارسية.[2]

ونلاحظ أنه كان للعرب الشماليين روايات شهرية تروي فيها قصص عن آلهتهم وروايات عن شؤونهم الاجتماعية وحروبهم أو بتعبير أدق الأيام والأنساب اللذين يعبران عن تنظيمهم الاجتماعي، والآراء الاجتماعية كفكرة المروءة والفضائل عند البدو، وفكرة النسب أو شرف الأصل وفكرة الحسب أو القيام بالمآثر, وهذه الأفكار كانت تسود المجتمعات القبلية وكان لها أهمية ومنزلة كبيرة في القبيلة، فقد كان علي كل فرد أن يعرف الكثير عن آبائه وأسلافه وأعمالهم ومآثرهم، وكانت أخبار الأيام تعطي للبيئة القبلية أهمية وعناية خاصة، وكانت هذه الروايات تنقل شفويا ويظهر تحيز الراوي فيها، رغم أنها تعكس لنا جانبا من الحقيقة .

ومن أوائل من تناقل أخبار عرب ما قبل الإسلام : عبيد بن شربه الجرهمي، ووهب بن منبه، وأبو عبيدة، وأبو المنذر هشام بن مُحَمَّد بن السائب الكلبي، وأبو مُحَمَّد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني وآخرون .

فعبيد بن شربه الجرهمي من الإخباريين الأوائل، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، وهو من صنعاء أو من الرقة في العر اق، كان معروفا عند الناس بالقصص والأخبار و وهناك شبه إجماع عند المؤرخين العرب أن معاوية استحضره من صنعاء، فصار يحدثه بأخبار الماضيين، وعاش إلي أيا عبدالملك بن مروان، وله من الكتب كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضيين، وفي الواقع أن جميع الأخبار التي ترد في كتاباته لها طابع قصصي متأثر بالإسرائيليات، كما تدل علي السذاجة وضعف ملكة النقد وبساطة القصص والقصة .[3]

أما وهب بن منبه فهو أبو عبدالله اليماني الإخباري من أهل ذمار بجوار صنعاء، من أصل فارسي ومن إحدي الأسرات الفارسية التي استقرت في جنوب بلاد العرب في العصور الجاهلية وهم الذين عرفوا بالأبناء، ويقال أنه من أصل

---

[1] يعتبر السيد عبد العزيز سالم الشعر ديوانا للعرب ومصدرا هاما للعصر الجاهلي رغم الشكوك والادعاءات التي تذهب إلى أنه تعرض للتغيير والتزييف، ويقول أن من فعلوا ذلك حرصوا على تقليده ليلا يكتشف أمرهم، للتوسع ينظر، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010 م، ص 235

[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد; الطبعة: الثانية، 1993، ج 01 ، ص61

[3] مصطفى الشكعة، كتاب مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، اوت 2004،ص41

يهودي، واليه ترجع أكثر الإسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية، وقد زعم انه يعرف أحاديث أهل الكتاب وأنه قرأ 70 أو 72 أو 73 أو 92 من كتبهم المقدسة .

وغلب علي وهب اهتمامه بتاريخ وطنه اليمن وتاريخ أهل الكتاب، ونجد أن أخباره عن شهداء نجران وتعذيب ذو نواس وقصة فيميون تفق مع ما جاء في المصادر المسيحية، ويعتبر وهب من خيار التابعين ثقة صدوقا، غير أنه لم تكن لدية معرفة عن تاريخ عرب الحيرة والغساسنة ولهذا نجد أن اغالب علي أخباره في هذا المجال السذجة وقلة عمق المادة التاريخية [1]

يعتبر أبو عبيدة مصدرا أساسيا لكثير من المؤرخين فيما يتعلق بتاريخ العرب قبل الإسلام ولاسيما عب الشمال، وهو أبو عبيدة معمر بن المثني التيمي من تيم قريش، وهو مولي لبني عبيدالله بن معمر التيمي، كما أنه اكثر الرواة علما بأيام العرب وأنسابهم، وكان اهتمام أبو عبيدة بالأنساب وأخبار القبائل وتأليفه في المناقب والمثالب قد مهد الطريق لإتهامه بالشعوبية، وخاصة وأن الاعتقاد بأنه فارسي الأصل مازال يوقع الكثير من الباحثين والمؤرخين في استنتاجات تفتقر الي الدقة والصواب، وقد استطاع أحد المعاصرين إحصاء مؤلفاته فبلغ (134 كتابا) ورغم ذلك فهناك مؤلفات له لا نعرف عناوينها، وقد أشار ياقوت الحموي صراحة الي أنه صنف حوالي مائتي كتابا .[2]

وكان أبو المنذر هشام بن مُحَّد بن السائب الكلبي عالما بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها، وإليه يرجع الفضل في تدوين الأخبار التاريخية الخاصة بمدينة الحيرة وأسرتها المالكة مستندا إلي المصادر والوثائق المكتوبة الموجودة في كنائس وأديرة الحيرة و فهو بهذه الطريقة أقرب الرواة إلي منهج المؤرخين ورغم ذلك فقد اتهم بالوضع والتزوير واكذب في الرواية، وقد ذهب بروكلمان إلي أن ما اتهم عليه ابن الكلبي لم يكن كله صحيحا وأن البحوث والتحقيقات أثبتت صحة روايته في كثير من المواضع التي اتهم بها، كما دافع عته الاستاذ أحمد ذكي محقق كتاب الأصنام.

وقد أورد ابن النديم تصانيفه كلها والتي تبلغ 141 كتابا، وهي في أحاديث العرب قبل الإسلام، وفي المآثر والبيوتات والمنافرات الموءودات، وأخبار الأوائل وفيما قارب الإسلام في الجاهلية، وفي أخبار الإسلام والبلدان والشعر وأيام العرب، ومن أشهر كتبه كتاب " الأصنام "، وكتاب " نسب معد واليمن الكبير "، وقد مدحه ياقوت الحموي بقوله : " لله در ابن الكلبي ما تنازع العلماء في شئ من أمور العرب إلا وكان قوله أقوي حجة وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارض مكلوم ". وكان عمل ابن الكلبي شبيها بعض الشئ بعمل ابي عبيدة في اتجاهه ومناحيه [3].

وأبو مُحَّد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني وقد اشتهر بابن الحائك وبابن أبي الدمينة، سلك الهمداني مسلكا جديدا في التأليف إذ أنه لم يعتمد علي نقل الخبر والرواية، وإنما اعتمد علي نفسه بالمشاهدة والمعاينة، حيث زار الأماكن الأثرية ووصفها وصور لنا كثيرا من الأوابد والتماثيل والنميات التي رآها في اليمن، وقد ذكر المستشرق جروهمان أن وصفه للآثار كان وصفا دقيقا، كما أنه حاول قراءة المسند وترجمته إلي العربية، وأكثر من الرحلات بين أجزاء الجزيرة العربية ووصفها وصفا دقيقا، وقاس بين مسالك الجزيرة بالدرجات وتعمق في تعريف الجبال ومواقعها والأعراب ولهجاتهم

[1] الذهبي – شمس الدين مُحَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج4 ، ص545.

[2] مصطفى الشكعة ، المرجع السابق ، ص105.

[3] البغدادي، إسماعيل باشا؛ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبعة وكالة المعارف بإستانبول 1955م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص114.

ثم نشوان بن سعد الحميري صاحب القصيدة الحميرية، التاي تفيدنا فائدة لا بأس بها في تدوين تاريخ اليمن القديم كما صنف كتابا في اللغة علي وزن الفعالي وسماه (شمس العلوم ودواء كلام العرب في الكلوم) ويقول القفطي : " رأيت ست مجلدات من ثمانية "، وهذا المعجم يلقي بين الحين والأخر اضواء علي لغة تلك النصوص، وهناك من يعتقد أنه لم يكن يفهم نصوص المسند وليس له عل بتاريخها وبتواريخ أصحابها، وأنه لا يختلف علي الهمداني وسائر الإخبارين اليمانين الذين اهتوا بالخرافات والأساطير والمبالغات في تاريخ اليمن القديم .[1]

خامسا/ المصادر العبرانية :

والمقصود هنا التوراة والتلمود والشروح والتفاسير العبرانية، والتوراة تحتوي علي أخبار العب القدماء وإشارات إلي أخبار سام وأولاده وقصص أبراهيم وإسماعيل وسليمان وبلقيس فضلا عن ذكر بعض القبائل والأراء العرب في العصور القديمة، والتوراة مجموعة أسفار متفرقة لأنبياء عاشوا في أزمنة مختلفة خلال مدة تزيد عن ألف عام . ثم ضمت هذه السفار في كتاب واحد، وقد كتبوا أكثرها في فلسكين وما كتب في التوراة عن العرب يرجع تاريخه إلي ما بين القرن الثامن والقرن الثاني ق.م . وقد ذكر المؤرخ (فيليب حتي) أهم الأسفار التي ترد فيها هذه الأخبار في التوراة وهي سفر التكوين وسفر الأيام وسفر أرميا وسفر الأمثال، كما يمكن الاستعانة بالأخبار التي ذكرها المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس الذي عاش في الإسكندرية بين سنة 37 و 100 م تقريبا، فقد وضع عدة مؤلفات باليونانية واللاتينية تعرض فيها لتاريخ وديانة اليهود مثل تاريخ حرب اليهود وفلسفة اليهود وآثار اليهود حيث يقف بحوادثه عند سنة 66 م . ففي كتبه معلومات ثمينة عن العرب، وأخبار مفصلة عن عرب الأنباط لا نجدها في كتاب آخر قديم، وقد عاصر هذا المؤرخ الأنباط، غير أنه لا يهتم بهم إل ن ناحية الأنباط العبرانيين، ولم تكن بلاد العرب عنده إلا مملكة الأنباط،،ان للشروح والتفاسير المدونة علي التوراة والتلمود قديما وحديثا أهمية كبيرة في تفهم تاريخ الجاهلية.[2]

سادسا– المؤلفون اليونان والرومان:

تعرض كثير من مؤرخي اليونان والرومان والجغرافيين والرحالة في مؤلفاتهم لسكان شبه الجزيرة العربية، واحاطوا علما بأحوالها، لأن هذه البلاد تقع علي طريقهم إلي الهند والصين، كما كانت تنتج السلع المرغوبة جدا في أسواق الغرب.

ومن أقدم من ذكر العرب وبلادهم من اليونانيين (أسخيلوس) ثم تلاه (هيرودوتس) و (ثيوفراست) وكذلك ديدروس الصقلي واسترابون وبلينوس.

سابعا– المصادر البيزنطية والسريانية:

لهذه المصادر أهمية ذات شأن كبير في تدوين القبائل الممالك العربية قبل الإسلام لا سيما التي كانت علي صلة بالدولتين البيزنطية والساسانية، كذلك تاريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب، وكان كثير من المبشرين المسيحين قد انتشروا في أرجاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية لنشر الديانة المسيحية وانتقلوا بين مضارب العرب المختلفة فحفظوا لنا مادة غزيرة عن العرب في الفترة التي عاشوها، ومن المؤرخين التي كتبهم إشارات عن العرب (بيرو كوبيوس) من رجال القرن 6 م، ويرحنا الأفسي (ت 585 م)، وثيوفيلكات (ت 640 م) وثيوفاس المؤرخ البيزنطي المتوفي سنة (818م).

يتبين مما تقدم أن الرجوع إلى الآثار المكتشفة –على قلتها– في التأريخ للعرب الجنوبيين أجدى من الاستناد إلى ما كتبه مؤرخو العرب المسلمون؛ لأن ما ذكر هؤلاء عن هذه الحقبة لا يعدو كونه مقدمة موجزة لتواريخهم المفصلة عن العصر

[1] مصطفى الشكعة ، المرجع السابق ، ص515.

[2] علي جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جامعة بغداد 1993 ،ج 01 ، ص50.

الإسلامي، هذا فضلًا عن كون ما كتبوه عن عهد ما قبل الإسلام بأجمعه بعيدًا عن الروح العلمية، لا بل يغلب عليه العنصر القصصي المنقول عن السماع والمليء بالأساطير. وقد بلغ بعده عن الدقة أن أسماء الدول والملوك والحوادث التي أوردوها قد جاء فيها كثير من الخلط، فضلا عن التناقض والخلاف بين ما كتبه مؤرخ وآخر.

] الكتب المقدسة والمصادر اليونانية والنصرانية[

و الكتب اليونانية والرومانية والنصرانية القديمة تلك التي أطلق عليها اسم" المصادر الكلاسيكية- "بالرغم مما ورد فيها من أخطاء يمكن ملاحظتها- فإنه يستفاد منها لما حوت من أخبار تاريخية ومعلومات جغرافية وأسماء عربية كثيرة لم تعرف إلا منها. وقد استقاها مؤلفوها من رجال الحملات الرومانية واليونانية التي حاولت الاستيلاء على بلاد العرب، ومن السياح والتجار والملاحين الذين جابوا هذه البلاد. وقد تحدثت هذه الكتب عن وجود علاقات قديمة بين سواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان والفرس، وعن تسرب المسيحية إلى شبه جزيرة العرب.

إن من مؤلفي المصادر اليونانية" هيرودوت "اليوناني الملقب باسم" أبي التاريخ406 - 480" "ق. م "و"تيوفراست" "371 - 287ق. م "و"إيراتوستين وديودور "الصقلي والرحالة اليوناني " سترابون" "64ق. م - 19م "وهو صاحب كتاب الجغرافيا الذي ورد في الجزء 17 والأخير منه مذكراته عن الحملة التي رافق فيها القائد الروماني" إيليوس غالوس "الذي حاول بها احتلال الجنوب العربي. ومنهم أيضا" بطليموس "القلوزي الإسكندري" المتوفى سنة140م "صاحب كتاب جغرافية بطليموس الذي تحدث فيه عن مدن الجزيرة العربية وقبائلها وأحوالها التجارية وزيَّن الكتاب بالخرائط محددًا مواقع المدن بالدرجات، ومن مؤلفي المصادر المسيحية" أوسيبيوس" "265 - 340م "و"روفينيوس تيرانيوس" "المتوفى سنة 410م "و"شمعون الأرشامي "صاحب رسائل الشهداء الحميريين التي تبحث عن تعذيب الملك ذي نواس للنصارى في نجران، وقد ادعى أنه جمع أخبارها من بلاط الحيرة١.[1]

ثامنا مصادر السيرة النبوية:

تنحصر المصادر الرئيسة المعتمدة للسيرة النبوية في أربعة مصادر:

1- القرآن الكريم:

وهو مصدر أساس نستمد منه ملامح السيرة النبوية، فقد تعرض القرآن الكريم لنشأته {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} [الضحى: 5-6] كما تعرض لأخلاقه الكريمة العالية {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]. وقد تحدث القرآن عما لقيه عليه الصلاة والسلام من أذى وعنت في سبيل دعوته، كما ذكر ما كان المشركون ينعتونه به من السحر والجنون صدا عن دين الله عز وجل، وقد تعرض القرآن لهجرة الرسول كما تعرض لأهم المعارك الحربية التي خاضها بعد هجرته، فتحدث عن معركة بدر، وأحد، والأحزاب، وصلح الحديبية، وفتح مكة، وغزوة حنين، وتحدث عن بعض معجزاته، كمعجزة الإسراء والمعراج.

وبالجملة فقد تحدث عن كثير من وقائع سيرة الرسول ﷺ، ولما كان الكتاب الكريم أوثق كتاب على وجه الأرض، وكان من الثبوت المتواتر بما لا يفكر إنسان عاقل في التشكيك بنصوصه وثبوتها التاريخي، فإن ما تعرض له من وقائع السيرة يعتبر أصح مصدر للسيرة على الإطلاق.

[1] علي جواد ، المرجع السابق ،ج 01 ، ص50.

ولكن من الملاحظ أن القرآن لم يتعرض لتفاصيل الوقائع النبوية، وإنما تعرض لها إجمالا، فهو حين يتحدث عن معركة لا يتحدث عن أسبابها، ولا عن عدد المسلمين والمشركين فيها، ولا عن عدد القتلى والأسرى من المشركين، وإنما يتحدث عن دروس المعركة وما فيها من عبر وعظات، وهذا شأن القرآن في كل ما أورده من قصص عن الأنبياء السابقين والأمم الماضية، ولذلك فنحن لا نستطيع أن نكتفي بنصوص القرآن المتعلقة بالسيرة النبوية لنخرج منها بصورة متكاملة عن حياة الرسول ﷺ.[1]

2- السنة النبوية الصحيحة:

السنة النبوية الصحيحة التي تضمنتها كتب أئمة الحديث المعترف بصدقهم والثقة بهم في العالم الإسلامي هي: الكتب الستة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه. ويضاف إليها: موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، فهذه الكتب وخاصة البخاري ومسلم في الذروة العليا من الصحة والثقة والتحقيق، أما الكتب الأخرى، فقد تضمنت الصحيح والحسن، وفي بعضها الضعيف أيضا.

من هذه الكتب التي حوت القسم الأكبر من حياة النبي ﷺ، ووقائعه وحروبه، وأعماله، نستطيع أن نكون فكرة شاملة – وإن كانت غير متكاملة أحيانا – عن سيرة الرسول ﷺ، ومما يزيد الثقة بها والاطمئنان إليها أنها رويت بالسند المتصل إلى الصحابة رضوان الله عليهم، وهم الذين عاشروا الرسول ولازموه، ونصر الله بهم دينه، وقد رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه، فكانوا أكمل أجيال التاريخ استقامة أخلاق وقوة إيمان، وصدق حديث، وسمو أرواح، وكمال عقول، فكل ما رووه لنا عن الرسول بالسند الصحيح المتصل يجب أن نقبله كحقيقة تاريخية لا يخالجنا الشك فيها.

ويحاول المستشرقون المغرضون وأتباعهم من المسلمين الذين رق دينهم، وفتنوا بالغرب وعلمائه أن يشككوا في صحة ما بين أيدينا من كتب السنة المعتمدة، لينفذوا منها إلى هدم الشريعة، والتشكيك بوقائع السيرة، ولكن الله الذي تكفل بحفظ دينه قد هيأ لهم من يرد سهام باطلهم، وكيدهم إلى نحورهم وقد تعرضت في كتابي « السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي » إلى جهود علمائنا في تمحيص السنة النبوية، وسردت شبه المستشرقين ومن تابعهم، وناقشتها نقاشا علميا، أرجو الله أن يثيبني عليه، ويجعله في صفحات حسناتي يوم العرض عليه.[2]

3- الشعر العربي المعاصر لعهد الرسالة:

مما لا شك فيه أن المشركين قد هاجموا الرسول ودعوته على ألسنة شعرائهم، ما اضطر المسلمين إلى الرد عليهم على ألسنة شعرائهم، كحسان بن ثابت، وعبد الله ابن رواحة، وغيرهما، وقد تضمنت كتب الأدب، وكتب السيرة التي صنفت فيما بعد قسطا كبيرا من هذه الأشعار التي نستطيع أن نستنتج منها حقائق كثيرة عن البيئة التي كان يعيش فيها الرسول ﷺ، والتي ترعرعت فيها عقيدة الإسلام أول قيامها.[3]

4- كتب السيرة و المغازي:

كانت وقائع السيرة النبوية روايات يرويها الصحابة رضوان الله عليهم إلى من بعدهم، وقد اختص بعضهم بتتبع دقائق السيرة وتفاصيلها، ثم تناقل التابعون هذه الأخبار ودونوها في صحائف عندهم، وقد اختص بعضهم بالعناية التامة بها، أمثال أبان بن عثمان بن عفان ﷺ (32-105هـ) وعروة بن الزبير بن العوام (23-93هـ) ومن صغار التابعين عبد الله

---

[1] أحمد أمين سليم،المرجع السابق، ص 4

[2] علي جواد ، المرجع السابق ، ج 01 ، ص 67

[3] سيد حنفي حسنين ، حسان بن ثابت شاعر الرسول صلي الله عليه و سلم ، مؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة, القاهرة الطبعة، 1963م،ص ص156،155.

بن أبي بكر الأنصاري (توفي سنة 135هـ) ومُحَمَّد بن مسلم بن شهاب الزهري (50-124هـ) الذي جمع السنة في عهد عمر بن عبد العزيز بأمره، وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري (توفي سنة 129هـ).

ثم انتقلت العناية بالسيرة إلى من بعدهم، حتى أفردوها بالتصنيف، ومن أشهر أوائل المصنفين في السيرة مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار (توفي سنة 152هـ) وقد اتفق جمهور العلماء والمحدثين على توثيقه، إلا ما روي عن مالك، وهشام بن عروة بن الزبير من تجريحه، وقد حمل كثير من العلماء المحققين تجريح هذين العالمين الكبيرين له بعداوات شخصية كانت قائمة بينهما وبين ابن إسحاق، ألف ابن إسحاق كتابه «المغازي» من أحاديث وروايات سمعها بنفسه في المدينة ومصر، ومن المؤسف أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، فقد فُقِدَ فيما فُقِدَ من تراثنا العلمي الزاخر، ولكن مضمون الكتاب بقي محفوظا بما رواه عنه ابن هشام في سيرته عن طريق شيخه البكائي الذي كان من أشهر تلامذة ابن إسحاق.[1]

- **سيرة ابن هشام:**

هو أبو مُحَمَّد عبد الملك بن أيوب الحميري، نشأ بالبصرة وتوفي سنة 213 أو 218هـ على اختلاف الروايات، ألف ابن هشام كتابه «السيرة النبوية» مما رواه شيخه البكائي عن ابن إسحاق، ومما رواه هو شخصيا عن شيوخه، مما لم يذكره ابن إسحاق في سيرته، وأغفل ما رواه ابن إسحاق مما لم يتفق مع ذوقه العلمي وملكته النقدية، فجاء كتابا من أوفى مصادر السيرة النبوية، وأصحها، وأدقها، ولقي من القبول ما جعل الناس ينسبون كتابه إليه، فيقولون: سيرة ابن هشام وشرح كتابه هذا عالمان من الأندلس: السهيلي (508-581هـ) والخشني (535-604هـ).[2]

- **طبقات ابن سعد:**

هو مُحَمَّد بن سعد بن منيع الزهري، ولد بالبصرة سنة 168هـ وتوفي ببغداد سنة 230هـ كان كاتبا لمحمد بن عمر الواقدي المؤرخ الشهير في المغازي والسيرة (130-207هـ) سار ابن سعد في كتابه «الطبقات» على ذكر أسماء الصحابة والتابعين - بعد ذكر سيرة الرسول عليه السلام – بحسب طبقاتهم، وقبائلهم، وأماكنهم، ويعتبر كتابه «الطبقات» من أوثق المصادر الأولى للسيرة، وأحفظها بذكر الصحابة والتابعين.[3]

- **تاريخ الطبري:**

هو أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري (224-310هـ) إمام، فقيه، محدث، صاحب مذهب في الفقه لم ينتشر كثيرا ألف كتابه في التاريخ غير مقتصر على سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، بل ذكر تاريخ الأمم قبله، وأفرد قسما خاصا لسيرته عليه السلام، ثم تابع الحديث عن تاريخ الدول الإسلامية حتى قرب وفاته.

يعتبر الطبري حجة ثقة فيما يروي، ولكنه كثيرا ما يذكر روايات ضعيفة أو باطلة، مكتفيا بإسنادها إلى رواتها الذين كان أمرهم معروفا في عصره، كما في رواياته عن أبي مخنف، فقد كان شيعيا متعصبا، ومع ذلك فقد أورد له الطبري كثيرا من أخباره بإسنادها إليه، كانه يتبرأ من عهدتها، ويلقي العبء على أبي مخنف.[4]

---

[1] للمزيد انظر ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت 151هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)،تح سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1978،

[2] للمزيد أنظر ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط3، 1375هـ – 1955 م (مقدمة/ 11)أبو محمد، جمال الدين (ت 212هـ)،.

[3] للمزيد أنظر، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت،1990

[4] للمزيد أنظر ، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري 224 – 310 هـ)، تاريخ الرسل والملوك ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1980 م]، دار المعارف بمصر،، ط2 ،1967

تطور التأليف في السيرة:

ثم تطور التأليف في السيرة، فأفردت بعض نواحيها بالتأليف خاصة، كـ«دلائل النبوة» للأصبهاني، و«الشمائل المحمدية» للترمذي، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية، و«الشفاء» للقاضي عياض، و«المواهب اللدنية» للقسطلاني وهي مشروحة في ثماني مجلدات بقلم الزرقاني المتوفى سنة 1122هـ.

هذا ولا يزال العلماء يؤلفون في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام بأسلوب حديث يتقبله ذوق أبناء العصر، ومن أشهر الكتب المؤلفة في العصر الحديث كتاب « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» للشيخ مُحَمَّد الخضري رحمه الله، وقد لقي كتابه قبولا حسنا، وقررت دراسته في المعاهد الدينية في أكثر أنحاء العالم الإسلامي.[1]

[1] نفسه.

المحاضرة : 02 تاريخ العرب قبل الإسلام:

1-جغرافية بلاد العرب:

-تقع شبه الجزيرة العربية في الطرف الجنوبي الغربي من قارة أسيا يحدها غربا خليج العقبة والبحر الأحمر ومن الشرق خليج عُمان والخليج العربي والعراق ومن الجنوب خليج عدن وبحر عُمان ومن الشمال صحراء ا وسعة. وهي عبارة عن هضبة عالية تنخفض كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق .قسم الإغريق جزيرة العرب إلى ثلاثة أقسام:

جزيرة العرب الصحراوية :تطلق على بادية الشام.

جزيرة العرب الصخرية :تقع في الشمال الغربي من جزيرة العرب تسمى البتراء.

جزيرة العرب السعيدة: باقي جزيرة العرب بدءا من جنوبي بادية الشام والمقصود به بلاد اليمن (الأرض الخضراء)[1].

-اتبع العرب نهجا أخرا في تقسيم جزيرة العرب حيث قسمت إلى خمس مناطق هي:

تهامة: المدن الساحلية في الطرف الغربي لشبه الجزيرة العربية تمتد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال كما تعرف هذه المناطق أحيانا باسم "الغور" لأنها تنخفض بين ساحل البحر الأحمر والمرتفعات.

الحجاز: من أهم مناطق شبه الجزيرة العربية لوقوع مكة والمدينة فيما يربط الطريق بين الشام-اليمن(تحجز بين نجد وتهامة).

نجد: الأرض المرتفعة التي تربط بين النجد والتهامة جنوبا وبين العراق والشام شمالا وهي عبارة عن هضبة تشغل جزءا كبيرا من شيه الجزيرة العربية تتكون من عدة أقسام (الربع الخالي – واد الأحقاف)

العروض: تعرف باليمامة، سميت كذلك لاعتراضها بين نجد واليمن)البحرية الإحساء وعمان(اليمن: سميت العربية السعيدة تقع في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وهي خصبة التربة وماءها وفير وازدهرت بها الزراعة.[2]

*مناخ شبه الجزيرة العربية جاف وحار رغم وقوعها بين بحرين شرق وغرب لأن مساحتهما لا تكفي لكسر حدة الجفاف في هذه المنطقة.

2-**سكان الجزيرة العربية:** يقسم الإخباريون سكان شبه الجزيرة العربية إلى طبقتين كبريتين هما:

أ-**العرب البائدة:** القبائل التي هلكت وبادت ولم يصل من أخبارها شيء إلا ما ذكر في القرآن مثل عاد التي قيل أنها كانت تسكن في بادية الاحقاف الواقعة بين صحراء الربع الخالي وجبال اليمن وعسير وكان نبيها هود، وثمود التي كانت تسكن في مدائن الحجز شمالي الحجاز و نبيها صالح[3]. و من العرب البائدة قوم طسم وجاديس ابنا عم ،يصعد النسابون نسبهما الى نوح وموطنهما اليمامة و كانت الغلبة لطسم ،ومن العرب البائدة العماليق الذين و رد ذكرهم في التوراة، وهم عدة قبائل سكن بعضها أرض الحجاز و تهامة) قبائل بني سعد بني مطر، وسكن بعضها نجد(قبائل بديل و غفار).[4]

ب- **العرب الباقية** :هم القبائل التي سكنت اليمن و الحجاز و كافة أنحاء الج زيرة كتب لها البقاء وهم طبقتين :

العرب العاربة :عرب الجنوب يعرفون بالقحطانيين نسبة الى قحطان بن عامر سكنوا اليمن و حضرموت، عرفوا الاستقرار والتحضر و مارسوا الزراعة و الصناعة) دولتي معين و سبأ(وبعد حادثة سد مأرب قامت دولة حمير حوالي 150 ق.م

[1] علي جواد، المرجع السابق ، ص ص 114.

[2] جورجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ،مطبعة الهلال ، مصر 1922 ، ص 30

[3] محمود عرفة محمود ، العرب قبل الاسلام ،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ،مصر 1995 ، ص ص28-31

[4] محمد مبروك نافع ، تاريخ العرب عصر ماقبل الاسلام ،مطبعة السعادة ، مصر 1953 ، ص 40.

تكلموا اللغة السبئية و الحميرية من قبائلهم جرهم و يعرب ومن يعرب ظهرت شعبتان هما كهلان وحمير أشهر قبائل كهلان الأوس والخزرج وأشهر قبائل حمير قضاعة[1]

العرب المستعربة : عرب الشمال العدنانيون أو النزاريون أو المعديون ، هم بدو رحل ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم، قيل لهم العرب المستعربة لأنهم انضموا إلى العرب العاربة واخذوا العربية منهم [2]،سكنوا تهامة والحجاز ونجد باستثناء قبيلة قريش التي سكنت مكة وتحولت الى حياة الحضر ، ومن أهم قبائل العدنانيون قبيلة معد التي انقسمت إلى جزئين هما نزار وقنص ،وانقسمت نزار إلى عدة أفرع أهمها ربيعة و مضر.

3– أوضاع شبه الجزيرة العربة قبل الإسلام:

1– الأوضاع السياسية :

كانت القبائل العربية تتصور الدولة على أنها القبيلة فتكرس ولائها لها .ومثلت القبيلة الوحدة الاجتماعية التي تتقمص صفة الدولة وتقوم بمهامها، ويرتبط أفرادها بالعصبية القبلية وتتوسع هذه العصبية بالأحلاف و كان لكل قبيلة رئيس يسمى شيخ القبيلة لابد أن تتوفر فيه شروط يستطيع بها أن يحقق مصالح القبيلة منها الشجاعة و الغنى و الكرم والحلم و سداد الرأي إلى جانب ذلك أصالة النسب إلى القبيلة [3]وكانت الحروب بين القبائل على قدم وساق ومن أشهر هذه الحروب حرب الفجار ،وكان عدا هذه الحروب الكبرى تقع غارات فردية بين القبائل تكون أسبابها شخصية أحياناً، أو طلب العيش أحياناً أخرى، إذ كان رزق بعض القبائل في كثير من الأحيان في حد سيوفها، ولذلك ما كانت القبيلة تأمن أن تنقض عليها قبيلة أخرى لتسلب خيراتها.

الأوضاع الاقتصادية:

أ–الزراعة:

مثل الرعي الحرفة الأساسية في شبه الجزيرة العربية ،أما الزراعة فازدهرت باليمن بوجه خاص في عصر الدولة السبئية حيث كانت السدود أهم مشروعات العصر القديم. وكان لسد مأرب) 650 ق.م(دور كبير في توسيع الرقعة الزراعية وكثرة الخيرات ال زراعية، ومثلت الزراعة الحرفة الرئيسية للسكان. لم تقتصر الزراعة على عرب الجنوب وانتشرت أيضا عند عرب الشمال في الحجاز" الطائف، يثرب"، وفي الحيرة أيام المناذرة ، وفي عدة قرى جنوب الشام في عصر الغساسنة .

ب– التجارة:

كانت التجارة الحرفة الرئيسية للعرب قبل الإسلام، حيث كان العرب وسطاء للتجارة بين الهند وبلاد الشام والعراق ومصر، وكانت توابل الهند وسيوفها وحرير الصين والذهب الاثيوبي تصل عن طريقهم الى مصر والعراق وبلاد الشام،وتمكن عرب الجنوب)المعنيون و السبئيون (من السيطرة على الط رق التجارية بين الشمال والجنوب ،وقد أثرى السبئيون بسبب ذلك ثراء فاحشا.

كانت تجارة الحجاز من أهم تجارات العرب حيث كان يشق الحجاز شريان رئيسي للتجارة العالمية هو طريق البحر المؤدي الى الهند و قد تطلع الروم للسيطرة على الحجاز لأهميتها التجارية لكنهم فشل، وتمكنت قريش من احتكار التجارة مع الهند نهاية القرن السادس الميلادي بفضل جهود زعيمها هاشم بنى عبد مناف الذي يعتبر أول من سن رحلتي الشتاء

[1] حسين الشيخ ، المرجع السابق ،ص 7
[2] علي جواد ، المرجع السابق ، ج 01 ، ص 37.
[3] محمود عرفة محمود، المرجع السابق ،ص50.

و الصيف[1] ،وظهرت مدن تجارية و ازدهرت) مكة- الطائف – يثرب(وأثرت بعض أسر قريش بفعل اشتغالها بالتجارة) بني مخزوم (ومن بين أثرياء مكة الوليد بن المغيرة وأبو سفيان ، ونتج عن اشتغال أهل الحجاز بالتجارة قيام أسواق تجارية مشهورة (عكاظ – ذي المجاز)[2].

ج- الصناعة : كانت اقل نصيبا من الزراعة والتجارة بشكل بدائي يكاد لا يتعدى حدود حياتهم البسيطة[3] غير أن هناك صناعات اشتهر بها العرب كصناعة الجلود والمنسوجات والسيوف باليمن)صنعاء وصناعة الأواني المنزلية في البتراء وصناعة الأسلحة بمكة وصناعة الخمور بيثرب بالإضافة إلى صناعة التحف المعدنية والحلي والأسلحة والتي تم احتكارها من طرف اليهود.[4]

3- الأوضاع الاجتماعية:

الأساس الاجتماعي عند العرب هو القبيلة ، وتربط الناس العصبية التي تشكل مصدر القوة السياسية و الدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة ،و حياة القبيلة صراع دائم في شكل هجوم بقصد الحصول على الرزق أو دفاعا للحفاظ على وجود القبيلة و قد يتطلب ذلك تكتلا أو الدخول في أحلاف، وكان هذا النظام هو دعامة الحياة السياسية في الممالك العربية و الإمارات التي قامت في جنوب الجزيرة العربية، وفي حواضر الحجاز ،وظلت هذه القبائل تحتفظ بتنظيمها القبلي ولم تنصهر كشعب واحد حتى بعد نزولها المدن والحواضر[5].

وتشكلت القبيلة من ثلاث طبقات :طبقة الأحرار و هم أبناء القبيلة الصرحاء أبناء الدم الواحد، وطبقة الموالي و هم أحرار انظموا إلى القبيلة من غير أبنائها عن طريق الحلف أو الجوار أو العتقاء ثم طبقة الارقاء ممن أسروا أو اشتروا و هم في أدنى درجات السلم الاجتماعي .[6]

وانقسم سكان شبه الجزيرة العربية إلى قسمين بدو وحضر ، فأما الحضر فهم سكان المدن ويعيشون على التجارة أو الزراعة أو الصناعة ، ويعيش البدو على إنتاج ماشيتهم و يعتمدون على الترحال واعتمد بعضهم على الغارة و النهب والسلب و عموما كان جزء من العرب ينعم بالثراء والترف وفريق يعاني من مرارة الفقر والبؤس.[7]

أما عن الأخلاق العربية فهي نتيجة مباشرة للوضع الاجتماعي والاقتصادي وصدى لتلك البيئة القبلية فقد تميز العربي بصفات جيدة كالشجاعة والوفاء بالعهد و حماية الضعيف ، و إلى جانب هذه العادات الطيبة وجدت أخرى سيئة منها شرب الخمر و القمار والاستقسام بالأزلام، أما المرآة في العصر الجاهلي فكانت لها مكانة كبيرة وتشارك الرجل في الكثير من المهام ،فقد كان الكثير من العرب يعطفون على بناتهن ويدللوهن، وكان بعضهم يكنى بأسماء بناته،كما وجد عدد كبير من عرب الجاهلية يكرهون البنات إلى حد الوأد (بني أسد و تيم) بالإضافة إلى انتشار الأنكحة الفاسدة في المجتمع الجاهلي (المتعة – السبي – الإماء – المقت)، وكانت تلك من المشاكل الاجتماعية البارزة في المجتمع الجاهلي.[8]

4- الأوضاع الدينية :

---

[1] عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ الدولة العربية الاسلامية ، الدار الثقافية للنشر،القاهرة 2006 ، ص 9.
[2] عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية دت، ص ص11-12.
[3] حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في صدر الإسلام ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت 1992 ،ص 263.
[4] عبد العزيز سالم ،نفسه ، ص ،13.
[5] نفسه ،ص 152
[6] عبد الحميد حسين حمودة ، نفسه ، ص 933
[7] عبد العزيز سالم ، نفسه ،ص 18.
[8] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، دار الجيل ،بيروت 1996 ، ج 01 ، ص ص 56

عبد العرب قبل الإسلام معبودات عدة منها الأوثان و الأشجار والحيوان و الظواهر الطبيعية والكواكب كالشمس والقمر كغيرهم من الأمم المجاورة التي اقتبسوا الكثير من آلهتها ، وقد جعلوا من الكعبة مركزا دينيا يحجون إليه وفيه يضعون أصنامهم المختلفة الأحجام والأشكال) اللات – العزة – مناة.[1]

وعرف العرب عبادة النار أو المجوسية عن طريق الفرس في الحيرة و اليمن وكانت تنتشر عن عرب الجاهلية في تميم، وانتشرت الديانة اليهودية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام في اليمن ويثرب ومن أشهر القبائل اليهودية المعروفة بنو نضير وبنو قينقاع. وعرفت بلاد العرب الديانة المسيحية التي انتشرت في قبائل تغلب وغسان وقضاعة في الشمال وفي بلاد اليمن ، وانقسمت النصرانية في جزيرة العرب الى فرقتان : النسطورية في الحيرة و اليعقوبية في غسان وسائر قبائل الشام ، وكانت نجران أعظم مواطن النصرانية في جزيرة العرب. ووجد بالجزيرة فريق نبذ عبادة الأوثان ودعا إلى التخلص من عادات الجاهلية يطلق على أصحابها الحنفاء.[2]

5– الحياة الثقافية:

كان العرب في الجاهلية على قدر كبير من الثقافة و المعرفة فقد ذكرت عنهم الأمم القديمة كاليونان و الرومان والبابلين والآشوريين كثير من أخبارهم في الكتب الدينية المقدسة ،كان للعرب قبل الإسلام بعض العلوم والمعارف، منها أنهم كانوا يعرفون الأنساب ويعتنون بحفظها، وكانوا يهتمون بعلم الفلك بسبب كثرة تجوالهم وترحالهم في الصحراء الإضافة إلى ما أخذوه من الأقوام المجاورين لهم كالكلدانيين والفرس والسريان. فقد ألموا بمواقع النجوم وسيرها التقريبي بالملاحظة اليومية واستدلوا بذلك على فصول السنة، وأطلقوا على الشهور أسماء مأخوذة من صفات هذه الفصول، كما عرفوا عددًا كبيرًا من الكواكب والنجوم[3]. و برع العرب في الطب ومن أبرز أطباءهم في الجاهلية زهير الحِمْيري، وابن حزيم، والحارث بن كلدة صاحب كتاب المحاورة في الطب، والنضر بن الحارث، وفي الرياضيات عرف الع رب من أسماء الأعداد و الآحاد والعشرات و المئات و الألوف و كثير ذلك في الشعر الجاهلي.[4]

وإذا انتقلنا إلى جانب آخر نجد أن العرب قبل الإسلام قد أبدعوا في مجالات الأدب فخلفوا تراثاً أدبيًا وشعريًا، يعد من أرقى أنواع الفنون الأدبية سواء أكان ذلك في مضمونه أو شكله، وبلغ العرب مستوى عاليًا ورفيعًا في مضمار الشعر" ديوان العرب" سجلوا فيه أخلاقهم و عاداتهم و ديانتهم و حروبهم أما الخطابة فوجه آخر من أوجه النشاط الفكري عند الجاهليين فغلب عليها السجع ليسهل الحفظ و تحفل بالحكم والأمثال.[5]

---

[1] حسين الحاج حسن ، المرجع السابق ، ص 272
[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع نفسه ، ج 01 ، ص 6.
[3] علي جواد ، المرجع السابق ، ج 08 ،ص 42.
[4] عبد الحميد حسين حمودة ، المرجع السابق ، ص 971
[5] علي جواد ، المرجع السابق ، ص 77.

قبائل العرب في صدر الإسلام
بادية الشام
كلب
تغلب
بكر
طيء
ربيعة
قيس
تميم
غطفان
اليمامة
كندة
نجد
البحرين
عبد القيس
الأزد
عمان
مهرة
ظفار
حضرموت
الشحر
الأحقاف
مراد
خثعم
اليمن
صنعاء
عدن
حمير
همدان
أرحب
نجران
مذحج
الطائف
ثقيف
جيلة
مكة
جدة
قريش
كنانة
خزاعة
هذيل
سليم
غفار
مزينة
جهينة
خيبر
وادي القرى
تيماء
مدائن صالح
تبوك
تعاذ
العقبة
مصر
السودان
سواكن
البحر الأحمر
الحبشة
جزيرة سقوطرة

المحاضرة الثالثة :حياة النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعثة.

1-ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم والوقائع التاريخية التي مهدت للبعثة النبوية

ولد بعد حادثة الفيل ب 50 يوما في ليلة 12 ربيع الاول 571 م في أشرف بيت من بيوت العرب، فهو من أشرف فروع قريش، وهم بنو هاشم، وقريش أشرف قبيلة في العرب، وأزكاها نسبا وأعلاها مكانة، نشأ يتيما، فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به لشهرين فحسب، ولما أصبح له من العمر ست سنوات ماتت أمه آمنة فذاق ﷺ في صغره مرارة الحرمان من عطف الأبوين وحنانهما، وقد كفله بعد ذلك جده عبد المطلب، ثم توفي ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنوات، فكفله بعد ذلك عمه أبو طالب حتى نشأ واشتد ساعده[1]، وإلى يتمه أشار القرآن الكريم بقوله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى:6].

أمضى رسول الله ﷺ السنوات الأربع الأولى من طفولته في الصحراء في بني سعد، فنشأ قوي البنية، سليم الجسم، فصيح اللسان، جريء الجنان، يحسن ركوب الخيل على صغر سنه قد تفتحت مواهبه على صفاء الصحراء وهدوئها، وإشراق شمسها ونقاوة هوائها[2].

كانت تعرف فيه النجابة من صغره، وتلوح على محياه مخايل الذكاء الذي يحببه إلى كل من رآه، فكان إذا أتى الرسول وهو غلام جلس على فراش جده، وكان إذا جلس عليه لا يجلس معه على الفراش أحد من أولاده (أعمام الرسول)، فيحاول أعمامه انتزاعه عن الفراش، فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنًا[3].

لم يشارك عليه الصلاة والسلام أقرانه من شباب مكة في لهوهم ولا عبثهم، وقد عصمه الله من ذلك، ، ولم يشارك قومه في عبادة الأوثان، ولا أكل شيئا مما ذبح لها، ولم يشرب خمرا، ولا لعب قمارا، ولا عرف عنه فحش في القول، أو هُجر [قبحٌ] في الكلام[4]،وشهد حرب الفجار بين قبيلتي قيس عيلان و كنانة التي وقعت في الاشهر الحرم حين كان سنه 20 سنة كما شهد مع اعمامه حلف الفضول بعد اربعة اشهر من نهاية الحرب ،والذي كان هدفه نصرة المظلوم.[5]

وعرف عنه منذ إدراكه رجحان العقل، وأصالة الرأي، كما عرف عليه الصلاة والسلام في شبابه بين قومه بالصادق الأمين[6]، واشتهر بينهم بحسن المعاملة، والوفاء بالوعد، واستقامة السيرة، وحسن السمعة، مما رغب خديجة في أن تعرض عليه الاتجار بمالها في القافلة التي تذهب إلى مدينة (بصرى) كل عام على أن تعطيه ضعف ما تعطي رجلا من قومها، فلما عاد إلى مكة وأخبرها غلامها ميسرة بما كان من أمانته وإخلاصه، ورأت الربح الكثير في تلك الرحلة، أضعفت له من الأجر ضعف ما كانت أسمت له، ثم حملها ذلك على أن ترغب في الزواج منه، فقبل أن يتزوجها وهو أصغر منها بخمسة عشر عاما، وأفضل شهادة له بحسن خلقه قبل النبوة قول خديجة له بعد أن جاءه الوحي في غار حراء وعاد مرتعدا: كلا والله لا يخزيك الله أبدا،

---

[1] عبد الحميد حسين حمودة ، المرجع السابق ، ص 971.

[2] علي جواد ،المرجع السابق ، ص 7742

[3] كان عليه الصلاة والسلام يرعى في أوائل شبابه لأهل مكة أغنامهم بقراريط يأخذها أجرا على ذلك، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال، «ما من نبي إلا قد رعى الغنم» قالوا، وأنت يا رسول الله؟ قال،«وأنا» وفي رواية أخرى أنه قال، «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم» فقال له أصحابه،رسول الله؟ فأجاب، «وأنا رعيتها لأهل مكة على قراريط» ثم لما بلغ من عمره خمسا وعشرين، عمل لخديجة بنت خويلد في التجارة بما لها على أجر تؤديه إليهعبد العزيز سالم ،المرجع السابق ،ص39.

[4] بن هشام، السيرة النبوية ،دار الصحابة للتراث بطنطا،مصر 1995 ، ج 01 ، ض 2204

[5] لقد أثنى الرسول صلى الله عليه و سلم على هذا الحلف قائلا، "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا .ما أحب ان لي به حمر ،ولو ادعى به إلى الإسلام لأجبت". ابن الأثير، الكامل في التاريخ،دار الكتب العلمية ، بيروت 1987 ، ج 01 ، ص 570

[6] ففي حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة دليل واضح على هذا، فقد أصاب الكعبة سيل أدى إلى تصدع جدرانها، فقرر أهل مكة هدمها وتجديد بنائها، وفعلوا، فلما وصلوا إلى مكان الحجر الأسود فيها اختلفوا اختلافا شديدا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وأرادت كل قبيلة أن يكون لها هذا الشرف، واشتد النزاع حتى تواعدوا للقتال، ثم ارتضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب بني شيبة، فكان هو رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا، هذا الأمين، رضينا بحكمه، فلما أخبر بذلك، حل المشكلة بما رضي عنه جميع المتنازعين، فقد بسط رداءه ثم أخذ الحجر فوضعه فيه، ثم أمرهم أن تأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء، فلما رفعوه وبلغ الحجر موضعه، أخذه ووضعه بيده، فرضوا جميعا، وصان الله بوفور عقله وحكمته دماء العرب من أن تسفك إلى مدى لا يعلمه إلا الله.

إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (الضعيف)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1].

سافر مرتين خارج مكة، أولاهما مع عمه أبي طالب حين كان عمره اثنتي عشرة سنة، وثانيتهما حين كان عمره خمسا وعشرين سنة، متاجرا لخديجة بمالها، وكانت كلتا الرحلتين إلى مدينة (بصرى) في الشام، وفي كلتيهما كان يسمع من التجار أحاديثهم، ويشاهد آثار البلاد التي مر بها، والعادات التي كان عليها سكانها[2].

حبب الله إليه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة بسنوات أن يخرج إلى غار حراء – وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة، على قرب منها– يخلو فيه لنفسه مقدار شهر – وكان في شهر رمضان– ليفكر في آلاء الله، وعظيم قدرته، واستمر على ذلك حتى جاءه الوحي، ونزل عليه القرآن الكريم.

[1] عماد الدين ابن كثير، البداية و النهاية ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر، مصر 1997 ،ج 03 ،ص ص 435

[2] نفسه، ج 03 ،ص 4441

المحاضرة الرابعة: السيرة النبوية من البعثة حتى الهجرة إلى الحبشة:

الوقائع التاريخية:

نزول الوحي على الرسول ﷺ: لما تم للنبي ﷺ أربعون سنة، نزل عليه جبريل بالوحي في يوم الاثنين لسبع عشر خلت من رمضان، ويحدثنا الإمام البخاري ﷺ في «صحيحه» بالسند المتصل إلى عائشة أم المؤمنين ﷺ عن كيفية نزول الوحي عليه، فتقول:

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه – وهو التعبد– الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ﷺ، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: والله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل [الضعيف]، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى[1].

كان أول من آمن به ودخل في الإسلام زوجه خديجة ﷺ، ثم ابن عمه علي ﷺ وهو ابن عشر سنين، ثم مولاه زيد بن حارثة، ثم أبو بكر الصديق ﷺ، وكان أول من أسلم من العبيد بلال بن رباح الحبشي وعلى ذلك تكون خديجة أول من آمن به إطلاقا، وقد صلى رسول الله ﷺ معها آخر يوم الاثنين، وهو أول يوم من صلاته، وكانت الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي.[2]

ثم فتر الوحي بعد ذلك فترة من الزمن اختلفت الروايات في تقديرها، فأقصاها ثلاث سنوات، وأدناها ستة أشهر وهو الصحيح، وقد شق انقطاع الوحي على الرسول ﷺ، وأحزنه ذلك كثيرا، حتى كاد يخرج إلى الجبال فَيَهُمُّ بأن يتردى من رؤوسها، ظنا منه أن الله قد قلاه بعد أن اختاره لشرف الرسالة، ثم عاد إليه الوحي بعد ذلك بدأ رسول الله ﷺ بعد ذلك يدعو إلى الإسلام من وثق بعقله ثلاث سنوات كاملة، حتى أسلم عدد من الرجال والنساء ممن عرفوا برجحان الرأي وسلامة النفس، أمر رسول الله ﷺ بعد أن بلغ عدد الداخلين في الإسلام نحوا من ثلاثين أن يبلغ الدعوة جهرا، وذلك في قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر: 94].

ابتدأت بذلك مرحلة الإيذاء للمؤمنين الجدد ولرسول الله ﷺ، فقد هال المشركين أن يسفه الرسول أحلامهم، ويعيب آلهتهم، ويأتيهم بدين جديد يدعو إلى إله واحد لا تدركه العيون والأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

كان رسول الله ﷺ في هذه الفترة يجتمع بالمؤمنين سرا في دار الأرقم بن أبي الأرقم الذي دخل في الإسلام أيضا، وكان الرسول يتلو عليهم ما ينزل عليه من آيات القرآن الكريم، ويعلمهم من أحكام الدين وشرائعه ما كان ينزل حينئذ.

أمر الرسول ﷺ يومئذ بأن ينذر عشيرته الأقربين، فوقف على الصفا، ونادى بطون قريش بطنا بطنا، ودعاهم إلى الإسلام وترك عبادة الأوثان، ورغبهم في الجنة وحذرهم من النار، فقال له أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا؟.

---

[1] وكان ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة، يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة، يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس صاحب الوحي وهو جبريل - الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا شابا قويا – ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ، أو مخرجي هم؟ قال، نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب [يلبث] ورقة أن توفي وفتر الوحي». ابن هشام، المصدر السابق ، ج 01 ،ص 2533.

[2] عبد الرحمن بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992 ، ج 02 ، ص412.

رغبت قريش في أن تنال من الرسول، فحماه عمه أبو طالب، وامتنع عن تسليمه إليهم، ثم طلب بعد ذهابهم أن يخفف من دعوته، فظن أن عمه خاذله، فقال كلمته المشهورة: « والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ما تركته».[1]

اشتد أذى المشركين بعد ذلك للرسول وصحابته، حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمي من عمي،لما رأت قريش ثبات المؤمنين على عقيدتهم، قررت مفاوضة الرسول على أن تعطيه من المال ما يشاء، أو تملكه عليها، فأبى ذلك كله، لما رأى الرسول تعنت قريش واستمرارها في تعذيب أصحابه، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكا لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه» فهاجر للمرة الأولى اثنا عشر رجلا، وأربع نسوة، ثم عادوا بعد أن علموا بإسلام عمر وإظهار الإسلام، لكنهم ما لبثوا أن عادوا ومعهم آخرون من المؤمنين، وقد بلغ عددهم في الهجرة الثانية إلى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلا، ومن النساء إحدى عشرة.

مقاطعة المشركين لرسول ﷺ وبني هاشم وبني المطلب ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم ولا يخالطوهم، ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا، واستمرت المقاطعة سنتين أو ثلاثا، لقي فيها الرسول ومن معه في هذه المقاطعة جهدا شديدا، ثم انتهت المقاطعة بمسعى عقلاء قريش[2]

[1] محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية،مطبعة الاستقامة، مصر 1954 ،ص72.
[2] محمود شاكر، موسوعة التاريخ الإسلامي" السيرة"،المكتب الإسلامي، بيروت 1991 ،ص66.

المحاضرة الخامسة: في السيرة النبوية بعد هجرة الحبشة إلى الهجرة للمدينة.

1-الوقائع التاريخية:

مات أبو طالب عم الرسول في السنة العاشرة من البعثة، وكان في حياته شديد الدفاع عن ابن أخيه رسول الله ﷺ، وكانت قريش لا تستطيع أن تنال النبي بأذى في نفسه طيلة حياة أبي طالب احتراما له وهيبة، فلما مات أبو طالب جرؤت قريش على تشديد الأذى للنبي ﷺ، ولذلك كانت وفاته مبعث حزن عميق للنبي ﷺ، وقد حرص النبي أن يقول أبو طالب كلمة الإسلام وهو على فراش الموت، فأبى خشية أن يلحقه العار من قومه.

ماتت خديجة ﵂ في تلك السنة نفسها، وقد كانت خديجة تخفف عن الرسول همومه وأحزانه لما يلقاه من عداء قريش، فلما ماتت حزن عليها حزنا شديدا، وسمي ذلك العام الذي مات فيه عمه أبو طالب وزوجه خديجة «عام الحزن».

ولما اشتد على الرسول كيد قريش وأذاها بعد وفاة عمه وزوجه، توجه إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، ولكنهم ردوه ردا غير جميل، وأغروا به صبيانهم فقذفوه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الطاهرتين، ثم التجأ إلى بستان من بساتين الطائف، وتوجه إلى الله بهذا الدعاء الخاشع: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».[1]

عاد رسول الله ﷺ من الطائف دون أن تستجيب ثقيف لدعوته، اللهم إلا ما كان من إسلام «عدَّاس» غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة، وكان غلاما نصرانيا، طلب منه سيداه أن يقدم قطفا من العنب إلى الرسول وهو في البستان لما رأيا من إعيائه وتهجم ثقيف عليه، فلما قدم عدَّاس العنب للرسول ﷺ أخذ الرسول يبدأ في أكله قائلا: بسم الله، فلفت ذلك نظر عداس، إذ لا يوجد في القوم من يقول مثل هذا. وبعد حديث بين عداس والنبي أسلم عدَّاس.

وقعت معجزة الإسراء والمعراج وقد اختلف في تاريخ وقوعها، والمؤكد أنها وقعت قبل الهجرة في السنة العاشرة من بعثته أو بعدها، والصحيح الذي عليه جماهير العلماء أنهما وقعا في ليلة واحدة يقظة بالجسد والروح، أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العلى، ثم عاد إلى بيته في مكة تلك الليلة، وأخبر قريشا بأمر المعجزة، فهزئت وسخرت، وصدقه أبو بكر وأقوياء الإيمان.[2]

وفي هذه الليلة فرضت الصلوات خمسا على كل مسلم بالغ عاقل، وفي أثناء مرور الرسول ﷺ على القبائل في موسم الحج -كعادته في كل عام- لدعوتهم إلى الإسلام وترك عبادة الأوثان، وبينما هو عند العقبة التي ترمى عندها الجمار، لقي رهطا من الأوس والخزرج، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، وكان عددهم سبعة، ثم عادوا إلى المدينة، فذكروا لقومهم لقياهم النبي ﷺ، وما دانوا به من الإسلام.

وفي العام التالي لاثنتي عشرة سنة من البعثة وافى موسم الحج اثنا عشر رجلا من الأنصار، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه، فلما عادوا أرسل معهم مصعب بن عمير إلى المدينة ليقرئ المسلمين فيها القرآن، ويعلمهم الإسلام، فانتشر الإسلام في المدينة انتشارا كبيرا، وفي العام الذي يليه حضر من الأنصار جماعة في موسم الحج فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه

[1] محمد سعيد رَمضان البوطي، كتاب فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر –دمشق ، ط25، 1426 هـ، ص97.
[2] علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام،مكتبة النهضة الإسلامية،القاهرة د ت، ص 169

وسلم مستخفين، وكانوا سبعين رجلا وامرأتين، وبايعوه على النصرة والتأييد، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وعادوا إلى المدينة بعد أن اختار منهم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم.[1]

2-الهجرة و استقرار النبي في المدينة

الوقائع التاريخية:

علمت قريش بإسلام فريق من أهل يثرب، فاشتد أذاها للمؤمنين بمكة، فأمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجروا مستخفين، إلا عمر ﷺ، فإنه أعلم مشركي قريش بهجرته [التحرير أن عمر ﷺ هاجر سراكسائر الصحابة]، وقال لهم: من أراد أن تثكله أمه فليلحق بي غدا ببطن هذا الوادي، فلم يخرج له أحد.

ولما أيقنت قريش أن المسلمين قد أصبحوا في المدينة في عزة ومنعة، عقدت مؤتمرا في دار الندوة للتفكير في القضاء على الرسول نفسه، فقرَّ رأيهم على أن يتخيروا من كل قبيلة منهم فتى جلدا، فيقتلوه جميعا، فيتفرق دمه في القبائل، ولا يقدر بنو مناف على حربهم جميعا، فيرضوا بالدية، وهكذا اجتمع الفتيان الموكلون بقتل الرسول ﷺ على بابه ليلة الهجرة ينتظرون خروجه ليقتلوه.[2]

لم ينم الرسول ﷺ تلك الليلة على فراشه، وإنما طلب من علي ﷺ أن ينام مكانه، وأمره إذا أصبح أن يرد الودائع التي كان أودعها كفار قريش عنده إلى أصحابها، وغادر الرسول ﷺ بيته دون أن يشاهده الموكلون بقتله، وذهب إلى بيت أبي بكر، وكان قد هيأ من قبل راحلتين له وللرسول ﷺ، فعزما على الخروج، واستأجر أبو بكر عبد الله بن أريقط الدِّيلي وكان مشركا ليدلهما على طريق المدينة، على أن يتجنب الطريق المعروفة إلى طريق أخرى لا يهتدي إليها كفار قريش.

خرج رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول لسنة ثلاث وخمسين من مولده عليه الصلاة والسلام، ولم يعلم بأمر هجرته إلا علي ﷺ وآل أبي بكر ﷺ، وعملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر في تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها – وهو ما يشد به الوسط- فربطت به على فم الجراب – وعاء الطعام- فسميت لذلك: ذات النطاقين، واتجها مع دليلهما عن طريق اليمن حتى وصلا إلى «غار ثور»، فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف «حاذق» لقن «سريع الفهم»، فيخرج من عندهما بالسَحَر، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائما فيها، فلا يسمع من قريش أمرا يبيتونه لهما إلا وعاه حتى يأتيهما في المساء بخبره.

قامت قيامة قريش لنجاة الرسول ﷺ من القتل، وخرجوا يطلبونه من طريق مكة المعتاد، فلم يجدوه واتجهوا إلى طريق اليمن، ووقفوا عند فم «غار ثور» يقول بعضهم: لعله وصاحبه في هذا الغار. فيجيبه الآخرون: ألا ترى إلى فم الغار كيف تنسج عليه العنكبوت خيوطها، وكيف تعشعش فيه الطيور، مما يدل على أنه لم يخل هذا الغار أحد منذ أمد، وأبو بكر ﷺ يرى أقدامهم وهم واقفون على فم الغار، فيرتعد خوفا على حياة الرسول ﷺ ويقول له: والله يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا، فيطمئنه الرسول ﷺ بقوله: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟».

أرسلت قريش في القبائل تطمع كل من عثر على الرسول ﷺ وصاحبه، أو قتله، أو أسره، في دفع مبلغ ضخم من المال يغري الطامعين، فانتدب لذلك سراقة بن جعشم ، وأخذ على نفسه أن يتفقدهما ليظفر وحده بالجائزة.

بعد أن انقطع طلب رسول الله ﷺ وصاحبه، خرجا من الغار مع دليلهما وأخذا طريق الساحل «ساحل البحر الأحمر» وقطعا مسافة بعيدة أدركهما من بعدها سراقة، فلما اقترب منهما، ساخت قوائم فرسه في الرمل فلم تقدر على السير، وحاول

[1] نفسه ،ص170.
[2] ابن الاثير ، المصدر السابق، ج 01 ، ص604.

ثلاث مرات أن يحملها على السير جهة الرسول ﷺ، عندئذ أيقن أنه أمام رسول كريم، فطلب من الرسول ﷺ أن يعده بشيء إن نصره، فوعده بسواري كسرى يلبسهما، ثم عاد سراقة إلى مكة فتظاهر بأنه لم يعثر على أحد.[1]

3-أسس الدولة الإسلامية :

وصل الرسول ﷺ وصاحبه المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وبعد أن طال انتظار أصحابه له، يخرجون كل صباح إلى مشارف المدينة، فلا يرجعون إلا حين تحمى الشمس وقت الظهيرة، فلما رأوه فرحوا به فرحا عظيما، وأخذت الولائد ينشدن بالدفوف:

طلع البدر عـــلينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعـــا لله داع

أيها المبعـــوث فينا جئت بالأمر المطاع

كان الرسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة قد وصل إلى «قباء» وهي قرية جنوب المدينة على بعد ميلين منها، فأسس فيها أول مسجد بني في الإسلام، وأقام فيها أربعة أيام، ثم سار صباح الجمعة إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فبنى مسجدا هناك وأقام أول جمعة في الإسلام، وأول خطبة خطبها في الإسلام، ثم سار إلى المدينة، فلما وصلها كان أول عمل عمله بعد وصوله أن اختار المكان الذي بركت فيه ناقته ليكون مسجدا له، وكان المكان لغلامين يتيمين من الأنصار، فساومهما على ثمنه، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى إلا أن يبتاعه منهما بعشرة دنانير ذهبا أداها من مال أبي بكر، ثم ندب المسلمين للاشتراك في بناء المسجد، فأسرعوا إلى ذلك، وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن [الطوب]، حتى تم بناء المسجد جدرانه من لَبِن، وسقفه من جريد النخل مقاما على الجذوع.

ثم كان أن آخى المهاجرين والأنصار، فجعل لكل أنصاري أخا من المهاجرين، فكان الأنصاري يذهب بأخيه المهاجر إلى بيته، فيعرض عليه أن يقتسم معه كل شيء في بيته.[2]

ثم كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وقد ذكر ابن هشام هذا الكتاب بطوله في سيرته، وهو يتضمن المبادئ التي قامت عليها أول دولة في الإسلام، وفيها من الإنسانية والعدالة الاجتماعية والتسامح الديني والتعاون على مصلحة المجتمع ما يجدر بكل طالب أن يرجع إليه ويتفهمه ويحفظ مبادئه.

ونحن نذكر المبادئ العامة التي تضمنتها هذه الوثيقة التاريخية الخالدة:

1- وحدة الأمة المسلمة من غير تفرقة بينها.

2- تساوي أبناء الأمة في الحقوق والكرامة.

3- تكاتف الأمة دون الظلم والإثم والعدوان.

4- اشتراك الأمة في تقرير العلاقات مع أعدائها لا يسالم مؤمن دون مؤمن.

5- تأسيس المجتمع على أحدث النظم وأهداها وأقومها.

6- مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام، ووجوب الامتناع عن نصرتهم.

7- حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما متعاونا، والامتناع عن ظلمهم والبغي عليهم.

8- لغير المسلمين دينهم وأموالهم، لا يجبرون على دين المسلمين ولا تؤخذ منهم أموالهم.

---

[1] علي إبراهيم حسن ، المرجع السابق، ص 167.

[2] عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص ص 221

9- على غير المسلمين أن يسهموا في نفقات الدولة كما يسهم المسلمون.

10- على غير المسلمين أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد أي عدوان.[1]

11- وعليهم أن يشتركوا في نفقات القتال ما دامت الدولة في حالة حرب.

12- على الدولة أن تنصر من يظلم منهم، كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه.

13- على المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم.

14- إذا كانت مصلحة الأمة في الصلح، وجب على جميع أبنائها مسلمين وغير مسلمين أن يقبلوا بالصلح.

15- لا يؤاخذ إنسان بذنب غيره، ولا يجني جان إلا على نفسه وأهله.

16- حرية الانتقال داخل الدولة وخارجها مصونة بحماية الدولة.

17- لا حماية لآثم ولا لظالم.

18- المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

19- هذه المبادئ تحميها قوتان:

- قوة معنوية، وهي: إيمان الشعب بالله ومراقبته له، ورعاية الله لمن [عاهد] ووفى.
- وقوة مادية، وهي رئاسة الدولة التي يمثلها مُحَمَّد ﷺ.[2]

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية، مج 3، ص 36 ؛ ابوعبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ، فضائل الصحابة ، ط3 ، دار الكتب العربية ؛ مج 1 ،ص65.

[2] ابراهيم حركات ، السياسة و المجتمع في العصر النبوي ، منشورات دار الافاق الجديدة ، المغرب ، ص91.

المحاضرة السادسة :الغزوات و السرايا:

اصطلح المؤرخون المسلمون على أن يسموا كل معركة بين المسلمين و المشركين و حضرها النبي بنفسه "غزوة"و كل مناوشة حصلت بين الفريقين و لم يحضرها الرسول صلى الله عليه و سلم "سرية"و قد بلغت عدد غزوات الرسول صلى الله عليه و سلم ست اً و عشرين غزوة، وبلغت عدد سراياه ثمانية و ثلاثين سرية ، وسنقتصر على ذكر بعض السرايا وأشهر غزواته:

-1 ففي رمضان من السنة الأولى الهجرية التقى حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المسلمين ، بأبي جهل يقود قافلة قريش و معه ثلاثمائة راكب ، و قد حجز بينهما مجدي بن عم رو الجهني فلم يقع قتال[1] .

-2 و في شوال من السنة نفسها ، سار عبيدة بن الحارث في ستين راكب اً إلى وادى رابغ. فالتقى بمائتي مشرك على رأسهم أبو سفيان و قد ترامى الفريقان بالنبل و لم يقع قتال [2] .

-3 سرية ال خرَّار:في ذي القعدة من السنة الأولى هجري وأميرها سعد بن أبي الوقاص و قوامها عشرون رجلا لاعتراض عير قريش لكنهم لما وصل وا و جدوها فاتتهم [3] .

-4 غزوة ودان :خرج الرسول صلى الله عليه بنفسه من المدينة بعد ان استخلف عليها سعد بن عبادة ، و سار حتى وصل الى ودان ،و ذلك من أجل أن يعترض عير ا لقريش ، و لكنها فاتته، و هناك صالح بني ضمرة و عقد معهم معاهدة ، و رجع الى المدينة بعد خمسة عشر ليلة 4[4] .

-5 و في ربيع الأول من السنة نفسها خرج الرسول صلى الله عليه و سلم على رأس مائتين من المهاجرين و الأنصار إلى بواط معترض اً عير اً لقريش يقودها أمية بن خلف و معه مائة من المشركين ففاتته[5] .

-6 سرية عبد الله بن جحش: تعرف بسرية النخلة في رجب السنة الثانية للهجرة و معه ثمانية من المهاجرين ، وكتب له كتابا أمره فيه الا يفضه حتى يسير يومين ، ثم قرأ الكتاب بعد يومين ، فإذا فيه : أمض حتى تنزل نخلة

1-غزوة بدر الكبرى:

ما كاد يستقر النبي ﷺ في المدينة حتى بدأت المعارك الحربية بينه وبين قريش ومن والاها من قبائل العرب، وقد اصطلح المؤرخون والمسلمون على أن يسموا كل معركة بين المسلمين والمشركين وحضرها النبي بنفسه «غزوة» وكل مناوشة حصلت بين الفريقين ولم يحضرها الرسول ﷺ « سرية» وقد بلغ عدد غزوات الرسول ﷺ ستا وعشرين غزوة، وبلغ عدد سراياه ثمانيا وثلاثين سرية، ونقتصر في هذه العجالة على أشهر غزواته، وهي إحدى عشرة غزوة.

وكانت في اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة، وسببها أن النبي ﷺ ندب أصحابه للتعرض لقافلة قريش العائدة من الشام إلى مكة، ولم يكن يريد قتالا، ولكن القافلة التي كان يقودها أبوسفيان نجت بعد أن كان أرسل إلى قريش يستنفرها لحماية القافلة، فخرجت قريش في نحو من ألف مقاتل، منهم ستمائة دارع (لابس للدرع) ومائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة، وسبعمائة بعير، ومعهم القيان يضربن بالدفوف، ويغنين بهجاء المسلمين.[6]

---

[1] نفسه ، ص92.
[2] نفسه ، ص93.
[3] نفسه، ص94.
[4] محمد عبد القادر أبو فارس. ،غزوة بدر الكبرى ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، د ت ، ص33، 34.
[5] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد ، جوامع السيرة النبوية ،تح عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية ، 1424 - 2003 ،ص107.
[6] انظر، سيرة ابن هشام مج 2،ص233.

أما المسلمون فكانت عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلا، وأكثرهم من الأنصار، وكان معهم سبعون جملا، وفرسان أو ثلاثة أفراس فحسب، وكان يتعاقب النفر اليسير على الجمل الواحد فترة بعد أخرى، وقبل أن يخوض المعركة، أراد أن يستشير أصحابه، وخاصة الأنصار، في خوض المعركة، فأشار عليهم المهاجرون بخوضها، ثم علم الأنصار أنه يريدهم، فقال له سعد بن معاذ وهو سيد الأنصار جميعا: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. وقال غيره مثل ذلك، فسر الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك، وقال: سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، إما العير، وإما النفير، ثم سار الرسول ﷺ حتى وصل أدنى ماء من بدر فنزل به، فقال الحباب بن المنذر: يارسول الله! هذا منزل أنزلكه الله تعالى: لا تتقدمه ولا تتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول ﷺ بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فأشار عليه الحباب بن المنذر أن يسير إلى مكان آخر هو أصلح وأمكن للمسلمين من قطع ماء بدرعن المشركين، فنهض الرسول ص، فنهض الرسول ﷺ وأصحابه حتى وصلوا إلى المكان الذي أشار به الحباب، فأقاموا فيه، ثم أشار سعد بن معاذ أن يبني للرسول ﷺ عريشا وراء صفوف المسلمين، فإن أعزهم الله كان ما أحب، وإلا جلس على ركائبه ولحق بمن في المدينة، فقد تخلف عنا أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا لما تخلفوا عنك، فدعا له النبي ﷺ، وأمر أن يبنى له العريش، ولما التقى الجمعان، أخذ الرسول يسوي صفوف المسلمين، ويحرضهم على القتال، ويرغبهم في الشهادة، وقال: « والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» ورجع إلى عريشه ومعه أبو بكر، ويحرسه سعد بن معاذ متوشحا بسيفه، وأخذ الرسول ﷺ في الدعاء، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين،[1]

وقد قتل من المشركين نحو من السبعين، فيهم أشركهم أبو جهل وبعض زعمائهم، وأسر منهم نحو السبعين، ثم أمر بدفن القتلى جميعا، وعاد إلى المدينة، ثم استشار أصحابه في أمر الأسرى، فأشار عليه عمر بقتلهم، وأشار عليه أبو بكر بفدائهم، فقبل الرسول ﷺ مشورة أبي بكر، وافتدى المشركون أسراهم بالمال.[2]

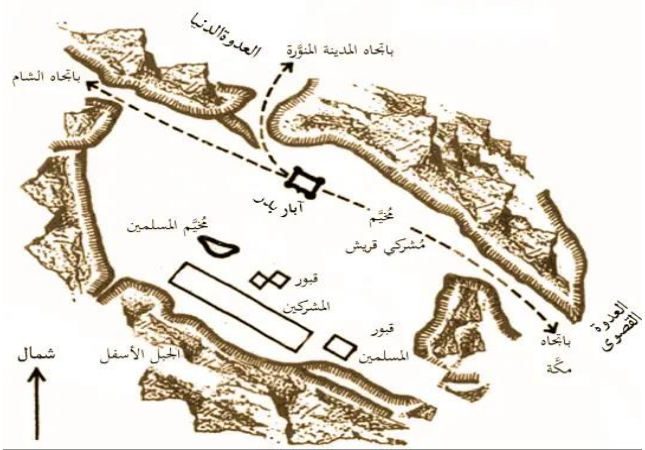

خريطة معركة بدر

[1] ابن هشام، المصدر نفسه، ج 02 ، ص52.
[2] انظر، البداية والنهاية مج3، ص267.

2-غزوة أحد:

وكانت يوم السبت لخمس عشرة خلت من شوال في العام الثالث للهجرة، وسببها أن قريشا أرادت أن تثأر ليوم بدر، فما زالت تستعد حتى تجهزت لغزو الرسو ل ﷺ في المدينة، فخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل، ما عدا الأحابيش فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس، ومعهم سبع عشرة امرأة، فيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان،[1] وقد قتل أبوها يوم بدر، ثم ساروا حتى وصلوا بطن الوادي من قبل أحد (وهو جبل مرتفع يقع شمال المدينة على بعد ميلين منها) مقابل المدينة، وكان من رأي الرسول وعدد من الصحابة ألا يخرج المسلمون إليهم، بل يظلون في المدينة، فإن هاجمهم المشركون صدوهم عنها، ولكن بعض شباب المسلمين وبعض المهاجرين والأنصار، وخاصة من لم يحضر منهم معركة بدر ولم يحصل له شرف القتال فيها، تحمسوا للخروج إليهم ومنازلتهم في أماكنهم، فنزل الرسول ﷺ عند رأيهم، ودخل بيته ولبس لأمته (درعه)، وألقى الترس في ظهره، وأخذ قناته بيده، ثم خرج إلى المسلمين، وهو متقلد سيفه، فندم الذين أشاروا عليه بالخروج إذ كانوا سببا في حمله على خلاف رأيه، وقالوا للرسول: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت أو اقعد إن شئت، فأجابهم الرسول ﷺ بقوله: «ما كان ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»، ثم خرج والمسلمون معه في نحو ألف بينهم مائة دارع وفرسان.

ولما تجمع المسلمون للخروج، رأى الرسول جماعة من اليهود يريدون أن يخرجوا مع عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين للخروج مع المسلمين، فقال الرسول: «أو قد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: مروهم فليرجعوا؛ فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»، وفي منتصف الطريق انخذل عن المسلمين عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثلاثمائة من المنافقين.[2]

فبقي عدد المسلمين سبعمائة رجل فحسب، ثم مضى الرسول حتى وصل إلى ساحة أحد، فجعل ظهره للجبل ووجهه للمشركين، وصف الجيش، وجعل على كل فرقة منه قائدا، واختار خمسين من الرماة، على رأسهم عبد الله بن جبير الأنصاري ليحموا ظهر المسلمين من التفاف المشركين وراءهم، وقال لهم: «احموا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا، وارشقوهم بالنبل؛ فإن الخيل لا تقوم على النبل، إنا لا نزال غالبين ماثبتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم» وقال لهم في رواية أخرى: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم أو ظاهرناهم وهم قتلى، فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم».[3]

ثم ابتدأ القتال، ونصر الله المؤمنين على أعدائهم، فقتلوا منهم عددا، ثم ولوا الأدبار، فانغمس المسلمون في أخذ الغنائم التي

---

[1] انظر سرية زيد بن حارثة الى القردة في السنة 03 هجري ، ابن هشام ، السيرة ،ج2 ، ص88.
[2] عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص 27
[3] ابن كثير ، المصدر السابق ، ح 04 ،ص 34

وجدوها في معسكر المشركين، ورأى ذلك من وراءهم من الرماة فقالوا: ماذا نفعل وقد نصر الله رسوله؟ ثم فكروا في ترك أمكنتهم لينالهم نصيب من الغنائم، فذكرهم رئيسهم عبد الله بن جبير بوصية الرسول، فأجابوا بأن الحرب قد انتهت، ولا حاجة للبقاء حيث هم، فأبى عبد الله ومعه عشرة آخرون أن يغادروا أمكنتهم، ورأى خالد بن الوليد وكان قائد ميمنة المشركين خلو ظهر المسلمين من الرماة، فكرَّ عليهم من خلفهم، فما شعر المسلمون إلا والسيوف تناوشهم من هنا وهناك، فاضطرب حبلهم، وأشيع أن الرسول قد قتل، ففر بعضهم عائدا إلى المدينة، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الرسول، فأصابته حجارتهم حتى وقع وأغمي عليه، فشج وجهه، وخدشت ركبتاه، وجرحت شفته السفلى، وكسرت الخوذة على رأسه، ودخلت حلقتان من حلقات المِغفر في وجنته، وتكاثر المشركون على الرسول يريدون قتله، فثبت ﷺ وثبت معه نفر من المؤمنين، منهم: أبو دجانة، تترس على الرسول ليحميه من نبال المشركين، فكان النبل يقع على ظهره، ومنهم سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ نحو ألف سهم، ومنهم: نسيبة أم عمارة الأنصارية، تركت سقاء الجرحى، وأخذت تقاتل بالسيف، وترمي بالنبل، دفاعا عن رسول الله ﷺ حتى أصابها في عنقها، فجرحت جرحا عميقا، وكان معها زوجها وابناها، فقال لهم الرسول ﷺ: «بارك الله عليكم أهل بيت» فقالت له نسيبة: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» فقالت ﷺ بعد ذلك: «ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا» وقد قال ﷺ في حقها: «ما التفت يمينا وشمالا يوم أحد، إلا ورأيتها تقاتل دوني» وقد جرحت يومئذ اثني عشر جرحا، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.[1]

وقد حاول في ساعة الشدة أن يصل أبي بن خلف إلى الرسول ﷺ ليقتله، وأقسم ألا يرجع عن ذلك، فأخذ عليه السلام حربة ممن كانوا معه، فسددها في نحره، فكانت سبب هلاكه، وهو الوحيد الذي قتله ﷺ في جميع معاركه الحربية.[2]

ثم استطاع ﷺ الوقوف والنهوض على أكتاف طلحة بن عبيد الله، فنظر إلى المشركين، فرأى جماعة منهم على ظهر الجبل، فأرسل من ينزلهم قائلا: «لا ينبغي لهم أن يعلونا، اللهم لا قوة لنا إلا بك» وانتهت المعركة، وقال أبو سفيان مظهرا تشفيه والمشركين من هزيمتهم يوم بدر: يوم بيوم بدر.[3]

وممن قتل في هذه المعركة حمزة عم الرسول ﷺ، ومثلت به هند زوج أبي سفيان، واحتزت قلبه ومضغته، فرأت له مرارة ثم لفظته، وقد حزن الرسول ﷺ لمشهده حزنا عظيما فقال: «لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم، ولكن الله نهى عن المثلة بعد ذلك».

وقد بلغ عدد قتلى المسلمين في هذه المعركة نحوا من السبعين، وقتلى المشركين ثلاثة وعشرين.[4]

3-غزوة بني النضير:

وهم قوم من اليهود يجاورون المدينة، وكانوا حلفاء للخزرج وبينهم وبين المسلمين عهد سلم وتعاون كما قدمنا، ولكن طبيعة الشر والغدر المتأصلة في اليهود أبت إلا أن تحملهم على نقض عهدهم، فبينما كان الرسول ﷺ وبعض أصحابه في بني النضير وقد استند إلى جدار من بيوتهم، إذ تآمروا على قتله بإلقاء صخرة من ظهر البيت، فعلم ﷺ بذلك فنهض سريعا كأنه يهم بحاجة، فتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه ثم أرسل إليهم مُحَمَّد ابن مسلمة أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، ثم أمهلهم ﷺ عشرة أيام للخروج[5]، وتجهز بنو النضير للخروج في هذا الإنذار، ولكن عبد الله بن أبيّ

---

[1] ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص48.
[2] عبد الحميد حسين حمودة، المرجع نفسه، ص112.
[3] نفسه
[4] انظر البداية والنهاية ،مج3،ص268.
[5] ابن كثير ،المصدر السابق ، ج 06 ، ص ص 12-14.

رأس المنافقين أرسل إليهم ينهاهم عن الخروج، ويعدهم بإرسال ألفين من جماعته يدافعون عنهم، فعدلوا عن النزوح، وتحصنوا في حصونهم، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، فخرج إليهم ﷺ في أصحابه يحمل لواءه علي بن أبي طالب، فلما رآهم اليهود أخذوا يرمونهم بالنبل والحجارة، ولم يصل إليهم المدد الذي وعدهم به رأس المنافقين، فحاصرهم عليه الصلاة والسلام، فصبروا فاضطر إلى قطع نخيلهم، فقالوا عندئذ: نخرج من بلادك، واشترط عليهم صلى الله عليه وسلم ألا يخرجوا معهم السلاح، ولهم أن يخرجوا معهم من أموالهم ما حملته الإبل، ودماؤهم مصونة لا يسفك منها قطرة، فلما أرادوا الخروج أخذوا كل شيء يستطيعونه، وهدموا بيوتهم كيلا يستفيد منها المسلمون، وساروا، فمنهم من نزل خيبر على بعد مائة ميل من المدينة، ومنهم من نزل في ناحية « جرش» بجنوب الشام، ولم يسلم منهم إلا اثنان.[1]

4-غزوة الأحزاب:

وتسمى غزوة (الخندق)، وقد وقعت في شوال من السنة الخامسة للهجرة، وسببها أنه لما تم إجلاء بني النضير، قدم عدد من حلفائهم إلى مكة يدعون قريشا ويحرضونها على قتال الرسول، فأجابت قريش لذلك، ثم ذهب رؤساء اليهود إلى غطفان، فاستجابت لهم بنو فزارة وبنو مرة، وأشجع واتجهوا نحو المدينة، فلما سمع ﷺ بخروجهم، استشار أصحابه فأشار عليه سلمان بحفر خندق حول المدينة، فأمر رسول الله ﷺ بحفره وعمل فيه بنفسه، ولما وصلت قريش ومن معها من الأحزاب راعها ما رأت من أمر الخندق، إذ لا عهد للعرب بمثله، وكانت عدتهم عشرة آلاف، وعدة المسلمين ثلاثة آلاف، وكان حُيي بن أخطب أحد اليهود الذين هيجوا قريشا والأحزاب ضد المسلمين، وقد ذهب إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة يطلب إليه نقض عهد السلم بينه وبين المسلمين، وفكر النبي ﷺ في مصالحة بني قريظة على ثلث ثمار المدينة، ولكن الأنصار رفضوا اعتزازا بدينهم من أن يعطوا الدنية لهؤلاء الخائنين للعهود والمواثيق، وبدأ القتال باقتحام بعض فرسان المشركين للخندق من إحدى نواحيه الضيقة، فناوشهم المسلمون وقاتلوهم، ثم جاء نعيم بن مسعود ابن عامر إلى الرسول ﷺ، فأخبره أنه قد أسلم، وأن قومه لا يعلمون بإسلامه، وأنه صديق لبني قريظة يأتمنونه ويثقون به،[2] وقال للرسول: «مرني بما شئت» فقال له الرسول: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخَذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة» فاستعمل نعيم دهاءه حتى فرق بين قريش وحلفائها، وبين بني قريظة، وأوقع في نفوس كل من الفريقين الشك في الآخر، وأرسل الله على الأحزاب ريحا شديدة في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفئ قدورهم وتمزق خيامهم، فامتلأت نفوس الأحزاب بالرعب ورحلوا في تلك الليلة، فلما أصبح الصباح نظر المسلمون فلم يروا أحدا.[3]

5-غزوة بني قريظة:

وقد وقعت في السنة الخامسة للهجرة عقب غزوة الأحزاب، وذلك أن رسول الله ﷺ بعد أن رأى ما انطوت عليه نفوس يهود بني قريظة من اللؤم والغدر والتحزب مع قريش وحلفائها، وبعد أن أعلنت له إبان اشتداد معركة الأحزاب أنها نقضت عهدها معه، وكانت وهي تساكن الرسول ﷺ في المدينة تهم بشر عظيم قد يقضي على المسلمين جميعا لولا انتهاء معركة الأحزاب بمثل ما انتهت إليه، رأى رسول الله ﷺ أن يؤدب هؤلاء الخائنين الغادرين، ويطهر منهم المدينة مقر جهاده ودعوته حتى لا تواتيهم الظروف مرة أخرى، فينقضوا على جيرانهم المسلمين ويبيدوهم كما هي طبيعة الغدر اليهودي اللئيم.

---

[1] أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري 224 - 310 هـ) ، المصدر السابق،ج 02 ، ص ص 92.
[2] ابن كثير ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص ص 13.
[3] الطبري ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 93.

وروى البخاري عن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال: وضعتَ السلاح، فوالله ما وضعتُه. قال: فأين؟ قال: ههنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول الله ﷺ.[1]

أمر رسول الله ﷺ من ينادي في الناس بأن لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، ثم خرج فيهم وقد حمل رايته علي ﵁، وقد اجتمع من المسلمين ثلاثة آلاف، ومن الخيل ست وثلاثون، فلما دنا علي من حصن بني قريظة، سمع منهم مقالة قبيحة في حقه ﷺ وحق أزواجه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، وطلب إليه ألا يدنو من أولئك الأخباث، فأجابه عليه السلام بأنهم إذا رأوه لم يقولوا من ذلك شيئا لما يعلم من أخلاقهم في النفاق والملق، فلما رأوه تلطفوا به كما تنبأ ﷺ، ثم أخذ المسلمون في حصارهم خمسا وعشرين ليلة، فلما ضاق بهم الأمر نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس، فحكم سعد بأن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى ذراريهم، وأن تقسم أموالهم، فنفذ الرسول حكمه، وبذلك قضى على مؤامرات اليهود ودسائسهم وتآمرهم على رسول الله ﷺ ودعوته قضاء مبرما في المدينة وما حولها.[2]

6-غزوة الحديبية:

وقعت في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وكان من أمرها أن رسول الله ﷺ رأى في منامه أنه دخل البيت هو وصحابته آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون شيئا، فأمر الناس أن يتجهزوا للخروج إلى مكة معتمرين،[3] لا يريد حربا لقريش ولا قتالا، فخرج معه المهاجرون والأنصار يحدوهم الشوق إلى رؤية بيت الله الحرام بعد أن حرموا من ذلك ست سنوات، وخرج معهم من شاء من الأعراب، وساق أمامه ﷺ وهو ما يساق إلى البيت الحرام من الإبل والنعم تعظيما للبيت وتكريما، وأحرم بالعمرة من مكان يسمى بذي الحليفة، ليعلم الناس وقريش خاصة أنه لا يريد قتالا، وكان عدد من خرج معه نحوا من ألف وخمسمائة، ولم يخرجوا معهم بسلاح إلا سلاح المسافر في تلك العهود: السيوف في أغمادها، وسار حتى وصل إلى «عسفان» جاء من يقول له: هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا وقد لبسوا جلود النمور يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا، فقال ﷺ: "يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب! ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني، كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة".[4]

فلما وصل الحديبية – وهي مكان قريب من مكة بينها وبين طريق جدة الآن– جاءه بعض رجال من خزاعة يسألونه عن سبب قدومه، فأخبرهم أنه لم يأت إلا ليزور البيت ويعتمر، فرجعوا وقالوا لهم: إنكم تعجلون على مُحَمَّد، لم يأت لقتال، إنما جاء زائرا لهذا البيت. فقالوا: لا والله لا يدخلها عليهم عنوة أبدا، ولا يتحدث العرب عنا بذلك.

ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفي ليتحدث إلى الرسول بهذا الشأن، وبعد حديث وأخذ ورد بين عروة وبعض الصحابة، عاد إلى قريش وحدثهم عما رأى من حب الصحابة لرسول الله ﷺ، وهيبتهم له،[5] ورغبتهم في الصلح معه، فأبوا ذلك، ثم بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان إلى أهل مكة ليؤكد لهم الغرض من مجيء الرسول وصحابته، وأبطأ عثمان، فأشيع بين المسلمين أنه قد قتل، فقال الرسول عندئذ: لا نبرح حتى نناجز القوم (نقاتلهم) ودعا المسلمين إلى البيعة على الجهاد، والشهادة في

---

[1] ابن هشام ، المصدر السابق ، ج 03 ، ص ص 240

[2] نفسه.

[3] حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق، ص106.

[4] ابن هشام ، المصدر السابق ، ج 03 ، ص332.

[5] راغب السرجاني ، المرجع السابق، ص 50

سبيل الله، فبايعوه تحت شجرة هناك من أشجار الطلح على عدم الفرار، وأنه إما الصلح، وإما الشهادة، ولما علمت قريش بأمر البيعة، خافوا ورأوا الصلح معه على أن يرجع هذا العام ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب: الرماح والسيوف في أغمادها، وأرسلت قريش لذلك سهيل بن عمرو ليتم هذا الصلح، وأخيرا تم هذا الصلح، على ما رغبت قريش، وعلى وضع الحرب بين الفريقين عشر سنين، وأن من أتى من عند مُحَمَّد إلى مكة لم يردوه،[1] وأن من أتى مُحَمَّدا من مكة ردوه إليهم، فعز ذلك على المسلمين، وأخذ بعضهم يجادل النبي ﷺ فيما جاء من شروطها، ومن أشدهم في ذلك عمر، حتى قال رسول الله: «إني عبد الله ولن يضيعني» ثم أمر الرسول أصحابه بالتحلل من العمرة فلم يفعلوا ذلك في موجة من الألم، لما حيل بينهم وبين دخول مكة، ولما شق عليهم من شروط الصلح فبادر عليه السلام بنفسه، فتحلل من العمرة، فتبعه المسلمون جميعا، وقد ظهرت فيما بعد فوائد هذه الشروط التي صعبت على المسلمين ورضي بها الرسول، لبعد نظره ورجحان عقله، وإمداد الوحي له بالسداد في الرأي والعمل.[2]

7–غزوة خيبر:

وكانت في أواخر المحرم للسنة السابعة من الهجرة، و(خيبر) واحة كبيرة يسكنها اليهود على مسافة مائة ميل من شمال المدينة جهة الشام، وسببها أن النبي ﷺ بعد أن أمن جانب قريش بالصلح الذي تم في الحديبية، قرر تصفية مشكلة التجمعات اليهودية فيما حول المدينة بعد أن صفى اليهود من المدينة نفسها، وقد كان لليهود في خيبر حصون منيعة، وكان فيها نحو من عشرة آلاف مقاتل، وعندهم مقادير كبيرة من السلاح والعتاد، وكانوا أهل مكر وخبث وخداع، فلا بد من تصفية مشكلتهم قبل أن يصبحوا مصدر اضطراب وقلق للمسلمين في عاصمتهم (المدينة) ولذلك أجمع الرسول ﷺ على الخروج إليهم في أواخر المحرم، فخرج إليهم في ألف وستمائة مقاتل، منهم مائتا فارس، واستنفر من حوله ممن شهد الحديبية، وسار حتى إذا أشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا، ثم عاد فقال: «اللهم رب السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن [حملن]، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله».[3]

ولما وصلوا إليها نزل النبي ﷺ قريبا من أحد حصون خيبر يسمى (حصن النطاة) وقد جمعوا فيه مقاتلتهم، فأشار الحباب بن المنذر بالتحول، لأنه يعرف أهل النطاة معرفة جيدة، وليس قوم أبعد مدى ولا أعدل رمية منهم، وهم مرتفعون على مواقع المسلمين، فالنبل منهم سريع الانحدار إلى صفوف المسلمين، ثم إنهم قد يباغتون المسلمين في الليل مستترين بأشجار النخيل الكثيرة، فتحول الرسول مع المسلمين إلى موضع آخر وابتدأت المعارك، يفتح المسلمون منها حصنا بعد حصن، إلا الحصنين الأخيرين، فقد رغب أهلها في الصلح على حقن دماء المقاتلة، وترك الذرية والخروج إلى أرض خيبر بذراريهم، وألا يصحب أحد منهم إلا ثوبا واحدا، فصالحهم على ذلك، وعلى أن ذمة الله ورسوله بريئة منهم إن كتموا شيئا، ثم غادروهما فوجد المسلمون فيهما أسلحة كثيرة، وصحائف متعددة من التوراة، فجاء اليهود بعد ذلك يطلبونها، فأمر بردها إليهم، وقد بلغ عدد قتلى اليهود في هذه المعركة ثلاثة وتسعين، واستشهد من المسلمين خمسة عشر.[4]

8–غزوة مؤتة:

كانت في جمادى الأولى للسنة الثامنة من الهجرة، و (مؤتة) قرية على مشارف الشام، تسمى الآن بـ(الكرك) جنوب شرق

---

[1] عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص 301

[2] ابن كثير ،المصدر السابق ، ج 06 ، ص ص 407

[3] نفسه ، ص ص 249.

[4] ابراهيم حركات ، المرجع السابق ن 177.

البحر الميت، وكان سببها أن الرسول كان قد أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه فيه إلى الإسلام – وكان ذلك من جملة كتبه التي بعث بها عليه السلام غلى ملوك العالم وامراء العرب بعد صلح الحديبية– فلما نزل مؤتة أحد الأمراء العرب الغساسنة التابعين لقيصر الروم؛ قال له أين تريد؟ لعلك من رسل مُحَمَّد؟ قال: نعم. فأوثقه وضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاشتد عليه الأمر إذ لم يقتل له رسول غيره، وجهز لهم جيشا من المسلمين عدته ثلاثة آلاف[1]، وأمر عليهم زيد بن حارثة، واوصاهم إن أصيب زيد فليؤمروا جعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فليؤمروا عليهم عبد الله بن رواحة، وطلب من زيد أن يأتي مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعو من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا فليستعينوا بالله وليقاتلوهم، وأوصاهم بقوله: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معهم من المسلمين خيرا، اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا (الغلول السرقة) ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا، ولا منعزلا بصومعة، ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء» ثم سار الجيش على بركة الله، وقد شيعهم الرسول بنفسه، ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا معان، فبلغهم أن هرقل قد جمع لهم جمعا عظيما، ونزل في مآب من أرض البلقاء (هي كورة من أعمال دمشق قصبتها عمان) وكان جيش الروم مؤلفا منهم ومن العرب المنتصرة، فتشاور المسلمون فيما بينهم، ورأوا أن يطلبوا من الرسول مددا، أو يأمرهم بأمر آخر فيمضون له، فقال عبد الله بن رواحة: والله إن الذي تكرهون هو ما خرجتم له، تطلبون الشهادة، ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ولا قوة،[2]

وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فإنما هي إحدى الحسنيين؛ فإما الظفر وإما الشهادة، فوافقه الناس على خوض المعركة، وابتدأ القتال، فقاتل زيد حتى قتل، ثم استلم اللواء بعده جعفر بن أبي طالب، فقاتل على فرسه، ثم اضطر للنزول عنها فقاتل مترجلا، فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره، فقطعت يساره، فاحتضن اللواء حتى قتل ﷺ، ووجد فيه بضع وسبعون جرحا ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، ثم اتفق المسلمون على إمرة خالد بن الوليد للجيش – وكانت هذه أول معركة يحضرها في الإسلام– فما زال يستعمل دهاءه الحربي حتى أنقذ الجيش الإسلامي من الفناء، ثم عاد به إلى المدينة.

كانت هذه أول معركة يخوضها المسلمون خارج جزيرة العرب ضد الروم، وسميت بالغزوة وإن لم يحضرها رسول الله ﷺ، لكثرة المحاربين فيها، حيث بلغوا ثلاثة آلاف مما يخالف عدد المحاربين في السرايا.

وقد أطلق رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد في هذه المعركة: (سيف الله).[3]

9–غزوة الفتح:

وهي فتح مكة، وكانت في رمضان للسنة الثامنة من الهجرة، وسببها أن صلح الحديبية أباح لكل قبيلة عربية أن تدخل في عقد رسول الله ﷺ إن شاءت، أو تدخل في عقد قريش، فارتضت بنو بكر أن تدخل في عقد قريش، وارتضت خزاعة أن تدخل في عقد سول الله ﷺ، وفي تلك السنة (الثامنة) اعتدت بنو بكر على خزاعة،[4] فقتلت منها نحو عشرين رجلا، وأمدت قريش بني بكر بالمال والسلاح، فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ غضب غضبا شديدا، وتجهز لقتال قريش إلا أنه لم يرد أن يخبر الناس عن وجهته، لئلا تستعد قريش، فتستباح حرمة البلد الحرام، وتمتلئ أرجاؤه بأشلاء القتلى، ولكن حاطب بن أبي بلتعة البدري أرسل كتابا سريا إلى مكة يخبرهم فيه بتوجيه الرسول إليهم، فأطلع الله رسوله على أمر الكتاب، فأرسل إلى المرأة التي

[1] ابن كثير ، المصدر السابق ، ج 06 ، ص ص 417-419
[2] عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص127.
[3] ابن هشام ،المصدر السابق، ج 04 ،ص24.
[4] الطبري ، المصدر السابق، ج 02 ، ص160

تحمله بعض أصحابه ليفتشوها، فعثروا على الكتاب، فدعا رسول الله ﷺ حاطبا، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله أما إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرءا ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال له رسول الله ﷺ: «إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».[1]

ثم سار رسول الله ﷺ من المدينة لعشر مضين من رمضان، وفي الطريق أفطر وأفطر الناس معه لما لقوا من الجهد والمشقة في سفرهم، وكان عددهم حين خروجهم من المدينة عشرة آلاف، ثم انضم إليهم في الطريق عدد من قبائل العرب، وفي (مر الظهران) عثر حرس رسول الله على أبي سفيان واثنين معه، فأسروهم وجاؤوا بهم إلى النبي ﷺ، فأسلم أبو سفيان، وقال العباس- الذي لقيه الرسول في الطريق مسلما مهاجرا إلى المدينة- : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا يفتخر به، فقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، ثم وصل الجيش مكة، فأعلن منادي الرسول: من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن واستثنى من ذلك خمسة عشر رجلا عظمت جريرتهم في حق الإسلام ورسوله، ثم دخل رسول الله مكة وهو راكب راحلته، منحن على الرحل، حتى لتكاد جبهته تمس قتب الراحلة شكرا لله على هذا الفتح الأكبر، ثم طاف الرسول بالبيت، وأزال ما حولها من أصنام بلغت ثلاثمائة وستين، ثم دخل الكعبة وصلى ركعتين فيها، ثم وفق على بابها وقريش تنظر ما هو فاعل بها، فقال فيما قال ساعتئذ: «يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، فقال رسول الله ﷺ: اليوم أقول لكم ما قال أخي يوسف من قبل: {لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [يوسف: 92], اذهبوا فأنتم الطلقاء».[2]

ثم اجتمع الناس حول الصفا ليبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس إليهم الرسول على الصفا، وأخذ بيعتهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، بايع الرجال أولا، ثم النساء، ولم يصافح واحدة منهن، وكان فيمن بايعهن هند زوجة أبي سفيان التي أهدر الرسول دمها فيمن أهدر يوم الفتح، فلما علمها، عفا عنها بيعتها.

وفي يوم الفتح أمر رسول الله بلالاً أن يؤذن لصلاة الظهر على ظهر الكعبة، فاستعظم ذلك الحاضرون من قريش ولم يسلموا بعد، ولكن رسول الله أراد ذلك عمدا لسر عظيم وحكمة بالغة.[3]

10-غزوة تبوك:

وتسمى غزوة العسرة، وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة،و(تبوك) موضع بين وادي القرى من أرض الحجاز وبين الشام، وسببها أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام ضمت قبائل لخم، وجذام، وعاملة، وغسان، وهي من نصارى العرب، وكان قصد هرقل من ذلك، الهجوم على المدينة والقضاء على الدولة الناشئة في جزيرة العرب التي أخذت أخبارها وأخبار انتصاراتها تثير جزع هرقل وخوفه، فندب رسول الله الناس للخروج، وكان الوقت وقت عسر شديد وحر شديد، فانتدب المؤمنون الصادقون عن طيب نفس، وتخلف ثلاثة منهم من صادقي الإيمان، وندب رسول الله ﷺ الأغنياء لتجهيز جيش العسرة، فجاؤوا بأموال كثيرة؛ جاء أبوبكر بماله كله، وجاء عمر بنصف ماله، وتصدق عثمان يومئذ بمال كثير، وجهز ثلث الجيش، حتى دعا له الرسول ﷺ وقال: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم». وجاءه عدد من فقراء الصحابة لا يجدون ما يركبون عليه، فقال لهم الرسول ﷺ: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون،

---

[1] ابن هشام ، المصدر السابق، ج 04 ،ص42

[2] لطبري ، المصدر السابق، ج 02 ، ص161.

[3] ابراهيم حركات ، المرجع السابق، ص86..

وتخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا، واعتذر إليه عدد من الأعراب بأعذار غير صحيحة، فقبلها منهم ﷺ.

سار رسول الله ﷺ بالناس ومعه ثلاثون ألف مقاتل، ومن الخيل عشرة آلاف، وكان هذا أعظم ما رأته العرب حتى ذاك، ثم واصل سيره حتى بلغ تبوك، فأقام فيها نحوا من عشرين ليلة، ولم يلق فيها كيدا، ولم يدخل حربا.

وكانت هذه آخر غزواته ﷺ، كما أنزلت آيات كثيرة تتحدث عن موقف المنافقين والمعتذرين من الأعراب في هذه الغزوة، وفيها عتاب من الله لرسوله على قبول معذرتهم، وهي آيات كثيرة تجدها في سورة التوبة.[1]

[1] ابراهيم حركات ، المرجع السابق، ص87.

المحاضرة السابعة :أحداث التي وقعت بعد فتح مكة.

01-غزوة حنين:

بعد أن فتح الله مكة على رسوله والمسلمين فانهارت بذلك مقاومة قريش التي استمرت إحدى وعشرين سنة منذ بدء الرسالة، تجمعت هوازن لقتال الرسول ﷺ، فكانت معركة حنين التي تجد تفاصيلها في سيرة ابن هشام.

ونذكر من دروس هذه المعركة ما يلي:

ما كان من غرور مالك بن عوف وعدم استماعه لنصيحة دريد ابن الصمة حرصاً منه على الرئاسة، واغتراراً منه بصواب فكره، وتكبُّراً عن أن يقول قومه – وهو الشاب القوي المطاع –: قد استمع إلى نصيحة شيخ كبير لم يبق فيه رمق من قوة، ولو أنه أطاع نصيحة دريد لجنَّب قومه الخسارة الكبيرة في أموالهم، والعار الشنيع في سبي نسائهم، ولكنه الغرور وكبرياء الزعامة يوردان موارد الهلكة ويجعلان عاقبة أمرها خسراً، فقد أبى له غروره أن يستسلم لقوة الإسلام التي ذلت لها كبرياء قريش بعد طول كفاح وشديد بلاءٍ، وظن أنه بما معه من رجال وما عنده من أموال، يستطيع أن يتغلب على قوة الإسلام الجديدة في روحها، وفي أهدافها، وفي تنظيمها عليه وعلى قومه، ثم أبى له غروره إلا أن يخرج معه نساء قومه وأموالهم ليحول ذلك دون هزيمتهم، وعدا نصيحة دريد الذي قال له: إن المنهزم لا يرده شيء، فإنه غفل عن أن المسلمين الذين سيحاربهم لا يستندون في رجاء النصر على مال ولا عدد ولا عدة، وإنما يستندون إلى قوة الله العزيز الجبار، ووعده لهم بالنصر والجنة، ولا يمتنعون عن الهزيمة رغبة في الاحتفاظ بنسائهم وأموالهم، بل رغبة في ثواب الله وخوفاً من عقابه الذي توعد المنهزمين في ميادين الجهاد بأليم العذاب وشديد الانتقام {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال: 16].

وهكذا حلت الهزيمة بمالك وقبيلته هوازن ومن معه، ولم يقتصر شؤم غروره وكبريائه عليه وحده، بل أصاب قومه جميعاً، لأنهم أطاعوه في هذا الغرور، ولما أنذرهم بأنهم إن لم يستجيبوا له، بقر بطنه بالسيف، سارعوا إلى طاعته، ولو أنهم اتبعوا نصيحة شيخهم المجرب، وكفكفوا من كبرياء زعيمهم الشاب، لما أصابهم ما أصابهم، لقد خافوا من غضب هذا الزعيم المغرور عليهم، ولو أنهم سألوا أنفسهم: ماذا يكون لو أغضبناه؟ لكان الجواب: انهم يفقدون زعيمهم! وماذا في هذا؟ ماذا في ذهاب زعيم مغرور أنانيّ يريد أن يستأثر بشرف المعركة دون من هم أقدم وأخبر منه بالمعارك وشؤونها؟ وهل توازي حياة شخص حياة قبيلة أو أمة من الناس بأكملها؟ لقد حذَّرنا الله في القرآن من نتيجة هذا الاستسلام الجماعي لأهواء المغرورين من الكبراء والزعماء، ما كان من استعارة الرسول ﷺ من صفوان وهو مشرك مائة درع مع ما يكفيها من السلاح، ففيه عدا وجوب الاستعداد الكامل لقتال الأعداء، جواز شراء السلاح من الكافر، أو استعارته على أن لا يؤدي ذلك إلى قوة الكافر واستعلائه، واتخاذه من ذلك وسيلة لأذى المسلمين وإيقاع الضرر بهم، فقد استعار الرسول من صفوان السلاح بعد فتح مكة، وكان صفوان من الضعف والهوان بحيث لا يقوى على فرض الشروط على رسول الله ﷺ، يدل على ذلك قوله للرسول حين طلب منه ذلك: أغَصباً يا مُحَمَّد؟ فأجابه الرسول ﷺ: بل عاريةً مضمونةً حتى نُؤديها إليك.[1]

حين خرج رسول الله ﷺ للقتال في هذه المعركة، كان معه اثنا عشر ألفاً: عشرة آلاف ممن خرجوا معه من المدينة فشهدوا فتح مكة، وهم المهاجرون والأنصار، والقبائل التي كانت تجاور المدينة، أو في طريق المدينة، وألفان ممن أسلموا بعد الفتح،

[1] ابن هشام ، المصدؤ السابق، مج ، ص ص 60-90.

وكان أكثر هؤلاء ممن لم تتمكن هداية الإسلام في قلوبهم بعد، وممن دخلوا في الإسلام بعد أن انهارت كل آمالهم في مقاومته وإمكان التغلب عليه، ففي هذا الجيش كان المؤمنون الصادقون الذين باعوا الله أرواحهم وأنفسهم في سبيل إعزاز دينه، وفيه كان الضعاف في دينهم، والموتورون الذين أسلموا على مضضٍ وهم ينطوون على الحقد على الإسلام والتألم من انتصاره، فلم يكن الجيش كله في مستوى واحد من قوة الروح المعنوية، والإيمان بالأهداف التي يحارب من أجلها، وفيه الراغبون في غنائم النصر ومكاسبه، ولذلك كانت الهزيمة أول الأمر شيئاً غير مستغرب، ولذلك قال رسول الله ﷺ حين رأى كثرة من معه: لن نغلب اليوم من قلة[1] أي: إن مثل هذا الجيش في كثرة عدده لا يغلب إلا من أمور معنوية تتعلق بنفوس أفراده، تتعلق بإيمانهم وقوة أرواحهم واخلاصهم وتضحياتهم، وقد وضع لنا رسول الله ﷺ بذلك قاعدة جليلة، وهي أن النصر لا يكون بكثرة العدد، ولا بجودة السلاح، وإنما يكون بشيء معنوي يغمر نفوس المحاربين، ويدفعهم إلى التضحية والفداء[2]، وقد أكد القرآن الكريم على هذا في غير موضع، فقال تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 249].[3]

وفي قول بعض المسلمين لرسول الله ﷺ وهم في طريقهم إلى المعركة: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وفي جواب الرسول ﷺ: قلتم – والذي نفس مُحَمَّد بيده –كما قال قوم موسى لموسى: {اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون} [الأعراف: 138] إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم.

في هذه المعركة بعد أن انهزم المسلمون أول الأمر، وتفرقوا عن رسول الله ﷺ، ظن شيبة بن عثمان أنه سيدرك ثأره من رسول الله ﷺ، وكان أبوه قد قتل في معركة أحد، قال شيبة: فلما اقتربت من رسول الله ﷺ لأقتله أقبل شيء تغشى فؤادي، فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع مني.

فوجئ المسلمون أول المعركة بكمين أعدائهم لهم، مما أدى إلى وقوع الخلل في صفوف المسلمين واضطرابهم وتفرُّقهم عن رسول الله ﷺ، ولم يثبت معه إلا القليل، ثم أخذ رسول الله ينادي: أيها الناس! هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا مُحَمَّد بن عبد الله، فلم يسمع الناس صوته، فطلب من العباس – وكان جهوري الصوت – أن ينادي في الناس: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمرة! فأجابوا: لبيك لبيك، فيذهب الرجل ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله، ثم يؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا ثم كان النصرُ.

في هذا الموقف عدة من العبر والدروس يجدر بدعاة الحق وجنوده أن يقفوا عندها طويلا، فإن انهزام الدعوة في معركة قد يكون ناشئاً من وهن في عقيدة بعض أبنائها، وعدم إخلاصهم للحق، وعدم استعدادهم للتفاني في سبيله، كما أن ثبات قائد الدعوة في الأزمات، وجرأته، وثقته بالله ونصره، له أثر كبير في تحويل الهزيمة إلى نصر، وفي تقوية قلوب الضعاف والمترددين ممن معه، وللثابتين الصادقين من جنود الحق والتفافهم حول قائدهم الجريء المخلص، أثر كبير أيضاً في تحويل الهزيمة إلى نصر، إن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ بعد الهزيمة أول المعركة، ثم الذين استجابوا لنداء الرسول ﷺ لم يتجاوزوا مائة، وعندئذ ابتدأ التحول في سير المعركة، وابتدأ نصر الله لعباده المؤمنين، وابتدأ تخاذل أعدائه، ووقوع الوهن في قلوبهم وصفوفهم، وكلما تذكر قائد الدعوة وجنودها أنهم على حق، وأن الله مع المؤمنين الصادقين، ازدادت معنوياتهم قوة، وازداد إقدامهم على الفداء

[1] لم يثبت هذا من قوله ﷺ، فقد رواه ابن إسحاق في المغازي، وفي سنده انقطاع وجهالة، وقيل، القائل ذلك، سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل، أبو بكر الصديق، وقيل، العباس، وقيل،رجل من بني بكر

[2] الطبري ، المصدر السابق ، مج 3، ص165.

[3] ابن الاثير ، المصدر السابق ، ص ص 172-189.

والتضحية.[1]

وفي هذه المعركة مر رسول الله ﷺ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون (مزدحمون) عليها، فقال: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: أدرك خالداً فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليداً، أو امرأة، أو عسيفاً (أجيراً).

02-تحطيم الأصنام

ولما دخل رسول الله ﷺ البيت الحرام يوم فتح مكة، رأى صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام؟! {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، [آل عمران: 68] ثم أمر بتلك الصور كلها، فطمست.

قال ابن عباس: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها، وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} [الإسراء: 81] فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع.

ولم تمضِ على فتح مكة إلا شهور، حتى كانت أصنام جزيرة العرب كلها قد سقطت عن عروشها، وكفر بها عبَّادها، وأصبح من كان يعبدها بالأمس يخجل من تفاهة رأيه إذ كان يعبد حجراً لا يضر ولا ينفع ولا يغني عن حوادث الدهر شيئاً.

وماجت جزيرة العرب واضطربت لهذا الدين الجديد، وحاولت وأْده والقضاء على رسوله بكل وسيلة، ولكن النصر كان أخيراً لرسول الله ﷺ بعد نضال استمر إحدى وعشرين سنة، فافتتح عاصمة الوثنية،[2] وحطم آلهتها، وهزم جيوشها، وتغلب على مؤامرات زعمائها، هل يصدق العقل آن ذلك كله قد تم خلال هذه الفترة القصيرة، ولم يكن مع رسول الله ﷺ حين ابتدأ هذه الدعوة إنسان لولا أن يكون الله من ورائها، يهيئ كتائبها، ويوجه معاركها؟ {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: 17].

لقد أنهى مُحَمَّد بن عبد الله مأساة العرب الفكرية التي استمرت زهاء خمسمائة عام أو تزيد، وحرر العقل العربي من أغلال الوثنية وخرافاتها، وأنقذ الكرامة العربية من مهانة الوثنية وحقارتها، وفتح أبواب الخلود للعرب يدخلون منه ثم لا يخرجون، ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: لا عزى بعدها للعرب، إما إنها لن تعبد بعد اليوم فقد ودعت جزيرة العرب حياة الوثنية إلى الأبد، وبلغ العقل العربي سن الرشد، فلم يعد يرضى بعودته إلى طفولته: طفولة الوثنية التي تحمل صاحبها على أن يضع جبهته عند أقدام حجارة صماء بكماء، ولقد قامت بعد وفاة الرسول ﷺ حروب وفتن، وادعى النبوة من ادعاها، وعارض القرآن من عارضه، ولكنا لم نسمع أن عربياً واحداً فكر في العودة إلى الوثنية وآلهتها، ذلك أن الراشد لن يعود طفلاً، وكل ذلك إنما تم بفضل مُحَمَّد ﷺ ورسالته، فله على كل عربي إلى انتهاء الدنيا فضل الإنقاذ والتحرير، ثم فضل زيادة الهدى لشعوب الأرض من اتبع الهدى ومن أعرض عنه، وجل الله حين يقول: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: 2].[3]

03-حجّة الوداع:

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص810-818.
[2] ابن الاثير ،المصدر السابق ، مج 2 ، ص 27.
[3] ابن هشام ،المصدر السابق ، مج4 ، ص 184.

كانت حجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي أداها رسول الله ﷺ بعد البعثة، ولما تسامع الناس أن رسول الله ﷺ سيحج في تلك السنة، توافدوا إلى الحج من مختلف أنحاء الجزيرة العربية حتى بلغوا —كما قال بعض المؤرخين — مائة وأربعة عشر ألفاً، ونحسب أن هذا العدد تقديري، وإلا فكيف أمكن إحصاؤهم وتحديد عددهم بهذا القدر؟[1]

وقد خطب رسول الله ﷺ خطبته الشهيرة التي يجب أن يحفظها كل طالب علم، لما تضمنته من إعلان المبادئ العامة للإسلام، وهي آخر خطبه ﷺ،[2] وقد جاء فيها:

"أيها الناس، اسمعوا قولي، لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً" — وهذا من معجزات رسوله ﷺ — أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل — فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.[3]

أما بعد أيها الناس، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا على دينكم.

أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً، ويحرمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس فان لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ ضرباً غير مبرح، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله.

فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟".[4]

إن أول ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الجمهور الضخم الذين حضروا مع الرسول ﷺ من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، مؤمنين به، مصدقين برسالته، مطيعين لأمره، وقد كانوا جميعاً قبل ثلاثة وعشرين سنة فحسب على الوثنية والشرك، ينكرون مبادئ رسالته، ويعجبون من دعوته إلى التوحيد، وينفرون من تنديده بآبائهم الوثنيين، وتسفيهه لأحلامهم، بل كان كثير منهم قد ناصبوه العداء، وتربصوا به الشر، وبيتوا على قتله، وألبّوا عليه الجموع، وجالدوه بالسيوف والرماح، فكيف تم هذا الانقلاب العجيب في مثل هذه المدة القصيرة، وكيف استطاع ﷺ أن يحول هذه الجموع من وثنيتها وجاهليتها وترديها وتفرقها إلى توحيد الله وعلم ذاته وصفاته، واجتماع الكلمة، ووحدة الهدف والغاية؟ وكيف كسب حب هذه القلوب بعد

---

[1] الطبري ، المصدر السابق ، مج 3 ، ص188.
[2] صحيح البخاري ، مج 5 ، ص137.
[3] الطبري ، المصدر السابق ، مج 3 ، ص207.
[4] ابن هشام ، المصدر السابق ، مج 4 ، ص 212

عداوتها، وهي المعروفة بشدة الشكيمة وعنف الخصام؟ ألا إن إنساناً مهما بلغت عبقريته، ودهاؤه، وقوة شخصيته ليستحيل أن يصل إلى هذا في مئات السنين، وما سمعنا بهذا في الأولين والآخرين، إن هو إلا صدق الرسالة، وتأييد السماء، ونصرة الله، ومعجزة الدين الشامل الكامل الذي أتم الله به نعمته على عباده، وختم به رسالاته للناس، وأراد أن ينهي به شقاء أمة كانت تائهة في دروب الحياة، مستذلة للأهواء العصبيات، وأن يدلها على طريق الهداية، ويفتح أعينها لأشعة الشمس، ويقلدها قيادة الأمم، ويحوُّل بها مجرى التاريخ، ويمحو بها مهانة الإنسان، ويورثها الحكمة والكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب.[1]

مائة وأربعة عشر ألفاً كانوا له مكذبين، فأصبحوا له مصدقين، وكانوا له محاربين، فأصبحوا له مذعنين، وكانوا له مبغضين، فأصبحوا له محبين، وكانوا عليه متمردين، فأصبحوا له طائعين، كل ذلك في ثلاث وعشرين من السنين.. ذلك هو صنع الله الحق المبين، فتعالى الله عما يشركون، وتنزهت ذات رسوله عما يقول الملحدون، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.[2]

وثاني ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الخطاب القوي الحكيم الذي خاطب به رسول الله الناس أجمعين، وتلك المبادئ التي أعلنها بعد إتمام رسالته ونجاح قيادته، مؤكدة للمبادئ التي أعلنها في أول دعوته، يوم كان وحيداً مضطهداً، ويوم كان قليلاً مستضعفاً، مبادئ ثابتة لم تتغير في القلة والكثرة، والحرب والسلم، والهزيمة والنصر، وإعراض الدنيا وإقبالها، وقوة الأعداء وضعفهم، بينما عرفنا في زعماء الدنيا تقلباً في العقيدة والمبدأ، وتبايناً في الضعف والقوة، وتغيراً في الوسائل والأهداف، يظهرون خلاف ما يبطنون، وينادون بغير ما يعتقدون، ويلبسون في الضعف لبوس الرهبان، وفي القوة جلود الذئاب، وما ذلك إلا لأن هؤلاء رسل المصلحة، وأولئك رسل الله وشتان بين من يحوم فوق الجيف، وبين من يسبح في بحار النور، شتان بين الذين يعملون لأنفسهم، وبين الذين يعملون لإنسانيتهم، شتان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 257].

04-بعث أسامة:

إن آخر ما فعله رسول الله ﷺ لنشر الدعوة وحمايتها، ورد غارة المعتدين على الدولة الجديدة والمتربصين بها أن جهز جيشاً إلى الشام تحت قيادة أسامة بن زيد وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وقد كان في هذا الجيش جميع المهاجرين والأنصار، ومن كان حول المدينة من المسلمين، لم يتخلف منهم أحد، ولما كان الجيش في ظاهر المدينة يتأهب للمسير ابتدأ مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، فتوقف الجيش عن السير انتظاراً لشفاء الرسول، ورغبة في تلقي تعاليمه وهديه، ولكن رسول الله ﷺ توفي بعد أيام، واختاره الله إلى جواره بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وهيأ جزيرة العرب كلها لحمل لواء الإسلام، ونشر حضارته وتعاليمه في أنحاء الأرض، وبعد أن تكون الجيش الذي يقوم بحمل أعباء هذه الأمانة العظيمة الأثر في التاريخ، بعد أن تهيأ جنوده الصالحون لخوض معاركها، والقادة الأكفاء لقيادة حروبها، والرجال العظماء الصالحون لإدارة دولتها، فصلى الله وسلم على رسوله، وجزاه الله عنا وعن الإنسانية خير الجزاء، فلولاه ولولا جنوده الأوفياء الذين أدّوا الأمانة من بعده لكنا الآن في ضلال مبين.[3]

ثم يتجلى من جعل رسول الله ﷺ قيادة الجيش لأسامة بن زيد وهو شاب في سن العشرين وتحت لوائه شيوخ المهاجرين

---

[1] نفسه ، ص 218.
[2] نفسه ، ص 224.
[3] ابن الاثير ،المصدر السابق ، مج 2، ص215.

والأنصار، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهم من هم في سبقهم إلى الإسلام، وحسن بلائهم فيه، وتقدمهم في السن والمكانة على أسامة، إن في هذا سنة حميدة من سنن الإسلام في إلغاء الفوارق بين الناس من جاه وسنٍّ وفضل، وتقديم الكفء الصالح لها مهما يكن سنّه ومكانته، ثم في رضى هؤلاء العظماء الذين أثبت التاريخ من بعد أن التاريخ لم ينجب مثلهم في عظمتهم وكفاءاتهم، على أن يكونوا تحت إمرة أسامة الشاب، ما يدل على مدى التهذيب النفسي والخلقي الذين وصلوا إليه بفضل رسول الله ﷺ وهدايته وتربيته وإرشاده.[1]

إن في تأمير أسامة على مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، سابقة عظيمة لم تعهدها أمة من الأمم، تدل على وجوب فسح المجال لكفاءات الشباب وعبقرياتهم، وتمكينهم من قيادة الأمور حين يكونون صالحين لذلك، وهذا درس عظيم لو بقي المسلمون يذكرونه من بعد لاختفت من تاريخ الإسلام محن وكوارث، ومن تاريخ دولته عواصف وفتن زعزعت أركانها وأضعفت من قوتها، فنعم ما فعل رسول الله ﷺ المؤيد بوحي السماء، الموهوب من الحكمة والسداد، وبعد النظر، وعظيم السياسة، ما لم يوهب نبي قبله، ولم يعرف عن عظيم في التاريخ من قبله ومن بعده، ورضي الله عن أسامة الشاب، وهنيئاً له ثقة رسول الله ﷺ بكفاءة قيادته وصدق عزيمته، وحسن إسلامه، ﷺ وجعله قدوة لشبابنا المؤمنين العاملين.

05–وفاة رسول الله ﷺ:

توفي رسول الله ﷺ بعد أن كان قد علم من طريق الوحي بقرب أجله، فودع الناس في حجة الوداع، وكانت قلوب الصحابة واجفة هلعة خشية أن يكون أجل رسول الله ﷺ قد اقترب، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، فلما أشيع عن وفاة الرسول ﷺ اضطرب الصحابة جميعاً لهول الكارثة، وزلزلت المدينة زلزالها، وطاشت عقول كثير من كبار الصحابة والسابقين إلى الإسلام، فمنهم من عقل لسانه، ومنهم من أقعد عن الحركة، ومنهم وهو عمر من شهر سيفه ينهى الناس أن يقولوا: إن رسول الله ﷺ مات، ويزعم أنه غاب، وسيرجع إليهم، ولكن أبا بكر وحده هو الذي كان ثابت الجأش، فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى على فراشه، فقبله وقال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما أطيبك حياً وميتاً! أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً، يا رسول الله اذكرنا عند ربك.

ثم خرج أبو بكر إلى الناس، فخطب فيهم وقال: أيها الناس! من كان يعبد مُحَمَّداً، فان مُحَمَّداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فان الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144]. فلما تلاها أبو بكر أفاقوا من هول الصدمة، وكأنهم لم يسمعوها من قبل، قال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أن أبا بكر تلاها فعقرت – أي دهشت وتحيرت – حتى وقعت إلى الأرض وما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات[2].

وهنا درسان بالغان:

أولهما: أن الصحابة دهشوا لموت رسول الله ﷺ، حتى لكأن الموت لا يمكن أن يأتيه، مع أن الموت نهاية كل حي، وما ذلك إلا لحبهم لرسول الله ﷺ حباً امتزج بدمائهم وأعصابهم، والصدمة بفقد الأحباب تكون على قدر الحب، ونحن نرى من يفقد ولداً أو أباً كيف يظل أياماً لا يصدق أنه فقده، وأي حب في الدنيا يبلغ حب هؤلاء الصحابة الأبرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد هداهم الله به، وأنقذهم من الظلمات إلى النور، وغير حياتهم، وفتح عقولهم وأبصارهم، وسما بهم إلى مراتب القادة العظماء، ثم هو في حياته مربيهم وقاضيهم ومرشدهم يلجؤون إليه في النكبات، ويسترشدونه في الحوادث،

[1] ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص166.
[2] ابن هشام ، المصدر السابق ، ص 236.

و يأخذون منه خطاب الله لهم وحديثه إليهم وتعليمه لهم، فلما مات رسول الله ﷺ انقطع ذلك كله، فأي صدمة أبلغ من هذه الصدمة وأشدها أثراً.

ثانيهما: أن موقف أبي بكر دل على أنه يتمتع برباطة جأش وقوة أعصاب عند النكبات لا يتمتع بها صحابي آخر. وهذا ما جعله أولى الناس بخلافة رسول الله ﷺ، وقد أثبت ذلك في حركة الردة في جزيرة العرب.

المحاضرة الثامنة : عصر الخلافة الراشدة (11– 40 هـ).

يعد عصر الخلافة الراشدة امتداد لعصر السيرة النبوية، حيث تؤثر القيم الإسلامية على الناس في نشاطهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وتنعكس على الحكم في علاقته بالأمة وبالقوى الخارجية من ناحية أخرى، وتؤثر في اختيار الحاكم وقيم التعامل معه من حيث الطاعة المشروطة بإنفاذ أحكام الشريعة، والحفاظ على وحدة الأمة والشورى والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتهاد الفردي والجماعي لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، فيما يتعلق بالوقائع الجديدة والمتنوعة. وينظر المسلمون إلى عصر الخلافة الراشدة باعتباره أميز العصور في تاريخهم بعد عصر النبوة، حيث تولى الحكم كبار الصحابة المقربين من النبي ﷺ ، ممن شهد لهم بالسابقة والفضل والبشارة بالجنة، تعاونهم أعداد من الصحابة الذين نزل القرآن بتعديلهم، وهم الذين مثلوا النخبة القيادية في الفكر والسياسة والادارة والاقتصاد والفتوح.

وسموا بالراشدين لقول النبي ﷺ : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ ". ومدة خلافتهم ثلاثون سنة، لقول النبي ﷺ : " خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء " قال سفينة رضي الله عنه : أَمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين ، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة ، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين.

الخليفة الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

عصر الخلافة الراشدة (11– 40 هـ)

يعد عصر الخلافة الراشدة امتداد لعصر السيرة النبوية، حيث تؤثر القيم الإسلامية على الناس في نشاطهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وتنعكس على الحكم في علاقته بالأمة وبالقوى الخارجية من ناحية أخرى، وتؤثر في اختيار الحاكم وقيم التعامل معه من حيث الطاعة المشروطة بإنفاذ أحكام الشريعة، والحفاظ على وحدة الأمة والشورى والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتهاد الفردي والجماعي لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، فيما يتعلق بالوقائع الجديدة والمتنوعة. وينظر المسلمون إلى عصر الخلافة الراشدة باعتباره أميز العصور في تاريخهم بعد عصر النبوة، حيث تولى الحكم كبار الصحابة المقربين من النبي ﷺ ، ممن شهد لهم بالسابقة والفضل والبشارة بالجنة، تعاونهم أعداد من الصحابة الذين نزل القرآن بتعديلهم، وهم الذين مثلوا النخبة القيادية في الفكر والسياسة والادارة والاقتصاد والفتوح.

وسموا بالراشدين لقول النبي ﷺ : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ ". ومدة خلافتهم ثلاثون سنة، لقول النبي ﷺ : " خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء " قال سفينة رضي الله عنه : أَمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين ، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة ، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين.

الخليفة الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي التيمي القرشي، كان يسمى في الجاهلية بعبد الكعبة فسماه النبي ﷺ عبد الله[1]، يكنى ﷺ بأبي بكر، قيل لتبكيره في الدخول بالإسلام[2].

مولده وصفاته ولد أبو بكر ﷺ بمكة بعد عام الفيل بعامين وبضعة أشهر [5]. ويوافق ذلك خمسمائة وثلاثا وسبعين للميلاد.، وقد كان ﷺ أبيض البشرة، نحيف الجسم، معروق الوجه، قليل الشعر في صفحتي خديه، غائر العينين، بارز الجبهة، جعد الشعر، وكان يخضب شيبه بالحناء والكتم [6]،نشأ ﷺ على الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة والطباع السليمة، فكان من رؤساء قريش وتجارهم وأهل مشورتهم، محبباً في قومه ومؤلفاً لهم، وكانت تساق إليه الأشناق[3] في الجاهلية وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها،لم يؤثر عنه عبادة الأصنام في الجاهلية ولا شرب الخمر، لسلامة فطرته ورزانة عقله. وقد اشتهر بالتواضع والزهد مقتديا برسول الله ﷺ حتى أنه إذا مدح يقول: "اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون[4]".

إسلامه كان ﷺ أول من أسلم، ولاختلاف المؤرخين بينه وبن خديجة ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ فيقال: إنه أول من أسلم من الرجال، كما أن علياً أول من أسلم من الصبيان وزيد بن حارثة من الموالي و خديجة من النساء [9].

وليس أدل على إيمان أبي بكر المطلق بصدق النبي ﷺ وسرعة استجابته له من موقفه في حادثة الإسراء حينما كذبته قريش، وتردد كثير من المسلمين في تصديقه. ليصدقه ﷺ ويجزم في صدق كل ما يقوله ﷺ.

فعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "... إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي- مرتين-"[5].

بيعته بالخلافة :عندما انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه وشاع الخبر في المدينة والناس بين مصدق ومكذب وكان أبو بكر ﷺ في السنُّح (العالية) حيث وصله الخبر فأقبل على دابته إلى بيت عائشة ثم استأذن ودخل والنبي ﷺ مغطى فكشف غطاءه وقبله وقال: "بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا" ثم خرج إلى الناس- وكان عمر يحدثهم منكراً موت النبي ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه وقال: "**ألا من كان يعبد مُحَمَّداً فإن مُحَمَّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلى {إنك ميت وإنهم ميتون}**[1]وقوله تعالى: **{وما مُحَمَّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين}** فسكن الناس وجلس عمر ﷺ وكأنهم لم يسمعوا هذه الآيات إلا تلك الساعة[3].

ولقب بالصديق لسبقه إلى تصديق النبي ﷺ في كل شيء وقيل كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الإسراء قبل الهجرة بسنة. حيث صح أن بعض المسلمين ارتدوا وأن أبا بكر ﷺ قال للمشركين عندما أخبروه بخبر الإسراء والمعراج، "لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا، أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال، نعم. إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك لقب أبو بكر بالصديق، ولقب ﷺ بالعتيق قيل لعتاقة وجهه- أي لجماله- وقيل لأن النبي ﷺ بشره بالعتق من النار. فعن عائشة ﷺ قالت، كان رسول الله ﷺ وأصحابه بفناء الكعبة إذ جاء أبو بكر. فقال النبي ﷺ ، "من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر". وقيل أنه ما كان يعيش لأمه ولد فاستقبلت البيت بعد ولادته وقالت، إن هذا عتيق من الموت فهبه لي ، ولقب بالأواه لرأفته ورحمته. الحاكم، المستدرك، 3/ 62- 63، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن مُحَمَّد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ، الإصابة في تمييز الصحابة ، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - على مُحَمَّد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1995، مج 2، ص ص 333- 334.-335

[1] ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المحقق: مُحَمَّد علي البجاوي، دار الجيل ، 1412 – 1992، مج 2، مج 234.

[3] الأشناق، هي الديات التي يتحملها من يتقرب بذلك إلى العشيرة.

[4] انظر،، أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت 360هـ) ، المعجم الكبير ،محقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط2، 1994،مج 1، ص 9 ؛ ابن سعد مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، الطبقات الكبرى،دراسة وتحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،1990، مج3، ص 191

[5] انظر، ابن حجر، الإصابة، مج 2، ص 335.

في هذه الأثناء كان الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لمبايعة سعد بن عبادة ﷺ[4] لكونهم أهل المدينة وشعورهم بضرورة اختيار خليفة منهم يتولى شؤون المسلمين ويحافظ على وحدتهم، وربما لاعتقادهم أيضا أن المهاجرين ربما يعودون إلى مكة بعد وفاة النبي ﷺ وهم ما هاجروا إلا من أجله.

أما المهاجرون فقد كانوا أكثر بعداً عن هذا الموضوع، فبعضهم قد شغل بتجهيز النبي ﷺ، والبعض الآخر لاتزال الصدمة تملأ نفسه، والبعض لم يفكر باختيار خليفة والنبي ﷺ لم يدفن بعد[5].

ومع ذلك فإن هناك نفراً من المهاجرين قد اجتمعوا مع أبي بكر ﷺ لترشيح من يتولى الخلافة. فعلموا باجتماع الأنصار في السقيفة فذهبوا إليهم وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وأبو عبيده[6] وفي الطريق لقوا رجلين من الأنصار هما عويمر بن ساعدة ومعن بن عدي اللذان أشارا على المهاجرين بإنجاز أمرهم دون الرجوع إلى الأنصار[7]– وهذا يدل على أن هناك من الأنصار من يعلم أن هذا الحق لقريش– إلا أن المهاجرين آثروا التشاور مع الأنصار، فلما وصلوهم في السقيفة حدث نقاش بينهم حول أحقية كل طرف وكان على رأس المتحدثين من الأنصار الحباب بن المنذر وبشير بن سعد ومن المهاجرين أبو بكر وعمر.

وقد طرح الأنصار فكرة تعيين أميرين أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار ولكن أبا بكر ﷺ بين أحقية قريش[8]، للأحاديث التي وردت في ذلك ومنها: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان"[9]. ولما روي عن معاوية أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين "[10].

وعندما بين الصديق ﷺ ذلك سلم الأنصار للمهاجرين بهذا الحق. فرشح أبو بكر اثنين من المهاجرين عمر وأبي عبيده فقال عمر: "... بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ"[11].

ثم بايعه عمر ﷺ وبايعه الناس[12]. وهذه هي البيعة الخاصة في السقيفة. ثم من الغد بويع البيعة العامة في المسجد.

---

[1] سورة الزمر، آية 30.

[2] سورة آل عمران، آية 144.

[3] البخاري، الصحيح، مج5، ص ص 70- 71.

[4] البخاري، الصحيح، مج 5، ص 70.

[5] محمود شاكر، الخلفاء الراشدون ص 49- 51.

[6] انظر، البخاري، الصحيح، مج 1، ص 70.

[7] ابن حجر، فتح الباري، مج 7، ص37

[8]. البخاري، الصحيح، مج 1، ص 70.

[9] البخاري، الصحيح، مج 9،ص 112. ومسلم بنحوه، الصحيح، مج 3، ص 1452.

[10] البخاري، الصحيح، مج9، ص 112.

[11] البخاري، الصحيح، مج 5، ص71، وانظر للتوسع في بيعة أبي بكر ﷺ/ فتح الباري لابن حجر مج 7، مج 36- 40.

[12] البخاري، الصحيح، مج1، ص 71.

وكان من ضمن المبايعين علي بن أبي طالب ﷺ الذي بايع بيعتين الأولى مع الناس في المسجد والثانية بعد وفاة فاطمة ﷺ تأكيداً للأولى[1].

هذا وكلام عمر ﷺ في تفضيل أبي بكر وتقديمه يدل على اعتماد الصحابة في اختيارهم لأبي بكر إشارات النبي ﷺ في تفضيله. خلافا لمن قال إن خلافته ثبتت بالنص الصريح من رسول الله ﷺ أو أنها ثبتت بالاختيار المطلق[2].

سياسته بعد البيعة العامة خطب أبو بكر ﷺ الناس قائلا: "**فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع إليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله**"[3].

أعماله على الرغم من قصر زمن خلافة أبي بكر ﷺ إلا أنها حافلة بالأحداث الهامة والأعمال الجليلة التي قام بها رضي الله عنه وكان لها كبير الأثر ليس فقط في تماسك الدولة الإسلامية في عهده بل انعكست آثارها وثمارها على الأمة الإسلامية في مختلف عصورها. ومن أهم هذه الأعمال:

أولا: إنفاذ جيش أسامة[4]:

وكان سبب إعداد هذا الجيش تأديب قبائل قضاعة في جنوب الشام مما يلي مؤتة[5] لمظاهرتهم الروم على جيش المسلمين في غزوة مؤتة التي حدثت في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة والتي استشهد فيها والد أسامة وكذلك جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحه قواد هذه الغزوة واستطاع خالد ﷺ أن ينحاز ببقية الجيش إلى المدينة.

وقد كان إعداد هذا الجيش بعد قفول النبي ﷺ من حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة. حيث بدأ بتجهيزه وأمر عليه أسامة بن زيد وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، وكان تحت قيادته عدد كبير من المسلمين منهم كبار المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر ﷺ، وقد تكلم البعض في تأميره فلم يقبل النبي ﷺ منهم وأوصى به خير[6]أ.

وفيما فعله النبي ﷺ درس للأمة بجواز تولية المفضول مع وجود من هو أفضل منه، ولاسيما إذا كان في ذلك مصلحة.

وقد تأخر ذهاب هذا الجيش إلى وجهته بسبب مرض النبي ﷺ، فلما

توفي النبي ﷺ توقف أسامة بالجرف شمال المدينة، فألح كبار الصحابة على أبي بكر بعد توليته الخلافة بعدم إنفاذه وإبقائه في المدينة حماية لها خصوصاً بعد انتشار الردة في أنحاء شبه الجزيرة وكانت إجابته لهم: "**ما كنت لأحل راية عقدها رسول الله ﷺ**" ثم لما رأوا عزمه على إنفاذه أشاروا عليه بتغيير قيادته ولكنه أيضا رفض ذلك.

---

[1] ابن حجر، فتح الباري، مج 7، ص 566. وابن كثير، البداية والنهاية، مج 6، ص ص 306- 307.

[2] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مج 2، ص707.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، مج 6، ص ص 305- 306. و هذا إسناد صحيح.

[4] أسامة هو ابن زيد بن حارثة، وأمه أم أيمن بركة، حاضنة النبي ﷺ ابن حجر، الإصابة، مج 1،ص 46.

[5] مؤتة بلدة تقع جنوب شرق البحر الميت في الأردن. انظر، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 108.

[6] أحمد عبد الرحمن البنا، الفتح الرباني، مج 22، ص 199.

وقد استأذن أبو بكر أسامة في أن يبقي عمر بن الخطاب فأذن له. ثم سار الجيش وخرج أبو بكر يودعه ماشيا وأسامة راكباً، فيقول أسامة: "إما أن تركب وإما أن أنزل" فيقول أبو بكر: "والله لست بنازل ولست براكب" ثم يذهب أسامة بجيشه بعد أن أوصاه وجنده بألا يخونوا ولا يغدروا ولا يغلوا ولا يمثلوا ولا يقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا يقطعوا نخلاً ولا يحرقوه وألا يقاتلوا إلا من استعد لقتالهم وبانت عداوته لهم.، ويذكر أن أسامة قد غاب حوالي أربعين يوماً وقيل سبعين عاد بعدها إلى المدينة ظافراً منتصراً[1].

وهكذا كانت عاقبة إرسال هذا الجيش حميدة بالنسبة للمسلمين، فقد أظهر قوتهم وأرهب القبائل التي عزمت على مداهمة المدينة فأحجمت عن ذلك،هذا وقد كان إرسال أبي بكر لهذا الجيش بسبب تمسكه بالتوجيه النبوي وإظهار الحزم في الالتزام بالسنة وعدم التهاون فيها. ولو نظر إلى الأسباب المادية كما نظر إليها بقية الصحابة لأبقاه في المدينة. ومن هنا تظهر عاقبة التمسك بالنصوص وأنها لا تكون إلا خيراً وإن ظهر في البداية خلاف ذلك.

ثانياً: القضاء على فتنة الردة:

كانت الردة عن الإسلام قد بدأت في آخر عهد النبي ﷺ في بعض المناطق من شبه الجزيرة العربية. كظهور الأسود العنسي في اليمن وإدعائه النبوة، وكذلك مسيلمة في اليمامة وطليحة بن خويلد الأسدي في بزاخة.

وبعد وفاة النبي ﷺ توسعة فتنة الردة وانتشرت في أنحاء شبه الجزيرة ولم يثبت على الإسلام إلا المدينة ومكة والطائف[2].

وقبل الحديث عن قضاء أبي بكر على هذه الفتنة يحسن الإشارة إلى أهم أسبابها.

أسباب فتنة الردة:

ا- وفاة النبي ﷺ. وهذا السبب هو الذي كشف عن بقية الأسباب الأخرى وأظهرها.

2- حداثة العهد بالإسلام . والذي تعود إليه بقية الأسباب الأخرى، إذ لو كان الإيمان متمكنا في قلوب المرتدين لما ارتدوا عن الإسلام بوفاة النبي ﷺ.

3- حب الزعامة والرئاسة مما دفع إلى إدعاء النبوة منافسة للنبي ﷺ الذي اختص بهذا الشرف وحده.

4- العصبية القبلية: ومنافسة قريش التي تميزت بمبعث النبي ﷺ منها فكانت بعض القبائل حديثة العهد بالإسلام تحرص على أن تحوي مثل هذا الشرف بإدعاء نبي منها وإن كان كاذباً ولذلك قال بنو حنيفة: "كاذب ربيعة خير من صادق مضر".

5- استثقال دفع الزكاة واعتبار البعض أنها ضريبة تدفع للنبي ﷺ وبموته يجب التوقف عن دفعها[3]

الألوية التي أعدها أبو بكر للقضاء على الردة:

كان أول صدام مع المرتدين في خلافة الصديق ﷺ مع قبائل فزاره وأسد التي استغلت خروج جيش أسامة عن المدينة فحاولت غزوها. ثم جعل أبو بكر ﷺ حراسة على المدينة وخرج بالمسلمين إلى ذي قصة حيث صد هجوماً لعبس وذبيان على المدينة.

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية،مج 6، ص ص 308- 309.

[2] أكرم ضياء العمري ، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين ،مكتبة العبيكات، د ت ، ص 369.

[3] نفسه، ص 360.

وبعد عودة أسامة ﷺ عقد أبو بكر ﷺ أحد عشر لواء لقتال المرتدين في أنحاء شبه الجزيرة العربية وهي:

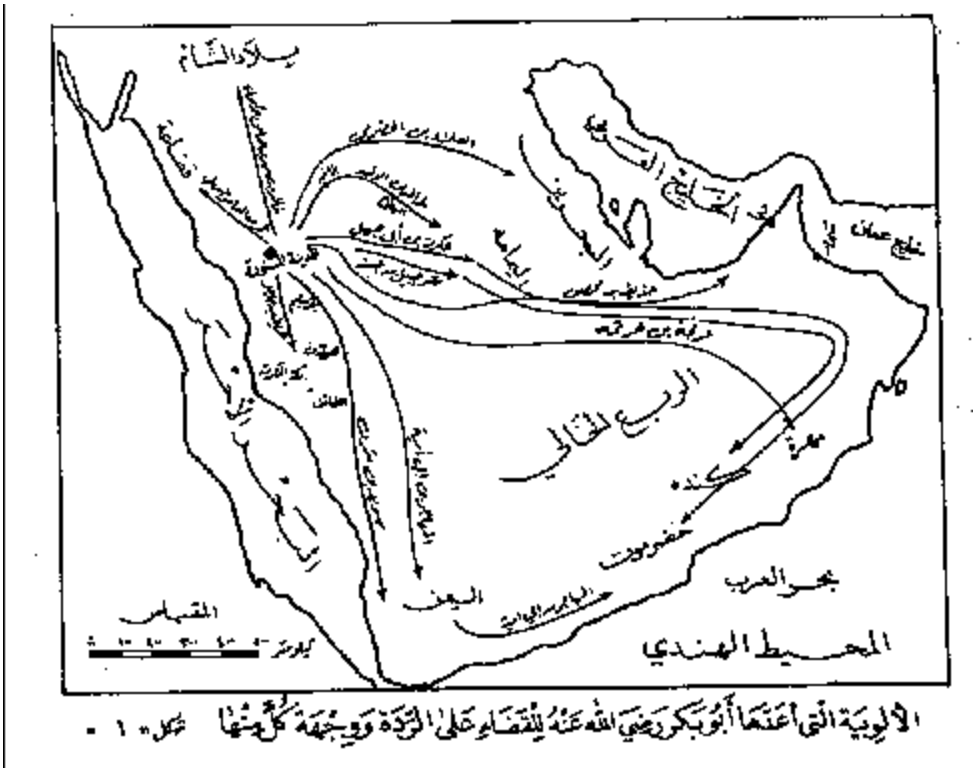

الألوية التي أعدها أبو بكر رضي الله عنه للقضاء على الردة ووجهة كل منها شكل ١ -

الأولية التي أعدها أبوبكر ﷺ للقضاء على الردة ووجهة كل منها

1- لواء بقيادة خالد بن الوليد ﷺ ووجهته إلى طليحة بن خويلد الأسدي في أسد ثم إلى مالك بن نويرة في تميم.
2- لواء بقيادة عكرمة بن أبي جهل ﷺ إلى مسيلمة في اليمامة فلم يستطع القضاء عليه فأمره بالتوجه إلى عمان.
3- لواء بقيادة شرحبيل بن حسن ﷺ ووجهته اليمامة لمساعدة عكرمة.
4- لواء بقيادة المهاجر بن أمية ووجهته اليمن ثم إلى حضرموت للقضاء على ردة كنده.
5- لواء بقيادة عمرو بن العاص ﷺ ووجهته قضاعة وغسان شمال شبه الجزيرة العربية.
6- لواء بقيادة حذيفة بن محصن ﷺ ووجهته دبا في عمان.
7- لواء بقيادة عرفجة بن هرثمة ﷺ ووجهته إلى مهرة في عمان.
8- لواء بقيادة طريفة بن حاجر ﷺ ووجهته إلى بني سليم ومن معه من هوازن.
9- لواء بقيادة سويد بن مقرن ﷺ ووجهته إلى تهامة اليمن.
10- لواء بقيادة العلا بن الحضرمي ﷺ ووجهته إلى البحرين.
11- لواء بقيادة خالد بن سعيد بن العاص ﷺ ووجهته إلى مشارف الشام.

وقد أرسل أبو بكر ﷺ الرسائل إلى المرتدين قبل سير هذه الألوية دعاهم فيها إلى التوبة إلى الله والعودة إلى الإسلام فإن أبوا فليس لهم إلا الحرب[1].

القضاء على ردة طليحة بن خويلد الأسدي:

كان طليحة رجلاً كاهناً ادعى النبوة في آخر عهد النبي ﷺ ونزل سميراء شرقي نجد مما يلي العراق فبعث إليه النبي ﷺ ضرار بن الأزور الأسدي لمقاتلته وفي طريقه إليه جاء الخبر بوفاة النبي ﷺ فرجع ضرار، واستطار أمر طليحة فتبعه رجال من طيء واجتمعت إليه عبس وذبيان، فبعث الصديق إليه خالد بن الوليد وكان في جيش خالد عدي بن حاتم الطائي الذي قام بإقناع طيء بالرجوع إلى الإسلام فضعفت قوة طليحة فلما وقع القتال وأيقن طليحة بالهلاك فر إلى الشام حيث أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه[2].

القضاء على ردة مالك بن نويرة:

كان مالك بن نويرة من أمراء بني تميم ولما توفي النبي ﷺ منع الزكاة واجتمع إليه بعض قومه في البطاح، فلما وصل إليه خالد أمر مالك قومه بالتفرق في دورهم إذ لا قبل لهم بخالد، فدخل المسلمون ديار بني تميم وأسروا مالك فجادله خالد بن الوليد فلما تبين له إصراره على ردته وعدم دفعه للزكاة أمر ضرار بن الأزور بقتله فقتله. وقد ذُكر أن خالداً ﷺ قد تزوج ليلى زوجة مالك بعد انقضاء عدتها كنوع من العزاء لها[3].

القضاء على مسيلمة الكذاب:

قدم مسيلمة الكذاب في آخر عهد النبي ﷺ إلى المدينة وكان يطمع بأن يجعل رسول الله ﷺ له الأمر من بعده، بل جعل ذلك شرطاً لاتباعه النبي ﷺ. فلم يظفر مسيلمة بشيء. وكانت إجابة النبي ﷺ له: لئن أدبرت ليعقرنك الله[4]،ولما عاد مسيلمة إلى قومه في اليمامة سنة عشر من الهجرة ادعى النبوة، وتبعه قومه تعصباً وجهلا. حتى قال بعضهم: كاذب ربيعة خير من صادق مضر، ولما توفي النبي ﷺ وجه أبو بكر عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة وفي أثره شرحبيل بن حسنة مدداً له فتعجل عكرمة في القتال قبل وصول شرحبيل فَنُكب، فأمره الصديق أن يتجه إلى عمان.

ثم أمر خالد بن الوليد بالمسير إلى مسيلمة حيث انضم إليه شرحبيل بن حسنة بعد وصوله. وكان مسيلمة قد جمع أربعين ألفاً من قومه وتقدم بهم لمواجهة خالد بن الوليد فكانت موقعة عقرباء. وفي بداية القتال تراجع المسلمون أمام كثرة أعدائهم فنادى خالد ﷺ بالمسلمين بأسماء قوادهم وقبائلهم فحملوا على جند مسيلمة متنافسين في القتال حتى ألجأوهم إلى بستان لمسيلمة كان يسميه حديقة الرحمن فتحصنوا فيه فتسوره البراء بن مالك أحد شجعان الأنصار وفتح الباب للمسلمين فتمكنوا من اقتحامه وتضييق الخناق على أتباع مسيلمة الذي قتل على يد وحشي- قاتل حمزة بن عبد المطلب ﷺ- وذلك بالاشتراك مع أبي دجانة الأنصاري.

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، مج 6،ص ص 319- 320.

[2] الطبري، المصدر السابق،مج 2، ص ص 260- 264.

[3] الطبري، نفسه، مج 2، ص ص 272- 274.

[4] انظر، ابن كثير نفسه ، مج 6،ص 320؛ الطبري، المصدر السابق ،مج 2، ص ص 272- 274.

وقد انتهت المعركة بالصلح بعد أن كادت بنو حنيفة أن تفنى وبعد أن أنهكت الحرب قوات المسلمين. وقد عقد خالد الصلح مع مجاعة بن مرارة الحنفي على أن يعود بنو حنيفة إلى الإسلام ويسلموا حصونهم ونصف أموالهم وسلاحهم وبعض مزارعهم، كان من أبرز نتائج هذه المعركة استشهاد كثير من حفظة كتاب الله مما حدا بعمر بن الخطاب ﷺ أن يشير على أبي بكر ﷺ بضرورة جمع القرآن[1].

القضاء على الردة في البحرين: كانت أرض البحرين مقراً لكثير من قبائل ربيعة منهم عبد قيس وبنو بكر. وكان أهل البحرين قد وفدوا على النبي ﷺ وأسلموا فأمّر عليهم المنذر بن ساوى. ولما توفي النبي ﷺ توفي بعده بمدة قصيرة المنذر بن ساوى فارتد أهل البحرين إلا بنو عبد قيس حيث تمكن سيدهم الجارود من إقناعهم بالثبات على الإسلام. وكان زعيم الردة في البحرين الحطم بن ضبعه الذي حاصر الجارود ومن معه ممن ثبتوا على الإسلام. فأرسل أبو بكر ﷺ العلاء بن الحضرمي الذي انضم إليه الجارود ضد الحطم واتباعه، ومكثوا شهراً في مناوشات دون التحام حتى عرف المسلمون أن المرتدين سكروا في إحدى الليالي فهاجموهم وقضوا عليهم وقتل الحطم، ثم تتبعوا فلول الهاربين، حيث عادت البحرين إلى الإسلام[1].

القضاء على الردة في عمان ومهرة وحضرموت: ، فلما توفي النبي ﷺ ارتد أهل عمان بقيادة ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي الذي ادعى النبوة فخافه ابنا الجلندي وفرا إلى الجبال وكاتب جيفر أبا بكر ﷺ فبعث إليه حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة. الأول إلى عمان والثاني إلى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه. ثم اتبعهما بعكرمة بعد هزيمته في اليمامة. وجعل القيادة له حيث تمكن من القضاء على لقيط ومن معه وأعاد عمان إلى الإسلام. ثم أقام حذيفة في عمان واتجه عكرمة إلى مهرة حيث قضى على الردة بها ثم سار نحو حضرموت للتعاون مع المهاجر في القضاء على ردة كنده هناك بزعامة الأشعث بن قيس حيث تمكنوا من هزيمته وإرساله إلى المدينة حيث رجع إلى الإسلام[2].

القضاء على الردة في اليمن:[β]

ولما شاع خبر وفاة النبي ﷺ ارتد قيس بن عبد يغوث وكاتب جنود الأسود فانضموا إليه وسيطر على صنعاء، ثم ارتد عمرو بن معد يكرب في نجران الذي اتحد مع قيس فعمت الردة في اليمن مرة أخرى حتى قدم عكرمة بن أبي جهل من حضرموت واتحد مع المهاجر بن أمية وطهرا اليمن من المرتدين وتم أسر عمرو ابن معد يكرب وقيس بن عبد يغوث وإرسالهما إلى أبي بكر ﷺ الذي استتابهما فعادا إلى الإسلام فعفا عنهما[4].

أبرز نتائج حروب الردة: استغرقت حروب الردة العام الحادي عشر من الهجرة بكامله حيث كان من أبرز نتائجها ما يلي:

1- دفعت هذه الحروب وبالأخص معركة اليمامة أبا بكر ﷺ إلى جمع القرآن بسبب ما فقده المسلمون فيها من حفظة كتاب الله.

2- إعادة وحدة الدولة الإسلامية تحت راية الإسلام بعد ما تمزقت من جراء هذه الفتنة.

3- إكساب المسلمين المزيد من الخبرات القتالية الأمر الذي ساعدهم في نجاح حركة الفتوحات بعد ذلك[5].

4- أتاحت حروب الردة للمسلمين معرفة واسعة في جغرافية شبه الجزيرة العربية وطرقها مما أفادهم في حشد الجيوش في حركة الفتوح بعد ذلك[6].

5- أدت حروب الردة إلى احتكاك المسلمين بتخوم الفرس والروم في شمال شبه الجزيرة وما في ذلك من زيادة في القوة المعنوية للمسلمين ساعدتهم في المواجهات العسكرية بعد ذلك مع هاتين الدولتين.

ثالثاً: جمع القرآن:

[1] دخلت اليمن في الإسلام في عهد النبي ﷺ وأسلم أكثر أهلها وأذن لهم أن يحفظوا كتاب الله ولا يمسه إلا المطهرون وجعل على اليمن من يفقههم في الدين ويعلمهم القرآن وكان منهم أبو بكر ﷺ وكان هذا العمل من أعظم مناقب أبي بكر ﷺ ويكون

نفوذه لا يتجاوز صنعاء وما حولها، أما بقية اليمن فتحت سلطة الأمراء المحليين ورؤساء العشائر. ولما مات باذان قسم النبي ﷺ عمله، فولى على صنعاء شهر بن باذان وعلى مأرب أبا موسى الأشعري، أما بقية مناطق اليمن فولى عليها من رؤساء العشائر الذين أسلموا، وفي السنة العاشرة من الهجرة خرج الأسود العنسي في اليمن والذي ادعى النبوة وكان كاهناً قوياً فافتتن الناس به حيث احتل نجران ثم صنعاء وقتل واليها شهر بن باذان وتزوج امرأته، فخرج أبو موسى الأشعري من مأرب وكذلك معاذ بن جبل الذي بعثه النبي ﷺ معلماً لأهل اليمن. خرجا إلى حضرموت. ولما استفحل أمر الأسود أرسل النبي ﷺ إلى من باليمن من الأبناء وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل أن يقوموا بقتال الأسود، حيث تمكنوا من قتله في مقره بمساعدة زوجته التي كانت تحت شهر بن باذان، ثم أعلنت عودة اليمن إلى الإسلام، ؛الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 2/ 275- 285. وابن كثير، البداية والنهاية، مج 6، ص ص328- 331.

[1] تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص ص 285-291.

[2] لما أسلم أهل عمان في حياة النبي ﷺ ولّى عليهم جيفر وعبد ابني الجُلَنْدي وأرسل إليهم عمرو بن العاص يعلمهم الإسلام ، الطبري ،مج 2، ص ص291- 293.

[3] الأبناء هم الفرس الذين كانوا عمالاً للأكاسرة على اليمن وتزاوجوا مع أهلها، وبعد إسلامهم أبقاهم النبي ﷺ عليها. انظر، البلاذري، المصدر السابق، ص 114.

[4] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص ص247- 259، و293- 298.

[5] أكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص 376.

[6] نفسه، ص 376.

[7] أبو عبد الله، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، الطبعة الأولى 1422 هـ ، دار طوق النجاة ،بيروت مج 6، ص ص 314- 315.

[8] وقيل خزيمة بن ثابت كما جاء في بعض الروايات، و خزيمة بن ثابت قد جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين. انظر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 773 - 852 هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، مج 8، ص ص378 -632.

[9] ابن حجر، نفسه ،مج 8، ص 632.

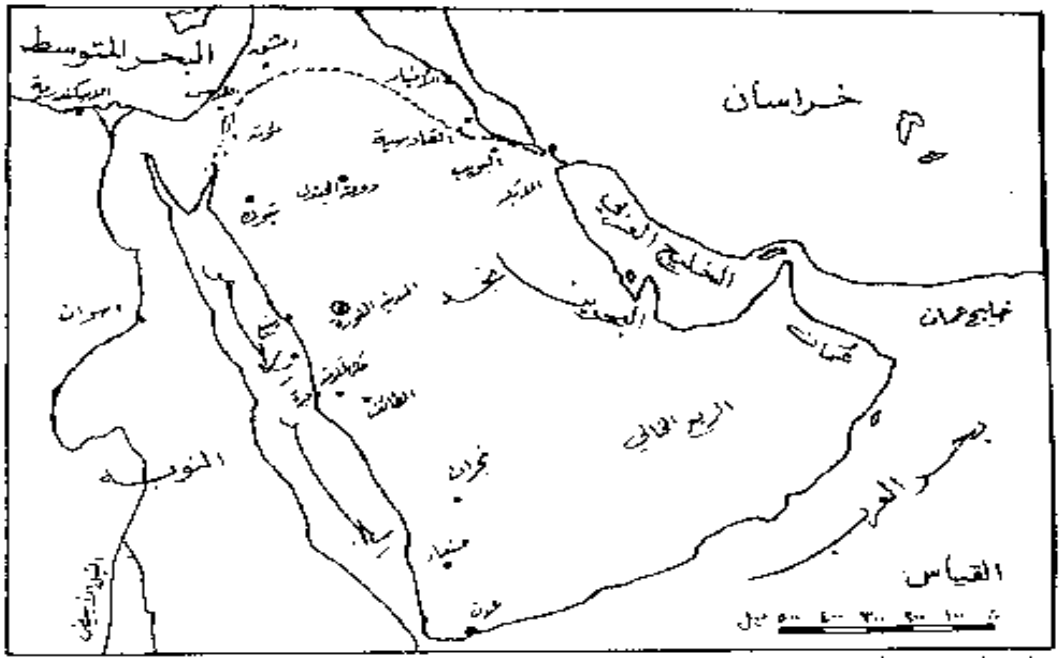

الدولة الاسلامية في نهاية خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عن

حين قضى أبو بكر الصديق ﷺ على فتنة الردة وتوحدت شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام وجه اهتمامه إلى الفتوحات خارجها. وقبل الحديث في تفاصيل هذه الفتوحات تحسن الإشارة إلى أهم أسباب حركة الفتح الإسلامي والأمور التي ساعدت على نجاحها[1].

وأهم هذه الأسباب:

أ. الرغبة الصادقة لدى الفاتحين الأوائل بنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله.

ب- اليقين التام لدى هؤلاء الفاتحين بوعد الله سبحانه وتعالى إما النصر أو الشهادة.

ومن العوامل التي ساعدت على نجاح حركة الفتح الإسلامي:

أ- ما يتصف به هؤلاء الفاتحين من سماحة ولين ودماثة خلق فهم دعاة قبل أن يكونوا محاربين ولذلك يقول ربعي بن عامر ﷺ لرستم قائد الفرس في معركة القدسية: "أتينا لنخرج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..."[1].

ب- الجور والظلم والاضطراب الذي تعيشه الشعوب المجاورة لشبه الجزيرة العربية، فكانت متلهفة لمن يخلصها من أوضاعها السيئة التي تعيشها. ولذلك كان كثير من أبنائها عوناً للفاتحين في بلادهم كما هي الحال في الشام وفي مصر وموقف القبط من فتح المسلمين لها.

جـ- ما يتصف به الفاتحون الأوائل من نشاط الحركة وخفة الأثقال وعدم التعلق بالدنيا، وخشونة العيش والصبر على الشدائد الأمر الذي ساعدهم على سهولة الحركة وسرعة التنقل والصبر على ذلك.

د- وأهم هذه العوامل ما يختص به الإسلام من مبادئ سامية وتعاليم سمحة تتوافق مع الفطرة البشرية مما كان له الأثر الأكبر في قبوله وسرعة انتشاره في كثير من المناطق وإن لم تصلها الجيوش الإسلامية.

هـ- ما كان للمسلمين في الصدر الأول من كثرة في الرجال الأفذاذ الذين نبغوا في القيادة والسياسة والحرب تخرجوا في

[1] عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، دار التراث القاهرة ، دت، ص ص 66- 71.

وقد سارت هذه الجيوش تباعاً والتي يبلغ تعدادها تقريبا ثلاثون ألف مجاهد. ولما علم الروم بقدومهم أعدوا لملاقاتهم جيشا قوامه أكثر من مائة وخمسين ألف مقاتل، واجتمع الفريقان قرب نهر اليرموك ولما رأى المسلمون كثرة عدوهم وعدته أرسلوا بالخبر إلى أبي بكر الذي طلب من خالد بن الوليد في العراق أن يتجه إليهم بنصف الجيش ويترك على العراق المثنى بن حارثة الشيباني. فسار خالد من العراق إلى الشام بسرعة فائقة وبمجرد وصوله اقترح على المسلمين توحيد القيادة والتنسيق فيما بينهم، فاجتمعت الجيوش الإسلامية تحت قيادته، كان الروم قد تحصنوا من جانب بنهر اليرموك وبخندق الواقوصة من الجانب الآخر.

ثم بدأ خالد ﷺ إدارة المعركة بتقسيم الجيش إلى كراديس – فرق – كل فرقة تسعمائة مقاتل حيث بلغ عدد هذه الفرق ثمان وثلاثون فرقة تقريبا. ثم قسمها إلى قلب وميمنة وميسرة ومقدمة وساقه، وقد كان على القلب أبو عبيده وعمرو بن العاص وعلى الميمنة شرحبيل وعلى الميسرة يزيد ﷺ أجمعن.

ثم أمر بعد ذلك القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل أن ينشبا القتال ويجتذبا الروم من تحصينهم إلى ساحة المعركة حيث حمل عليهم بعد ذلك خالد بقوة على منتصف صفوفهم وترك ميمنتهم وميسرتهم لتخفيف مقاومتهم للمسلمين وليترك المجال لمن أراد أن يهرب منهم فيخفف العبء على المسلمين، وكان لذلك أثره الكبير في انتهاء هذه المعركة بنصر المسلمين وتفرق جموع الروم[4].

أسباب انتصار المسلمين في المعركة:

على الرغم من التفاوت الكبير في العدد والعدة بين المسلمين والروم في هذه المعركة إلا أن المسلمين حققوا النصر بعون الله وقدرته وكان ذلك راجع إلى عدة أسباب منها:

1- اعتمادهم على الله سبحانه وتعالى وإيمانهم بإحدى الحسنين النصر أو الشهادة في سبيل الله.

2- توحيد القيادة والتنسيق بين الجيوش.

3- الخطة العسكرية التي وضعها خالد بن الوليد ﷺ من حيث تقسيم الجيش وطريقة الهجوم والاستفادة من موقع الروم بين الواقوصة والنهر إذ غرق فريق منهم في النهر وآخر سقط في الخندق حينما هجم خالد بقوة على وسطهم.

4- كان مشاة الروم قد ربطوا كل سبعة منهم بسلسلة، خشية الفرار فكان ذلك سبباً رئيسا في إعاقتهم عن الحركة خصوصا عندما يقتل أو يصاب واحد منهم.

عزل خالد بن الوليد:

و قبيل انتهاء معركة اليرموك جاء البريد من المدينة بخبر وفاة أبي بكر ﷺ وتولية عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة وعزل خالد بن الوليد ﷺ عن القيادة العامة في الشام وتولية أبي عبيده عامر بن الجراح ﷺ.

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، مج 7، ص 40.

[2] الأبلة بلدة عند نهاية شط العرب على الجانب الغربي منه. انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ص 99.

[4] الطبري، تاريخ الأمم والملك، مج 2، ص ص307- 328.

وكل ما يقال في سبب ذلك إنه راجع إلى سياسة عمر بن الخطاب ﷺ ورأيه، فهو يرى أن أبا عبيده أصلح في هذا المقام وفي هذه المرحلة من خالد ﷺ وفي كل خير[1]، وليس بعيداً أنه رأى المصلحة في عزله كي لا يفتتن به الناس فيحسبون أن النصر لا يتحقق إلا بوجوده.

ومما يدل على ذلك أن عمر قام بعزل سعد بن أبي وقاص ﷺ عن العراق بعد انتصاراته على الفرس في القادسية والمدائن وغيرها، ثم رشحه ضمن أهل الشورى الذين من بينهم الخليفة من بعده. فكان عزله لمصلحة الجهاد حيث خشي عمر أن يسبب خلاف سعد مع أهل العراق ضعفاً للمسلمين في هذه المنطقة ضد أعدائهم المتربصين. فكانت المصلحة في عزله في ذلك الوقت على الرغم من نجاحه في القيادة وانتصاراته الكبيرة على الفرس.

يلحظ على الفتوحات الإسلامية في عهد الصديق ما يلي:

1- لم يشرك الصديق ﷺ أحداً من المرتدين في الفتوح؛ لحداثة عهدهم بالردة، وعقوبة لهم بإظهار الاستغناء عنهم.

2- لم يستقر المسلمون في المناطق المفتوحة فكانت دائمة الثورات وبعضها فتح لأكثر من مرة كالحيرة[2].

حم الصديق ﷺ لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، فلما أحس بدنو أجله جمع كبار الصحابة فاستشارهم في العهد لعمر بن الخطاب ﷺ فقالوا خيراً فدعا عثمان بن عفان ﷺ وأملى عليه كتاباً في ذلك. ثم بعد ذلك توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة وله ثلاث وستون سنة. وقد دفن في بيت عائشة ﷺ بجوار النبي ﷺ. وكانت خلافته سنتين وشهرين وعشرين يوماً.

[1] شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي، مكتبة الخانجي، ص 62- 66.

[2] حمد الخضري، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، تحقيق وتعليق يوسف بديوي وسمير عطار، ص ص 87- 88.

المحاضرة التاسعة الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب ﷺ

1-مولده ومناقبه :هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب. يلتقي مع النبي ﷺ بالجد الثامن -كعب- لقب ﷺ بالفاروق وكناه بأبي حفص. حيث أن حفصاً ترخيم[1] لحفصة ﷺ أكبر أولاده[2].

ولد ﷺ بمكة بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة[3]، ويوافق ذلك خمسمائة وأربعة وثمانين للميلاد،كان طويل القامة ضخم الجسم، كثير شعر البدن، قليل شعر الرأس، أبيض البشرة يميل إلى الحمرة وقيل يميل إلى السمرة، يخضب شيبه بالحناء، أعسر أيسر- أي يعمل بكلتا يديه[4].

كان ﷺ سفير قريش في الجاهلية لفصاحته وشجاعته ورجاحة عقله، وعرف في الإسلام بالقوة والهيبة ومع ذلك كان متواضعاً زاهداً شديد الخوف من الله سبحانه وتعالى، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب"[5] فكان أحبهما إليه عمر. فاستجاب الله دعاء نبيه فأسلم عمر رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة وكان عمره عند إسلامه ثلاثا وثلاثين سنة. وقد أسلم قبله تسعة وثلاثون رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

وقد كان قبل إسلامه من أشد قريش على المسلمين،بل إن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد لقيا منه أذى شديداً حتى كان ليوثقهما على إسلامهما[6]، ولما أراد الله له النجاة أسلم ﷺ. ولشدة اقتناعه بالإسلام واعتزازه به أعلن إسلامه. فاجتمعت قريش عليه ﷺ. فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى جاء العاص بن وائل السهمي فدفعهم عنه[7].

وقد كان إسلامه ﷺ عزاً للإسلام ونصراً للمستضعفين في مكة. يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: " ... والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر"[8] وقال: "مازلنا أعزة منذ أسلم عمر"[9] .وذلك لما فيه من الجلد والقوة والهيبة ولما حازه بسبب هذه الصفات من مكانة في الجاهلية نفع الله بها المستضعفين من المسلمين بعد إسلامه.

2-موافقاته للقرآن الكريم:

كثيراً ما كان ﷺ يشير بالرأي فيما يراه حقاً فتنزل الآيات موافقة لرأيه، ومن ذلك:

1- اتخاذ مقام إبراهيم مصلى: فقد قال عمر ﷺ: "لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى" فنزلت قوله تعالى: **{واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}**[10].

---

[1] الترخيم حذف آخر الاسم المنادى للتمليح. كأن يقال في حفصة- ياحفص، وعثمان ياعثما.

[2] ابن حجر، الإصابة، مج 2 ، ص 511، وابن حجر: فتح الباري،مج 7، ص53.

[3] ابن حجر: الإصابة، مج 2، ص 511.

[4] ابن حجر، الإصابة، مج 2، ص 511، وابن سعد: الطبقات الكبرى، مج3، ص 324.

[5] الترمذي، سنن الترمذي،مج 5، ص 279،مج 3، ص 204).

[6] البخاري، الصحيح،مج 5، ص 139.

[7] أحمد، فضائل الصحابة، مج1، ص 282. والحاكم، المستدرك، مج 3، ص 85 وقال: على شرط مسلم.

[8] ابن حجر: فتح الباري، مج7،ص 59.

[9] البخاري: الصحيح،مج 5،ص 77.

[10] سورة البقرة: آية 125.

2- آية الحجاب: حيث قال للنبي ﷺ : "يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر و الفاجر"فنزلت قوله تعالى: **{يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما}**[1].

3- قتل أسارى بدر: وقد كان عمر ﷺ يرى القتل وأبو بكر ﷺ وغيره يرون الفداء وكان النبي ﷺ يميل إلى ذلك فنزل القرآن يؤيد رأي عمر وذلك في قوله تعالى: **{ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض}**[2].

4- تحريم الخمر: حيث كان عمر ﷺ يرى الآثار السلبية للخمر بين المسلمين فكان يدعو الله ويقول: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافيا، فكانت تنزل آيات تحريمها متدرجة مراعية أحوال المسلمين في ذلك الوقت.

وقد كان تحريم الخمر في ثلاث آيات: الأولى قوله تعالى:**{يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما}**[3]ثم نزلت قوله تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى}**[4] وأخيراً نزلت آية التحريم وهي قوله تعالى: **{ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه}**[5].

5- عدم الصلاة على المنافقين: وقد كان عمر ﷺ يرى عدم الصلاة على جنازة عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين فنزل قوله تعالى: **{ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون}**[6].

6- قول عمر ﷺ لنساء النبي ﷺ حينما اجتمعن عليه في

الغيرة: **{عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن}**[7] فنزلت هذه الآية من سورة التحريم[8].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر"[9]وهذا يدل على ما وهبه الله لعمر ﷺ من رجاحة العقل وصدق الفراسة ونفاذ البصيرة وسداد الرأي حتى يوافقه القرآن فيما يراه. وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك فقال:"إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"[10]وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر"[11]. ومحدَّثون جمع محدَّث أي ملهم وهو الرجل الصادق الظن وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد[12].

---

[1] سورة الأحزاب: آية 59.

[2] سورة الأنفال : آية 67.

[3] سورة البقرة: آية 219.

[4] سورة النساء: آية 43.

[5] سورة المائدة: آية 90.

[6] سورة التوبة: آية 84.

[7] سورة التحريم: آية 5.

[8] البخاري: الصحيح،مج 6، ص46 و278. وابن حجر، فتح الباري، مج 8، ص ص 18- 19.

[9] الترمذي، سنن الترمذي، مج 5،ص 280، وقال حسن صحيح.

[10] أحمد: فضائل الصحابة، مج 1،ص431 .

[11] البخاري: الصحيح، مج5،ص 78.

[12] ابن حجر، فتح الباري، مج 7،ص 62.

بيعته بالخلافة لما أحس أبو بكر ﷺ بدنو أجله إثر مرضه استشار الصحابة ﷺ فمن يولي عليهم ففوضوه بذلك[1]. فأمر عثمان ﷺ أن يكتب عهداً للخليفة من بعده، فكتب هذا العهد وكتب فيه اسم عمر ﷺ فأقره أبو بكر ﷺ على ما كتب[2].

ولما توفي أبو بكر ﷺ في يوم الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخر من السنة الثالثة عشرة من الهجرة، وبعد الفراغ من دفنه انعقدت الخلافة لعمر بن الخطاب ﷺ.

3: استمرار عملية الفتوح:

كان من سمات الفتوح في عهد الصديق ﷺ في كل من العراق والشام أن أقدام المسلمين لم تستقر في هذه المناطق لكونها بدايات الفتوح الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية، وفي خلافة الفاروق كانت الفتوحات تثبيتاً لأقدام المسلمين في هاتين المنطقتين، واستكمالاً للفتوح فيها، ومواصلة لها في مناطق أخرى.

أ– فتوح العراق:

لما ترك خالد بن الوليد ﷺ العراق متوجهاً إلى الشام بأمر من أبي بكر الصديق ﷺ ترك على جيش المسلمين هناك المثنى بن حارثة الشيباني الذي انسحب بالمسلمين من الحيرة إلى الصحراء لما رأى استعدادات الفرس وعزمهم على القضاء على المسلمين، حيث حضر إلى المدينة ليخبر أبا بكر في ذلك ويطلب منه المدد، حيث وجده في مرض الوفاة إلا أن أبا بكر ﷺ أوصى عمر ﷺ باستنفار الناس والحاقهم بجيش المثنى. ثم عاد المثنى إلى العراق ولحق به أبو عبيد بن مسعود الثقفي الذي أرسله عمر ﷺ بعد تسلمه الخلافة، وكتب إلى المثنى كتاباً يأمره أن ينضم بجيشه إلى أبي عبيد.

معركة الجسر:

لما وصل أبو عبيد إلى العراق وانضم إليه المثنى ومن معه كان أول لقاء له مع الفرس في مكان يقال له النمارق حيث انتصر عليهم وتقدم إلى الحيرة. وهناك عبأ الفرس لملاقاته جيشا كبيراً جعلوا قيادته لبهمن جاذويه وجهزوه بالفيلة ثم التقى الجيشان عند نهر الفرات الذي كان يفصل بينهما، وكان عليه جسرا. وقد خير الفرس أبا عبيد أن يعبر إليهم أو يعبروا إليه فاختار العبور على الرغم من معارضة بعض المسلمين له. إذ بعبوره أصبح النهر من ورائه فضاق مجال الحركة على جيشه، وفي بداية المعركة رجحت كفة المسلمين إلا أن الفيلة أرعبت خيلهم فخلخلت مواقعهم فتغلب الفرس واستشهد أبو عبيد وقطع الجسر فزاد ذلك من خسائر المسلمين التي بلغت أربعة آلاف شهيد تقريبا، ثم أُصلح الجسر وانحاز المثنى ببقية المسلمين. ولما بلغ النبأ عمر قال: يرحم الله أبا عبيد لو انحاز إلي لكنت له فئة. وكانت هذه المعركة في شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة[3].

معركة البويب:

كان لابد للمسلمين أن يثأروا للجسر من أجل دفع الأثر السيئ الذي خلفته هذه المعركة على جيوشهم في العراق، ولزعزعة الثقة في جيوش الفرس التي تعيش نشوة الانتصار في تلك المعركة.

لذلك أمر عمر ﷺ المثنى بن حارثة ﷺ الذي سار إلى الفرس حيث التقى معهم في مكان يقال له البويب قرب الكوفة فانتصر عليهم وقتل قائد هم مهران، كما قام المثنى بتعقب الفارين. واستعاد المسلمون بهذا النصر معنوياتهم. وكانت هذه

---

[1] البخاري: الصحيح، مج5، ص79. ومسلم بنحوه: الصحيح، مج 4،ص 1859.

[2] الصحيح، مج 5، ص 77. ومسلم: الصحيح، مج 4، ص ص 1863- 1864.

[3] بقي بن مخلد، مقدمة مسنده، تحقيق د. أكرم العمري ص 81.

المعركة بعد الجسر بشهر تقريبا. ثم انحاز المثنى إلى مكان يقال له ذي قرن، وهناك تسمم عليه جرح أصابه يوم الجسر فمات رحمه الله رحمة واسعة[1].

معركة القادسية:

وقعت هذه المعركة في العام الخامس عشر[2] من الهجرة، فبعد هزيمة الفرس في البويب ازداد إحساسهم بخطر المسلمين عليهم فاجتمع أمراؤهم على تمليك يزدجرد بن شهريار بن كسري وعزموا على الدخول مع المسلمين في معركة فاصلة فأثاروا السكان وألبوهم ضد المسلمين. وكان المثنى قبل وفاته قد أخبر عمر ﷺ بذلك. فأعد مدداً أراد أن يقوده بنفسه لولا نصيحة الصحابة له بالبقاء، فولى القيادة سعد بن أبي وقاص. ويذكر أن جيشه بلغ بمن التحق به في طريقه إلى العراق حوالي عشرين ألف مجاهد، وبعد وصوله إلى العراق وانضمام جيش المثنى إليه أصبح ثمان وعشرون ألف مجاهد تقريباً.

وبعد اكتمال الجيش في العراق عسكر سعد ﷺ في مكان يقال له القادسية[3]– وهي قرية في الصحراء قرب الحيرة– وهناك وافاهم الفرس بقيادة رستم بمائة وعشرين ألف مقاتل وثلاثين فيلا مدرباً. ثم دارت المراسلات بين الطرفين، وكان في البداية ممن يقوم بها من طرف المسلمين المغيرة بن شعبة والنعمان بن مقرن المزني رضي الله عنهما. ولكن هذه المراسلات والمفاوضات لم تسفر عن نتيجة. وعندما اقترب الجيشان من بعضهما أرسل سعد ربعي بن عامر ثم المغيرة بن شعبة لمفاوضة قائد الفرس رستم، ولم يسفر ذلك عن شيء، ثم قسم سعد ﷺ الجيش إلى خمسة أقسام مقدمة وميمنة وميسرة وقلب وساقه. ثم دار القتال بين الفريقين في ثلاثة أيام هي أرماث وأغواث وعماس ولياليها الهدأة والسواد والهرير[4] وهي أشدها.

---

[1] البخاري: الصحيح،مج 5،ص 76. وروى بنحوه مسلم: الصحيح،مج 4، ص ص1859– 0 186.

[2] اختلف في سنة القادسية بين 14 و15 و16، ويرجح د.أكرم العمري أنها وقعت سنة 15هـ. أكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص 331.

[3] سميت أيام القادسية ولياليها بهذه الأسماء لمعان تدل عليها: فإرماث من رمثُ الشيء إذا خلطته. انظر: لسان العرب، مادة رمث 308/5. فربما هذه التسمية لاختلاط جيوش المسلمين بجيوش الفرس في هذا اليوم. وأغواث، ربما من الغوث. وأغاثه بمعنى أعانه ونصره. انظر: المصباح المنير ص 173. فهذه التسمية ربما لوصول الغوث والنجدة للمسلمين من الشام. وعماس من العمس وهو شدة الظلمة. انظر: لسان العرب مادة عمس مج 9، ص398. فقد كان هذا اليوم شديداً حالكا ربما لكثرة غبار المعركة. والليالي: الهدأة من سكون الحركة والصوت وغيرها. انظر: لسان العرب مادة هدأ 15 / 45. وليلة الهدأة ربما لعدم حصول قتال فيها. والسواد نقيض البياض ويأتي بمعنى الظلمة. انظر: لسان العرب مادة سود مج 6، ص 420. وليلة السواد ربما لشدة ظلمتها. و الهرير: صوت الكلب وهو دون النباح وبه يشبه نظر الكماة بعضهم إلى بعض. المصباح المنير ص 244. فربما هذه التسمية لامتداد القتال في هذه الليلة فما يسمع إلا مثل هذه الأصوات للمقاتلين في ظلمة الليل. وانظر: عادل كمال، القادسية، ص 145– 164.

[4] أريس بستان في المدينة. ابن حجر: فتح الباري، مج 7، ص 44.

وفي اليوم الأول اشتد الأمر على المسلمين لدور الفيلة في القتال ونفور خيل المسلمين منها فانتدب سعد إليها من يقطع الحبال التي تشد الصناديق على ظهورها. وكانت الكفة في هذا اليوم لصالح الفرس، وفي اليوم الثاني وصلت الإمدادات من الشام بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص والذي جعل على مقدمته القعقاع بن عمرو الذي نادى بالمبارزة بمجرد وصوله فخرج له بهمن جاذويه فصاح القعقاع بثارات أبي عبيد في الجسر ثم بارزه فقتله. وفي هذا اليوم اختفت الفيلة عن الظهور ليصلحوا من أمرها فكان يوماً طيباً بالنسبة للمسلمين ،وفي اليوم الثالث عادت الفيلة للظهور ولكن خيل المسلمين لم تنفر منها لأنها تعودت على مواجهتها في اليوم الأول، إضافة إلى أن سعداً انتدب إليها من يقطع خراطيمها ويوجه النبل إلى عيونها. فلما فُعل ذلك بها استدارت وأعملت الخلل في صفوف الفرس فتحولت الكفة إلى المسلمين حتى انتهى الأمر بنصرهم وقتل رستم على يد هلال بن علفة. هذا ولم يشارك سعد بن أبي وقاص ﷺ في هذه المعركة لمرضه، فكان يقودها ويشرف عليها من مكان أعد له من فوق سطح القصر القريب من ساحتها[1].

وقد كان انتصار المسلمين في هذه المعركة على الفرس على الرغم من استعداداتهم لها، نصراً حاسماً حطم معنوياتهم وأذل كبريائهم وزاد من خلافاتهم وقطع آمالهم بالانتصار على المسلمين. فكانت هذه المعركة البداية الفعلية لسقوط دولة الفرس.

ب– فتح المدائن[2]:

تم فتح المدائن سنة ست عشرة للهجرة، وتعد هذه المدينة عاصمة الفرس وتقع شرقي نهر دجلة. فبعد أن أقام سعد ﷺ في القادسية شهرين وقيل أكثر ينتظر أمر الخليفة وتوجيهاته أتاه الأذن بفتحها، وفي طريقه إليها قاتل حامية فارسية في بابل ثم انطلق إلى المدائن الغربية ودخلها دون مقاومة وكان يزدجرد قد فر منها إلى جلوان تاركا فيها حامية للدفاع عنها. بعد ذلك اقتحم المسلمون نهر دجلة بجرأة نادرة لم يستطع الفرس معها صدهم حيث سلمت الحامية لهم على الجزية ودخل المسلمون القصر الأبيض الذي وعدهم الرسول ﷺ بفتحه، ثم سير سعد بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص و القعقاع بن عمرو إلى جلولاء ثم حلوان سنة ست عشرة من الهجرة حيث تم فتحهما .

ج –بناء الكوفة والبصرة:

بعد مقام المسلمين في المدائن بعد فتحها استوخموها فتغيرت ألوانهم وضعفت أبدانهم فكتب سعد بذلك إلى عمر بن الخطاب ﷺ فكتب إليه عمر أن لا يوغل في بلاد الفرس وأن يبني للمسلمين مدينة لا يفصلها عن الصحراء ماء لتكون منطلقاً للجيوش الإسلامية في العراق. فبعث سعد حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي يرتادان للمسلمين منزلاً مناسباً يصلح لإقامتهم فكان اختيارهما لأرض الكوفة حيث أمر سعد باختطافها ثم انتقل من المدائن إليها سنة سبع عشرة من الهجرة، وكان عتبة بن غزوان قد بنى مدينة البصرة في منطقة الأبلة سنة أربع عشرة. حيث بناها بالقصب ثم أُعيد بناؤها باللبن سنة ست عشرة تفادياً للحريق[3].

معركة نهاوند[4]:

كان عمر ﷺ يرى عدم الإنسياح[1] في بلاد الفرس وتقضي خطته ﷺ بعدم تعقب فلول الفرس في إيران، فلذلك تمكن

---

[1] البخاري: الصحيح، مج 5، ص 73. ومسلم: الصحيح، مج 4، ص868 1.

[2] تقع المدائن على نهر دجلة في العراق بالقرب من بغداد من جهة الجنوب. انظر: د. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 113.

[3] ابن أبي شيبه، المصنف، مج6، ص 361 .

[4] تقع حاليا في إيران شمال شرق مدينة أصفهان. انظر: د. حسين مؤنس، أطلس الإسلام، ص13.

بعض قادتهم كملكهم يزدجرد وأبرز قوادهم الهرمزان من إعادة تنظيم صفوفهم و بدأوا في تجميع الفرس ضد المسلمين في منطقتين هما:

نهاوند تحت إمرة يزدجرد والأهواز تحت إمرة الهرمزان. فكانت هاتان المدينتان منطلقاً لتحرشات الفرس بالمسلمين في العراق ، فأما الهرمزان فتم القضاء على فلوله بعد ملاحقته في عدة مناطق وفتحها ابتداء من الأهواز ثم رامهرمز ثم أسره أخيراً في تستر وإرساله إلى عمر في المدينة.

أما يزدجرد فلا زال يجمع جموعه في نهاوند ويحرض على المسلمين فاجتمع حوله ما يقرب من مائة وخمسين ألف مقاتل جعل على قيادتهم الفيرزان. فلما علم عمر ﷺ بهذه الحشود هم أن يقود الجيش بنفسه لولا نصيحة الصحابة له بالبقاء. فعين النعمان بن مقرن المزني على الجيش وبعده حذيفة بن اليمان، وقد قيل إن تعداد المسلمين ثلاثون ألف مجاهد.

أرسل النعمان ﷺ عمرو بن معد يكرب الزبيدي ثم طليحة بن خويلد الأسدي للاستطلاع. وبعدما أتياه بأخبار نهاوند وتحصيناتها سار إليها ووضع خطته العسكرية التي تقضي باستدراج الفرس خارج حصونهم ومن ثم مهاجمتهم بعد ذلك، فكانت المقدمة بقيادة القعقاع بن عمرو الذي تمكن من تحقيق هذا الغرض، ثم أشار النعمان إشارة البدء بالقتال فدارت معركة قوية بين الفريقين استشهد فيها النعمان ﷺ، فتولى القيادة بعده حذيفة بن اليمان الذي أخفى خبر استشهاده حتى نهاية المعركة وانتصار المسلمين ،حيث فر بعد ذلك يزدجرد الذي قتل فيما بعد على يد بعض اتباعه في مرو في خلافة عثمان ﷺ.،وقد تشتت الفرس بعد هذه المعركة فلم تقم لهم قائمة، ولم تعد لهم مقاومة منظمة، ولذلك سميت معركة نهاوند لأهميتها بفتح الفتوح وقد كانت في سنة إحدى وعشرين للهجرة[2].

د–الإنسياح في بلاد الفرس:

بعد انتهاء معركة نهاوند سنة إحدى وعشرين للهجرة، وفي سنة ثنتين وعشرين أخذ عمر ﷺ برأي الأحنف بن قيس والذي يقضي بملاحقة فلول الفرس والقضاء عليهم لئلا ينظموا صفوفهم فتقوى شوكتهم فيثيروا القلاقل في المناطق المفتوحة ويهددوا استقرار المسلمين فيها، فلذلك أذن عمر ﷺ بالإنسياح في بلاد الفرس فأعد لذلك سبعة ألوية على النحو التالي: انظر الخريطة

[1] الإنسياح يعني الانتشار.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك،مج 2، ص ص518– 530.

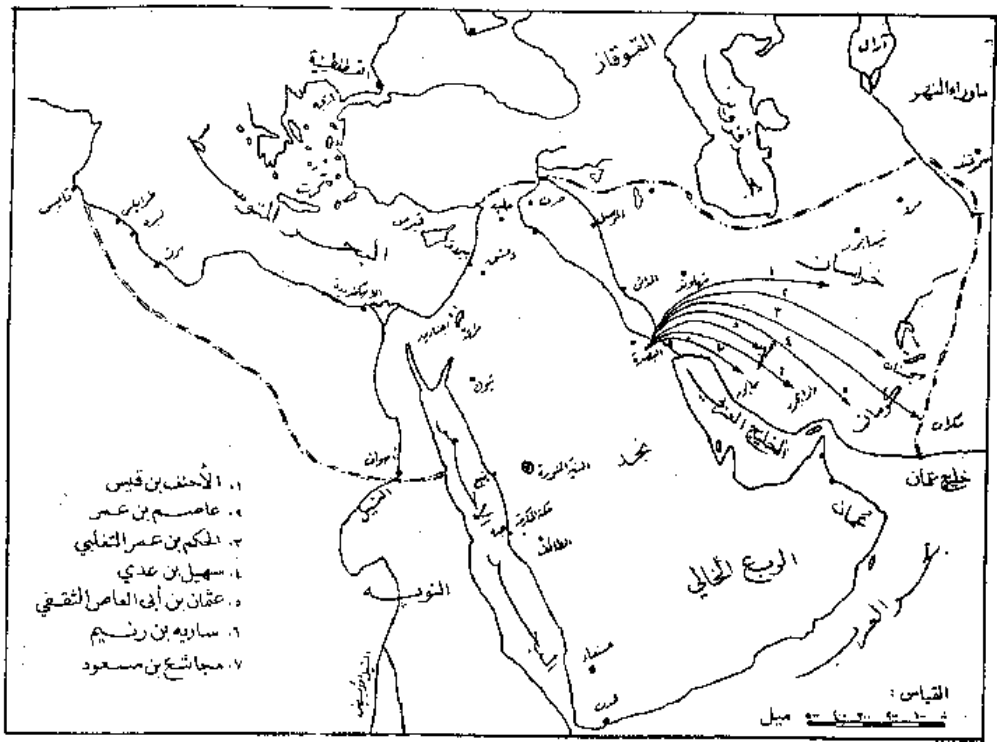

الدولة الاسلامية في نهاية خلافة عمر ﷺ وأولية الانسياح في بلاد الفرس بعد نهاوند

1- لواء خرا سان[1] للأحنف بن قيس.

2- لواء سجستان[2] لعاصم بن عمر.

3- لواء مكران[3] للحكم بن عمرو التغلبي.

4- لواء كرمان[4] لسهيل بن عدي.

5- لواء اصطخر[5] لعثمان بن أبي العاص الثقفي.

6- لواء درابجرد[6] لسارية بن زنيم.

7- لواء اردشير وسابور[7] لمجاشع بن مسعود.

حيث سار هؤلاء القواد إلى المناطق التي أمروا بفتحها في سنة ثنتين وعشرين من الهجرة والعمل على تثبيت الإسلام فيها الأمر الذي قلل من انتقاضها على المسلمين بعد ذلك[8].

هذا وقد اقتضى الإنسياح في بلاد الفرس من المسلمين تضحيات عظيمة فكانت الفتوح فيها أعنف من غيرها بسبب طبيعة هذه المناطق الجبلية التي تمكن السكان من المقاومة، وبعدها عن مراكز الجيش في البصرة والكوفة، إضافة إلى أن هذه البلاد

---

[1] تضم حالياً شمال شرق إيران وجزءً من شمال غرب أفغانستان. انظر: هاري. و. هازارد وآخرين، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 11.

[2] تقع على الحدود بين أفغانستان وباكستان وإيران. انظر المرجع السابق، ص 11.

[3] تقع على الحدود بين إيران وباكستان. انظر: هاري. و. هازارد وآخرين، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 11.

[4] تقع في الوسط الجنوبي من إيران حاليا. انظر: المرجع السابق، ص 11.

[5] تقع حاليا قرب مدينة شيراز في شرق إيران. انظر: المرجع السابق، ص 11.

[6] تقع حاليا جنوب مدينة شيراز في شرق إيران. انظر: المرجع السابق، ص 11.

[7] تقعان حاليا شرق إيران. انظر: المرجع السابق، ص 11.

[8] الطبري، تاريخ الأمم والملوك،مج 2، ص 546. وابن كثير، البداية والنهاية، مج7، ص 130.

مركز للمجوسية فكان الحقد المجوسي على الإسلام يثير السكان على المسلمين الفاتحين.

د– فتوح الشام:

في الوقت الذي كانت تسير فيه الفتوحات في العراق كانت جيوش المسلمين أيضا تواصل فتوحاتها في الشام.

فتح دمشق:

بعد معركة اليرموك اجتمعت فلول من الروم في فحل. ووصل مدد عظيم من قبل ملك الروم إلى دمشق، فكتب أبو عبيده ﷺ إلى أمير المؤمنين يستشيره في أي البلدين يبدأ، فأشار عليه أن يرسل فرقة إلى فحل يشغل من بها ويتوجه هو إلى دمشق لأنها حصن الشام وبيت ملكه. فسير فرقة من جيشه إلى فحل وتوجه هو إلى دمشق وعلى مقدمته خالد بن الوليد. فلما وصل أبو عبيدة دمشق تحصن أهلها فحاصرها ستة أشهر. هومن جهة وخالد من جهة أخرى. ثم فتح خالد الباب الشرقي عنوة وفتح أبو عبيده باب الجابية صلحاً وأجرى أبو عبيده الصلح مع دمشق وكان ذلك أوائل سنة أربع عشرة من الهجرة[1].

وبعد فتح دمشق توجه المسلمون بقيادة شرحبيل بن حسنة إلى فحل حيث هزموا من كان فيها من الروم. ثم تمكن المسلمون من بسط نفوذهم على سوريا والجزيرة والأردن، إذ تمكن أبو عبيده من فتح حمص ثم حماه صلحا و اللاذقية عنوة، وكذلك تمكن خالد ﷺ من فتح قنسرين – قرب حلب– عنوة.

هـ –فتح بيت المقدس:

في الوقت الذي تسير فيه الفتوح في أنحاء الشام كان عمرو بن العاص ﷺ يتقدم في فلسطين حيث حاصر أرطبون وجيشه في أجنادين سنة ثلاث عشرة من الهجرة وبعدما هزمه اضطر أرطبون إلى الاعتصام بحصون بيت المقدس، فاتجه المسلمون إلى مدن الساحل حيث فتحوا رفح وغزة ونابلس ويافا وغيرها بعضها عنوة وبعضها صلحا.

بعد ذلك اتجه عمرو إلى بيت المقدس فحاصره طويلاً حتى قطع الإمدادات عنه، لذلك رغب أهله في الصلح على أن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب ﷺ. فقدم عمر بنفسه إلى الجابية وكتب كتاب الصلح للقدس وسلمت مفاتيحها إليه.

أما أرطبون قائد حامية القدس فانسحب إلى مصر[2]نوهكذا تم فتح بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

هذا ومجيء عمر للشام من أجل استلام مفاتيح بيت المقدس كان في سنة خمس عشرة من الهجرة، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يأتي فيها عمر للشام، وفي سنة ثمان عشرة أراد ﷺ السفر إليها فحال بينه وبينها طاعون عمواس الذي مات فيه أبو عبيده ومعاذ و شرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ﷺ وغيرهم. وفي العام نفسه عاد عمر ﷺ إلى الشام بعد زوال الطاعون عنها فقسم المواريث ونظر في مصالح الناس هناك.

و. – فتح مصر:

كانت مصر تابعة للدولة البيزنطية ومتصلة بها عن طريق الشام، ولما تم للمسلمين فتح الشام شطروا بذلك هذه الإمبراطورية إلى شطرين يفصلهما البحر. ومع وجود حامية قوية للروم في مصر وتوافر أسطول قوي لهم في البحر المتوسط فلا يأمن المسلمون في الشام– ومصر تحت نفوذ الروم–، إضافة إلى ما تتميز به من ناحية الموقع كبوابة للدخول إلى أفريقيا وما يتوفر بها من ثروات اقتصادية لها أثرها في قوة الدولة الإسلامية، وما يعيشه أهلها القبط من ظلم الروم لهم الأمر الذي جعلهم يرحبون بالفتح الإسلامي بل ويساعدون المسلمين بإصلاح الطرق وإقامة الجسور وإمدادهم بالمؤمن. وفوق كل ذلك الرغبة الشديدة

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، مج7، ص ص 19– 23.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك،مج 2، ص ص448– 450.

لدى الفاتحين في نشر الإسلام والتمكين للعقيدة في كل مكان[1].

لذلك كله استأذن عمرو بن العاص عمر بن الخطاب في فتح مصر فأذن له، وبعد تثبيت أقدام المسلمين في فلسطين سار عمرو إلى مصر حيث بدأ بالعريش ودخلها سنة تسع عشرة وقيل عشرين ثم الفرما ثم بلبيس حيث واجه الروم فيها بقيادة أرطبون فهزمه وقتل أرطبون نفسه.

فتح حصن بابليون:

فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ

ثم تقدم عمرو بن العاص إلى أم دنين فهزم الروم وتوجه بعدها إلى حصن بابليون الذي اعتصمت به قوات رومية برئاسة المقوقس والي مصر من قبل الروم وقيادة ثيودور. وقد جاء مدد من المدينة إلى المسلمين بقيادة الزبير ابن العوام على رأس أربعة آلاف مجاهد فيهم المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد. وقد تمكن عمرو بن العاص من هزيمة الروم خارج الحصن فلجأوا إليه وفر ثيودور إلى الإسكندرية فحاصرهم المسلمون وطالت مدة الحصار ودارت المفاوضات التي لم تؤد إلى نتيجة فاقتحم المسلمون الحصن فسارع المقوقس إلى الصلح فقبل منه عمرو[2].

ك–فتح الإسكندرية:

[1] أكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، 348. وشكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي، 118– 120

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص ص512– 517. وابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 50– 53.

اتجه المسلمون بعد بابليون إلى الإسكندرية التي كانت عاصمة الروم في مصر حيث حاصرها المسلمون وطالت مدة الحصار وذلك لسهولة اتصال الروم بها من جهة البحر ووصول الإمدادات إليها. فعقد عمرو بن العاص القيادة لعبادة بن الصامت الذي واصل حصارها. وكان هرقل قد عزل المقوقس إثر الصلح الذي عقده مع المسلمين في بابليون فلما مات هرقل، عاد المقوقس إلى مصر فوجد الإسكندرية محاصرة فصالح المسلمين عليها. وفتحها عبادة ﷺ صلحاً في المحرم من سنة إحدى وعشرين للهجرة. بعد الإسكندرية أنشأ عمرو الفسطاط ثم سار إلى الغرب ففتح برقة صلحاً سنة إحدى وعشرين ثم فتح طرابلس سنة ثنتين وعشرين .

ثانيا: الإصلاحات التنظيمية في عهد عمر:

تميز عهد عمر ﷺ بكثير من الإصلاحات والتنظيمات في الدولة الإسلامية وذلك نتيجة لعبقريته ﷺ وطول فترة خلافته ، وتوسع الدولة في عهده وظهور الحاجة إلى مثل هذه التنظيمات من أجل تسهيل إدارتها، خصوصا مع اطلاع المسلمين على بعض هذه التنظيمات في البلاد المفتوحة.

ومن أهم هذه التنظيمات ما يلي:

1- نظام ولاية الأمصار: حيث قسم عمر ﷺ الدولة إلى أقسام إدارية وجعل لكل مصر وال وقاض وصاحب خراج وكل منهم له مسئوليته الخاصة وارتباطه مباشرة بالخليفة. بينما كان في عهد أبي بكر ﷺ قائد الجيش هو الذي يدير المقاطعات التي يفتحها[1].

2- نظام الدواوين: وهو ﷺ أول من أدخل ذلك في الدولة الإسلامية، حيث أنشأ ديوان الجند سنة عشرين من الهجرة، وديوان الخراج لمعرفة ما يرد إلى بيت المال وما يفرض لكل مسلم من العطاء[2].

3-بيت المال: ويقصد به بيت مال المسلمين، وفي عهد النبي ﷺ لم يكن هناك بيت للمال وكذلك في عهد أبي بكر ﷺ فكان ما يرد من أموال للدولة يصرف في حينه في مصالح المسلمين،ومع اتساع الدولة الإسلامية في عهد عمر وكثرة الأموال تبعاً لذلك أنشأ ﷺ بيتاً للمال لضبط موارد الدولة ومصروفاتها وعين عبد الله بن الأرقم أميناً له. وجعل لكل ولاية أميناً لبيت المال له اختصاصات مستقلة عن الوالي والقاضي، وأهم موارد بيت المال: الزكاة، والخراج، والجزية، وخمس الغنيمة، والفيء، والهبات، ومواريث من ليس لهم وارث، أما مصارفه فما يرد من الزكاة يصرف في مصارفها المنصوص عليها، والبقية في مصالح المسلمين العامة، وأما السهام فتوزع على أصحابها في حينه.

4- القضاء: كان رسول الله ﷺ قاضياً للمسلمين في عهده كما كان مبلغاً للشريعة ولما ولي أبو بكر الصديق ضي الله عنه أسند القضاء إلى عمر ﷺ إلا أنه لم يتلقب بلقب القاضي،وفي الأمصار يقوم الولاة بهذه المهمة.

ومع اتساع الدولة الإسلامية وانتشار المسلمين في البلاد واختلاطهم بغيرهم قام عمر ﷺ بتعيين القضاة في الولايات الإسلامية كأبي الدرداء في المدينة و شريح بن الحارث في الكوفة وأبي موسى الأشعري في البصرة. وغيرهم. وبذلك فصل السلطة القضائية عن سلطة الوالي، حيث يرتبط القاضي مباشرة بالخليفة[3].

---

[1] . يوسف العش، الدولة الأموية، ص 17.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص 452.

[3] ابن شبه، تاريخ المدينة، مج 2، ص693. ود. أكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص 142.

5- البناء والتشييد: وقد اهتم عمر ﷺ بهذا الجانب حيث قام بتوسعة مسجد رسول الله ﷺ[1]، ووضع سوراً صغيراً يحيط بالكعبة، وأخر المقام عنها للحاجة، وكان متصلقاً بها في زمن النبي ﷺ وأبي بكر[2].

واهتم كذلك ببناء المدن للمسلمين في البلاد المفتوحة، وأشار باختيار مواقعها في أماكن يسهل اتصالها بمركز الخلافة. ومن أهم المدن التي بنيت في عهده: البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر[3].

6- وعمر ﷺ أول من دعي أمير المؤمنين[4]، وأول من كتب التاريخ الهجري، وجمع الناس على صلاة التراويح[5]، وأول من عس بالمدينة وحمل الدرة وأدب بها وجلد في الخمر ثمانين[6].

استشهاد عمر ﷺ كان المغيرة بن شعبة والي الكوفة لعمر فكتب يستأذن بدخول غلام له يقال له: أبو لؤلؤة المجوسي، وذكر المغيرة أن لدى الغلام أعمالا تنفع الناس فهو حداد ونقاش ونجار. فأذن له عمر. وقد ضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر. وفي ذات يوم لقي أبو لؤلؤة عمر في إحدى سكك المدينة فشكى إليه شدة الخراج. فقال عمر: ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل، فانصرف ساخطاً.

ثم لقيه عمر مرة أخرى فسأله عن رحى يريد أن يصنعها تطحن بالريح. فرد أبو لؤلؤة عابساً وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها. فأقبل عمر على من معه فقال توعدني الغلام. وبعد أيام اشتمل أبو لؤلؤة خنجراً ذا رأسين نصابه وسطه فكمن لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة. ولما تقدم إليها وكبر طعنه عدة طعنات إحداهن في خاصرته ثم التفت على الصفوف يطعن يمنة ويسرة حتى أصاب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة ولم يتوقف حتى ألقي عليه برنساً، فلما رأى أبو لؤلؤة أنه مقتول نحر نفسه.

أما عمر فقدم عبد الرحمن بن عوف للصلاة بالناس فصلاها خفيفة ثم حمل عمر إلى بيته وجرحه ينزف حيث طلب من ابن عباس أن ينظر من طعنه فلما أخبره قال: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي على يد رجل يدعي الإسلام. ثم أتي له بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، وهذا النبيذ عبارة عن تمرات نبذت في ماء- أي نقعت فيه- كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء، ثم أوصى عمر ﷺ ابنه عبد الله بأن يوفي ما عليه من الدين ثم بعثه يستأذن عائشة في أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له[7]. ثم توفي ﷺ متأثراً بجرحه بعد أن أوصى بالخلافة لأهل الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

---

[1] البخاري، الصحيح، مج1، ص 194.

[2] ابن حجر، فتح الباري، مج 7، ص181.

[3] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 2/ 438 و482. وابن كثير، البداية والنهاية، 6/ 102.

[4] أول من أطلق ذلك على عمر ﷺ لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم الطائي حينما وصلا من العراق ليخبرا عمر ﷺ عن أحوال العراق وأهله، حيث قالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال: أنتما والله أصبتما اسمه. إنه الأمير ونحن المؤمنين. فجرى الكتاب من ذلك اليوم. انظر: الحاكم، المستدرك، 3/ 81، 82 وقال الذهبي: "صحيح ".

[5] ثبت أن النبي ﷺ صلى بالناس صلاة التراويح جماعة لكنه لم يداوم عليها خشية أن تفرض عليهم لأن زمانه زمان وحي وتشريع، فلما زالت علة التشريع بموته ﷺ رجع الأمر إلى أصله. وقد كان المسلمون في عهده ﷺ وعهد أبي بكر وصدر خلافة عمر يصلونها أوزاعاً متفرقين ثم جمعهم عمر ﷺ على إمام واحد وفي ذلك لم يكن ﷺ مبتدعاً في الدين لأن ما فعله له أصل في الشرع. انظر: د. عبد الله الطيار، الصلاة، ص 312.

[6] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 2/ 569- 570. وابن عبد البر، الاستيعاب، 452/2

[7] ابن حجر، فتح الباري، 7/ 76- 82.

وكانت وفاته قبل نهاية ذي الحجة بأربع ليال من سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. بعد خلافة دامت عشر سنوات وستة أشهر[1]. وكان عمره ثلاثاً وستين سنة[2] ﷺ وأرضاه.

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى، 563/3.

[2] أبو نعيم، معرفة الصحابة، 1/ 591.

المحاضرة العاشرة الخليفة الثالث: عثمان بن عفان ﷺ

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، يلتقي مع رسول الله ﷺ بجدهما عبد مناف. وأمه أروى بنت كريز وأم أروى هي البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

يكنى بأبي عمر وأبي عبد الله وأبي ليلى. ويلقب بذي النورين لأنه تزوج بابنتي رسول الله ﷺ رقية التي توفيت في غزوة بدر ثم أم كلثوم وقد توفيت في حياة النبي ﷺ[1].

1–مولده ولد عثمان ﷺ في الطائف بعد عام الفيل بست سنوات أي قبل الهجرة بسبع وأربعين سنة. ويوافق ذلك خمسمائة وسبع وسبعين للميلاد. وقد وصف بأنه متوسط الطول، حسن الوجه فيه نكتات من جدري، رقيق البشرة، عظيم اللحية، أسمر كثير شعر الجسم[2].

2–فضائل عثمان بن عفان :عثمان بن عفان من السابقين الأولين إلى الإسلام أسلم على يد أبي بكر الصديق ﷺ. ومنذ أن أسلم وهو بصفاته وأخلاقه مثالا يحتذي ، فقد مضى في إيمانه قوياً صابراً عفواً كريما محسناً رحيماً سخياً باذلاً يعين المؤمنين ويواسي المستضعفين ويتجاوز عن المسيئين حتى وافته المنية ﷺ صابراً محتسباً شهيدا. وفيما يلي شيء من فضائله ﷺ:

أ– تميزه بصفة الحياء واختصاصه باستحياء الملائكة منه. فعن عائشة ﷺ قالت: "كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فدخل فتحدث. فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: "ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة"[3].

ب– بشارته بالجنة فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الستة الذين نص عليهم عمر بن الخطاب ﷺ أنهم أهل الشورى وفيهم تكون الخلافة من بعده. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ : "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله ﷺ. ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله. ثم استفتح رجل آخر فقال لي: "افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه" فإذا هو عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ثم قال: الله المستعان[4].

جـ– وقد أخبر النبي ﷺ أنه يموت شهيداً. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "صعد رسول الله ﷺ أحدا ومعه أبو بكر

---

[1] ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن مُحَمَّد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية – بيروت، 1995،مج2، ص 455؛ وابن عبد البر، الاستيعاب بهامش الإصابة،مج 3،ص 69.

[2] ابن حجر، المصدر نفسه ،مج 2، ص 455؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي ،تح مُحَمَّد علي البجاوي ، دار الجيل،1992، مج 3،ص 74.

[3] مسلم، الصحيح، مج 4،ص1866.

[4] البخاري، الصحيح، مج 5،ص 80؛مسلم، نفسه ،مج 4،ص ص 1868- 1869.

وعمر وعثمان فرجف، فقال: اسكن أحد- أظن ضربه برجله- فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان"[1].

د- تخصيصه بابنتي رسول الله ﷺ وهذا لم يحصل لأحد قبله أن تزوج بابنتي نبي. حيث زوجه ﷺ ابنته رقية ﷺ ولما توفيت زوجه أختها أم كلثوم ﷺ.

وقد سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ عن عثمان فقال: "ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه ضمن له بيتاً في الجنة"[2].

وسئل المهلب بن أبي صفرة لم قيل لعثمان ذو النورين؟ فقال: "لأنا لا نعلم أحداً أرسل ستراً على بنتي نبي غيره[3]".

هـ- جهاده مع رسول الله ﷺ بنفسه حيث شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وكان تخلفه عن حضور معركة بدر بإذن رسول الله ﷺ لكي يمرض زوجه رقية حيث وعده النبي أجر رجل ممن شهد المعركة وسهمه. وقد كانت بيعة الرضوان بسببه لما أشيع أن قريشاً قتلته أو احتجزته فوضع النبي ﷺ يمينه بشماله وقال: "هذه يد عثمان"[4]فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خير من يد عثمان لنفسه.

و- جهاده بماله وإنفاقه في سبيل الله. وفي هذا المجال وقف عثمان ﷺ ثروته في خدمة الإسلام ورسوله فقد كان السباق إلى البذل حينما يندب النبي ﷺ لذلك. وفيما يلي أمثلة تبين بعض جهود عثمان ﷺ في هذا المجال:

1- تجهيزه لجيش العسرة المتجه إلى تبوك وعدده ثلاثون ألف رجل حيث انتدب النبي ﷺ المسلمين إلى البذل لتجهيز هذا الجيش فقال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة"[5] فكان عثمان أكثر الباذلين في تجهيز هذا الجيش؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "ما على عثمان ما عمل بعد هذا... "[6].

2- شراؤه بئر رومة وجعلها سبيلاً للمسلمين، حيث أنه لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت بئر رومه لرجل من بني عفار وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبي ﷺ: تبيعنيها بعين في الجنة؟ فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ فقال: نعم فقال: قد جعلتها للمسلمين[7].

3- مسارعته للإنفاق في خلافة الصديق ﷺ حينما قحط الناس واشتد بهم الأمر واشتكوا ما بهم إلى أبي بكر فأمرهم أن يرجعوا ويصبروا وقال لهم: إني أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم. فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان جاءت من الشام، فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي أبل موسوقة[8] براً وزيتاً وزبيباً فأناخت بباب عثمان ﷺ. فجاءه

---

[1] البخاري، الصحيح، مج 5،ص 83.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة عثمان بن عفان ﷺ، ص 41.

[3] العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مج 16،ص 201.

[4] البخاري، الصحيح، مج 5، ص 83.

[5] البخاري، الصحيح، مج 5، ص 81.

[6] أحمد بن حنبل ، المسند، 4/ 75. والحاكم بنحوه، المستدرك، مج 3،ص102، وقال الذهبي، صحيح.

[7] انظر، ابن حجر، فتح الباري، مج 5، ص478.

[8] أي محملة.

التجار فقال لهم: ما تريدونه؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد. بعنا هذا الذي وصل إليك، تعلم ضرورة الناس، قال: حباً وكرامة، كم تربحوني على شرائي؟ قالوا: أربعة، قال: أعطيت زيادة على هذا، قالوا: خمسة، قال: أعطيت أكثر من هذا، قالوا: يا أبا عمرو ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد، فمن ذا الذي أعطاك؟ قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين[1].

4- كونه أول من وسع مسجد رسول الله ﷺ حينما ضاق بأهله استجابة لرغبة النبي ﷺ، فقد روى الترمذي بسند حسن أن عثمان لما حوصر أشرف على الناس فقال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: "من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له في الجنة" فاشتريتها من صلب مالي، وأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم[2].

4-طريقة اختيار الخليفة لما طعن عمر ﷺ واشتد ألمه قال المسلمون له: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى: علياً وعثمان و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص[3]. ثم قال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء. ثم أوصى بالمهاجرين والأنصار خيراً[4]. وأشار بعد ذلك إلى المدة التي يجب أن يفرغوا فيها من اختيار الخليفة وهي ثلاثة أيام حتى لا يطول الأمر ولا توجد فرصة للخلاف. ثم اختار أبا طلحة الأنصاري وأمره أن يختار خمسين رجلاً من الأنصار ﷺ وأن يكون عليهم هو و المقداد بن الأسود ﷺ وأن يقوموا على أهل الشورى يمنعونهم من الناس ويستحثونهم لا نجاز أمرهم واختيار خليفتهم في المدة المحددة. حيث قال للمقداد: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم. ثم اختار صهيب الرومي ﷺ ليصلي بالناس الأيام الثلاثة. ثم أمرهم إذا رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلاً منهم بأن يحكموا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فليكن الخليفة من الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

ثم دعا لأهل الشورى قائلا: اللهم ألفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم وول أمة مُحَمَّد خيرهم[5].

اجتماع أهل الشورى ومبايعة عثمان بعد دفن عمر ﷺ اجتمع أهل الشورى وكان طلحة بن عبيد الله خارج المدينة فحضر وشارك معهم[6]. وفي أول اجتماع لهم قال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن[7]. ثم قال عبد الرحمن أيكما

---

[1] المالقي ابو عبد الله مُحَمَّد بن يحيى ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ،تح تحقيق: أحمد فريد المزيدي واحمد حجازي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ص 243- 244.

[2] الترمذي، سنن الترمذي، مج5، ص 291؛ وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي، مج 3، ص 209.

[3] لم يُدخل سعيد بن زيد ﷺ مع أهل الشورى على الرغم من أنه من المبشرين بالجنة ولا يزال حياً وقتئذ لأنه ابن عمه حيث ترك ترشيحه تحرجاً وورعاً.

[4] البخاري، الصحيح، مج 5، ص 86.

[5] ابن حجر، فتح الباري، مج 7،ص 84.

[6] نفسه ،مج 13، ص207.

[7] وفي هذا دلالة واضحة على عدم تطلع الصحابة ﷺ للخلافة والإمارة كمطلب شخصي وإنما نظرهم إلى ذات الأمر ومصلحة المسلمين.

تبرأ من هذا الأمر – يعني عثمان وعلي– فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فسكت الشيخان– عثمان وعلي–، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلوعن أفضلكما؟ قالا: نعم[1].

ثم بعد ذلك انطلق عبد الرحمن بن عوف يسأل المسلمين ثلاثة أيام يأتي أهل الرأي مستشيراً والعامة سائلا. ثم في ليلة اليوم الرابع جمع عبد الرحمن أعضاء الشورى في دار المسور بن مخرمة ثم ناجى علياً وعثمان كلاً على حده حتى إذا أذن الصبح دعا من كان حاضراً بالمدينة من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد– وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر– فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن: "يا علي إني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا". ثم بايع لعثمان قائلا: "أبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون"[2].

وكان ذلك في أول محرم سنة أربع وعشرين للهجرة[3].

هذا وتبين قصة الشورى مكانة عثمان ﷺ في قلوب الأمة ومحبة الناس له وميلهم إليه ورغبتهم في ولايته. يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كنا نخير بين الناس زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان ﷺ"[4]، ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "بايعنا خيرنا ولم نأل"[5].

وربما يرجع تقديم عامة الأمة عثمان ﷺ للخلافة إلى ما يلي:

1– ما استقر عند عامة الناس زمن النبي ﷺ من تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ﷺ.

2– كثرة إنفاقه ﷺ وما اشتهر به من سخاء وجود في سبيل الله ذلك الأمر الذي لا يماثله فيه أحد من أصحاب الشورى ﷺ.

3– ما يتميز به عثمان ﷺ من صفات جليلة أبرزها الحياء والحلم والرحمة وسهولة المعاملة.

ومع ذلك فلم يكن هذا اللين والعطف والرحمة في عثمان ﷺ عن ضعف فيه بل إنه حازم في الحق قوي في تطبيق حدود الله. وليس أدل على ذلك من كتبه إلى عمال الأقاليم والتي منها قوله: "استعينوا على الناس وكل ما ينوبكم بالصبر والصلاة. وأمر الله أقيموه ولا تدهنوا فيه"[6].

ثم إن إسلام عثمان المبكر وهو من تجار قريش مع معرفته بالمخاطر التي قد تعترض تجارته من جراء ذلك، ومواجهته لعشيرته بني أمية خاصة رؤسائهم البارزين كأبي سفيان وعتبة وشيبة ابني ربيعة والحكم بن أبي العاص الذين كانوا من أشد أعداء النبي ﷺ، واتساع الدولة الإسلامية في عهده، وطول فترة خلافته، كل هذه الأمور تدل على قوة عثمان وحزمه في الحق مع ما يتميز به من عطف ورحمة.

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، مج 5، ص87.

[2] المصدر نفسه، مج 9، ص ص 140– 142. وللتوسع انظر، ابن حجر، فتح الباري،مج 13، ص ص 205–206.

[3] ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج 3، ص 064 الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص 589.

[4] البخاري، الصحيح، مج 5، ص 66.

[5] ابن حجر، الإصابة، مج 2، ص463؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، مج 3، ص 72.

[6] ابن عساكر بو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر 499 هـ – 571 هـ) ، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، ترجمة عثمان بن عفان ﷺ، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ص 240.

5-أعمال عثمان ﷺ على الرغم من الفتنة التي حصلت في أواخر خلافة عثمان ﷺ إلا أن خلافته حفلت بأعمال جليلة من أهمها ما يلي:

وفيما يلي تفصيل لهذه الأعمال:

1- فصله في قضية عبيد الله بن عمر:

وهذه القضية هي أول أعمال عثمان ﷺ بعد استلامه الخلافة وتتلخص في أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب قتل الهرمزان و جفينة النصراني وبنت أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر، وذلك بعدما شهد عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه رأى ليلة استشهاد عمر أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة وهم يتناجون فلما رأوه ثاروا فسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه فلما جيء بالخنجر الذي قتل به عمر فإذا هو كما وصفه عبد الرحمن فلذلك اعتقد عبيد الله اشتراكهم في قتل والده ففعل ذلك انتقاماً لأبيه[1].

أما موقف عثمان ﷺ من هذه القضية فهو إن درأ الحد عن عبيد الله بن عمر واحتملها دية من ماله الخاص لوجود شبهة تدرأ الحد عن القاتل وهي أن الهرمزان ممن سعى في قتل عمر[2].

وروي أن عثمان استدعى ابن الهرمزان القماذبان فسلمه عبيد الله بن عمر فشفع له أهل المدينة فعفى عنه[3].

أما ابنة أبي لؤلؤة فقد كانت مجوسية و جفينة غلام نصراني وقد قال النبي ﷺ: "لا يقتل مسلم بكافر"[4]. وقد دفع عثمان ديتهما[5].

2- جمع القرآن:

لما اتسعت الدولة الإسلامية وتفرق المسلمون في الأمصار كان أهل كل إقليم من الأقاليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرأون بقراءة أُبي ابن كعب، وأهل الكوفة يقرأون بقراءة أبي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأَداء ووجوه القراءة بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن خاصة بين عامة المسلمين من حديثي العهد بالإسلام أو من يجهل نزول القرآن على سبعة أحرف.

---

[1] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 2/ 590.

[2] ابن العربي(القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت 543هـ))، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، وعلق عليه محمود مهدي الاستانبولي، ار الجيل بيروت – لبنان، لطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م، ص 117- 119.

[3] الطبري، المصدر السابق ،مج 2، ص 590.

[4] الترمذي، سنن الترمذي، مج 2، ص433.

[5] ابن العربي، المصدر السابق ،ص ص 117- 119.

وقد ظهر ذلك واضحاً في جيش حذيفة بن اليمان الذي كان يغازي أهل أرمينية وأذربيجان وكان فيه أناس من الشام وآخرون من العراق حيث حدث الاختلاف بينهم في القراءة فأفزع ذلك حذيفة بن اليمان الذي قدم على عثمان في المدينة وطلب منه أن يدرك هذه الأمة قائلا: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى" فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ففعلت. ثم أمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، حيث استجاب الصحابة لعثمان فحرقوا مصاحفهم واجتمعوا جميعاً على المصاحف العثمانية[1].

هذا وقد تواضع الصحابة الذين قاموا بجمع القرآن أن لا يكتبوا إلا ما تحققوا أنه قرآن وعلموا أنه قد استقر في العرضة الأخيرة و أيقنوا أنه لم ينسخ.

وقد قام عثمان ﷺ بهذا العمل بعد أن استشار الصحابة ﷺ لما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: "... والله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا... "[2] وقد كان هذا الجمع في بداية سنة خمس وعشرين من الهجرة.

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما:

1- إن الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر هو خشية ضياع شيء منه، أما الباعث له في عهد عثمان هو خشية الاختلاف في وجوه القراءة وما قد يؤدي ذلك إلى افتراق الأمة[3].

2- جمع أبي بكر ﷺ تقييد للقرآن كله مجموعاً في مصحف حتى لا يضيع منه شيء دون أن يحمل الناس على الاجتماع على مصحف واحد، أما جمع عثمان ﷺ فهو تقييد للقرآن كله مجموعاً في

مصحف واحد وحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات

3- ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف في الوقت الحاضر تم في عهد عثمان، بخلاف صحف أبي بكر فإنها كانت مرتبة الآيات دون السور[4].

ويعد هذا العمل لعثمان ﷺ من أعظم مناقبه حيث حصلت به المصلحة العظمى للمسلمين من اجتماع الأمة واتفاق الكلمة حول كتاب الله. وكان من أسباب حفظ الله لهذا القرآن كما قال تعالى: **{إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون}**[5]، و لاتزال الأمة الإسلامية حتى الوقت الحاضر بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تعيش هذه النعمة وتحفظ هذا الفضل لعثمان ﷺ وأرضاه.

---

[1] البخاري، الصحيح،مج 6، ص ص 315- 316.

[2] ابن أبي داود، المصاحف، ص ص 28- 29.

[3] مناع بن خليل القطان (ت 1420هـ) ، مباحث في علم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة 3 ، 2000، ص 132.

[4] مُحَمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت 1367هـ) ، مناهل العرفان في علوم القرآن ،ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دت، مج 1،ص 254.

[5] سورة الحجر، آية 9.

3- زيادة الأذان الأول في صلاة الجمعة:

كان أذان الجمعة في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر أذاناً واحداً بعده الخطبة ثم الصلاة. ولما جاء عثمان ﷺ وقد توسعت المدينة وانتشر الناس رأى ضرورة إعلام الناس بالتهيؤ لصلاة الجمعة قبل دخول وقتها وكان ذلك بالأذان الأول الذي زاده ﷺ، فتابعته الأمة فيه لما في ذلك من المصلحة ولكونه من سنة الخلفاء الراشدين الذين حث النبي ﷺ على لزوم سنته وسنتهم عند الاختلاف وظهور المحدثات، وذلك بقوله:

"... فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ[1].

6- توسعة مسجد النبي ﷺ:

كان عثمان ﷺ في عهد النبي ﷺ قد اشترى قطعة أرض مجاورة للمسجد وتبرع بها توسعة له.

ولما استخلف زاده سنة ثلاثين للهجرة لما كثر الناس، وبنى جدرانه بالحجارة و القصة- الجص- وجعل عمده من الحجارة وسقفه من الساج. فأصبح طوله ستين ومائة ذراع وعرضه مائة وخمسين ذراعاً. وظلت أبوابه على ما كانت عليه في عهد عمر ﷺ ستة أبواب[2].

7- جهوده في مجال الفتوحات:

الفتوحات الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية والتي بدأها المسلمون في عتهد أبي بكر الصديق ﷺ ثم تواصل في عهد عمر ﷺ، استمرت بعد توليه عثمان بن عفان ﷺ، حيث تمثلت جهوده في هذا الجانب في الأمور التالية:

أ- تثبيت أقدام المسلمين في المناطق المفتوحة.

ب- فتح مناطق جديدة.

جـ- إنشاء قوة بحرية وتكوين أسطول إسلامي.

وفيما يلي تفصيل لهذه الجهود: (انظر شكل رقم "5")

[1] الترمذي بو عيسى مُحَّد بن عيسى الترمذي (ت 279 ه) ، الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف ، ، ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، 1996، مج 4،ص 150 .

[2] الطبري، المصدر السابق، مج 2، ص 606.

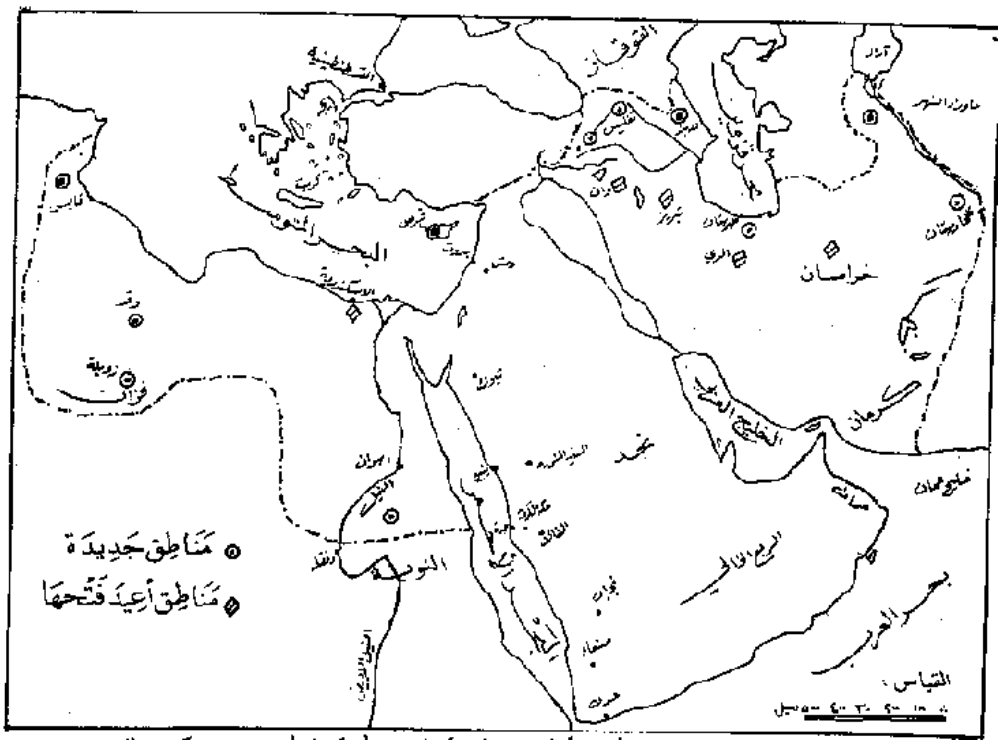

الدولة الاسلامية في نهاية خلافة عثمان بن عفان ﷺ

أ- تثبيت أقدام المسلمين في المناطق المفتوحة:

من أهم المناطق التي انتقضت وأعيد فتحها في خلافة عثمان ﷺ ما يلي:

1- أرمينية وأذربيجان حيث كان أهل هاتين المنطقتين قد نقضوا ما عاهدوا عليه حذيفة بن اليمان، فوجه إليهم عثمان ﷺ الوليد بن عقبة الذي استطاع أن ينتصر عليهم ويفرض عليهم الجزية، وكان ذلك سنة أربع وعشرين للهجرة.

وفي طريق عودته إلى الكوفة وهو بالموصل جاءه كتاب عثمان يأمره أن يرسل مدداً إلى الشام فأرسل ثمانية آلاف مقاتل إلى معاوية لمساعدته في حروبه مع الروم بقيادة سليمان بن ربيعة الباهلي.

2- خراسان حيث أعاد فتحها عبد الله بن عامر والي عثمان ﷺ على البصرة سنة إحدى وثلاثين للهجرة[1].

3- الري[2] أعيد فتحها على يد أبي موسى الأشعري سنة أربع وعشرين للهجرة، وكانت قد فتحت في عهد عمر على يد حذيفة بن اليمان[3].

[1] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص ص 591 -625 من هنا وهناك

[2] تقع قرب طهران في إيران حالياً. انظر، هاري. و. هازارد وآخرين، أطلس التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة 1955م، ص 11.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، مج7، ص 156.

المحاضرة الحادية عشر الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ

1-نسبه هو علي بن أبي طالب- واسم أبي طالب عبد مناف- بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وهو ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

ويكنى بأبي الحسن، وأبي السبطين[1]، وقد أطلق عليه النبي ﷺ أبا تراب، فقد روى البخاري أن علياً دخل على فاطمة ثم خرج فاضطجع بالمسجد، فقال النبي ﷺ: "أين ابن عمك؟" قالت: "في المسجد" فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: "اجلس يا أبا تراب" مرتين[2].

ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح[3] ويوافق ذلك ستمائة وواحد بالتاريخ الميلادي، وقد تربى في حجر النبي ﷺ ، ولازمه منذ صغره ولما بعث كان علي لا يزال في حجره فدعاه إلى الإسلام فآمن به وصدقه[4]. وبذلك يعد أول من أسلم من الصبيان.

تربى علي بن أبي طالب ﷺ في بيت النبي ﷺ فنشأ على الأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة التي اكتسبها من النبي ﷺ ولذلك لا غرابة أن يقول ﷺ: "أنت مني وأنا منك"[5].

وقد عرف علي ﷺ بالبلاغة والفصاحة والقدرة الفائقة على الإقناع ولذلك نجح في نشر الإسلام في صفوف قبيلة همدان في اليمن[6]، كما أرسله النبي ﷺ في السنة التاسعة إلى مكة لتبليغ صدر سورة براءة[7]، كما عرف ببراعته في القضاء، وكان عمر ﷺ يقول: "علي أقضانا"[8]، وعرف ﷺ بالشجاعة وما أكثر المواقف في حياته التي تثبت ذلك ومنها:

أ- لبسه ثوب النبي ﷺ ومبيته في فراشه ليلة الهجرة[9] وهو يعرف أن قريشاً تلاحقه ﷺ وتتربص له لتقتله وما في ذلك من التضحية العظيمة من علي ﷺ في سبيل الله وخدمة الإسلام ورسول الإسلام.

ب- وكان من أشهر فرسان المسلمين البارزين في كثير من المعارك. ففي معركة بدر انتدبه النبي ﷺ مع حمزة و عبيده بن الحارث لمبارزة عتبة بن ربيعة وابنيه الوليد وشيبة، حيث تمكن علي من قتل شيبة، وتمكن حمزة من قتل عتبة، وأما عبيده فجرح كل منهما صاحبه فعاون علي وحمزة عبيده وقتلوا الوليد وحملوا عبيده إلى معسكر المسلمين[10].

وفي أحد بارز علي ﷺ طلحة بن عثمان حامل لواء المشركين قبل المعركة فضربه فقطع رجله فناشده أن يتركه فتركه[11].

---

[1] ابن حجر، الإصابة، مج 2، ص 501، وابن حجر، فتح الباري، مج 7، ص 89.

[2] البخاري، الصحيح، مج 5،ص ص 88- 89.

[3] ابن حجر، الاصابة ، مج 2 ، ص 502.

) الإصابة، مج 2، ص 501.

[4] ابن هشام، السيرة النبوية، مج 1، ص 245.

[5] البخاري، الصحيح، مج 5، ص 87.

[6] أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مج 2، ص548.

[7] النسائي، خصائص علي، ص 93- 95؛ أحمد بن حنبل، المسند، مج1، ص156 .

[8] ابن حجر، فتح الباري، مج 7،ص93.

[9] الحاكم، المستدرك، مج 3، ص 4.

[10] البخاري، الصحيح، 5/ 184، وابن حجر، فتح الباري، 7/ 347.

[11] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2،ص63 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مج4،ص 21.

وفي الأحزاب حينما اقتحم الخندق بعض المشركين وتصدى لهم المسلمون تمكن علي ﷺ من قتل عمرو بن عبدود فارس قريش، وتمكن الزبير بن العوام من قتل نوفل المخزومي وفر البقية إلى معسكرهم[1].

جـ- وقد شارك علي ﷺ في جميع غزوات النبي ﷺ سوى تبوك حين خلفه ﷺ على المدينة وكان يرغب في الخروج معه، فقال ﷺ: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"[2].

د- وقد تم على يديه فتح خيبر، فقد روى سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يد وكون[3] ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: أرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له خيراً حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوا لله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[4].

هـ - وكان ممن ثبت مع النبي ﷺ في حنين عندما فر الناس[5].

2-بيعة علي بعد مقتل الخليفة عثمان ﷺ والمسلمون تفجعهم الحادثة، أصبح الثوار يمسكون زمام الأمر في المدينة ويتولون الصلاة فيها، فيأتون إلى علي يعرضون عليه البيعة فيتبرأ منهم، ثم يأتون إلى طلحة ويتبرأ منهم، ثم يأتون إلى الزبير فيتبرأ منهم، وكذلك يتبرأ منهم سعد وعبد الله بن عمر[6].

ويخشى المسلمون في المدينة من الفرقة والخلاف فيفزعون إلى علي بن أبي طالب ﷺ ويعرضون عليه الخلافة ويلحون عليه وأنه لابد للناس من خليفة، وأنه الأحق بها بعد عثمان، وهو يقول: لا تفعلوا فإني وزير خير من أمير، وهم يلحون عليه. وأمام إصرارهم يوافق على طلبهم ويشترط أن تكون بيعته أمام الناس، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين ثم يأتي للمسجد ويبايعه المهاجرون والأنصار[7]. وقد كانت بيعته عن رضا المسلمين في المدينة.

يقول الحافظ الذهبي في شأن البيعة:"لما قتل عثمان سعى الناس إلى علي وقالوا: لابد للناس من إمام، فحضر طلحة و الزبير وسعد بن أبي وقاص والأعيان، وكان أول من بايعه طلحة ثم سائر الناس"[8].

ويرد القاضي ابن العربي على من قال بتخلف الصحابة كسعد وابن عمر وأسامة بن زيد عن بيعة علي بقوله: "... أما بيعته فلم يُتخلف عنها، وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكرتم؛ لأنها كانت مسألة اجتهادية، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره"[1].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، مج 2، ص 224، والطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص 94.

[2] البخاري، الصحيح،مج 5، ص 0 9؛ مسلم، الصحيح، 4، ص ص 1870- 1871.

[3] يدكون أي يخوضون.

[4] البخاري، الصحيح، مج 5، ص ص 87- 88؛ مسلم، الصحيح، مج 4، ص1872.

[5] أحمد بن حنبل، المسند، مج 3، ص376.

[6] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 2، ص ص 696-701.من هنا و هناك

[7] أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، مج 2، ص 573.

[8] الذهبي (شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان)، دول الإسلام، تحقيق حسن اسماعيل مرة و محمود الأرناؤوط ،ط1، دار صادر ، بيروت ، 1999، مج 1، ص 178.

وحتى إذا فرض أن بعض الصحابة لم يبايعوا وذاك أمر نستبعده لورود النصوص المتواترة في بيعة علي، فإن عقد الإمامة عند أهل السنة يثبت ببيعة أهل الحل والعقد ولا يشترط لذلك بيعتهم جميعا بل يكفي جماعة منهم[2].

وهكذا انعقدت الخلافة لعلي بن أبي طالب ﷺ في هذه الفتنة التي هاجت بالأمة فكانت مهمته بالغة الصعوبة في قيادة الناس وجمع كلمتهم.

3-الظروف التي تسلم فيها علي الخلافة كانت الظروف التي تسلم فيها علي الخلافة صعبة جداً من جراء مقتل الخليفة عثمان ﷺ.

فالثوار يسيطرون على المدينة والغلبة لهم فيها خصوصاً مع خروج كثير من الصحابة منها سواءً الذين توزعوا في الأمصار بعدما أذن لهم عثمان في ذلك أو الذين خرجوا للحج في السنة التي قتل فيها الخليفة.

ثم ازداد الأمر خطورة مع ازدياد المطالبة في القصاص من قتلة عثمان خاصة من قبل معاوية بن أبي سفيان ﷺ في الشام الذي لم يدخل في البيعة وطالب بالقصاص منهم أو تسليمهم إليه. فكانت جميع أقاليم الخلافة فيما عدا الشام قد دخلت في بيعة الخليفة، وكان علي قد عزل بعض ولاتها وثبت البعض الآخر، وكان ممن عُزل معاوية ﷺ.

ثم خروج طلحة و الزبير ومعهم عائشة إلى البصرة ومطالبة علي ﷺ بالقصاص من القتلة خصوصاً وأن الثائرين كانوا ممن بايع لعلي في الخلافة وانضموا إليه ودخلوا في طاعته.

وهكذا فقد كانت أخطر قضية واجهت علياً بعد توليته الخلافة هي مقاضاة قتلة عثمان، وكان ابن عباس رضي الله عنهما قد نبه إلى خطورة الأمر قبل تولية علي الخلافة فقال له: "إن الناس سيلزموك دم عثمان"[3].

4-موقف علي من قتلة عثمان لاشك أن علياً ﷺ لم يكن راضيا عن قتل عثمان بل هو من أشد المتأثرين بذلك، ولهذا لما أتاه خبر مقتل الخليفة رفع يديه[4]. وقد كانت سياسته ﷺ مع قتلة الخليفة بعد تسلمه الخلافة، هي أخذهم بالحكمة وتحين الفرصة المناسبة لإقامة حد القصاص عليهم ،ذلك أنهم المسيطرون على المدينة ولن يسمعوا له لو أمر بشيء يضرهم وما قد يحدث من جراء ذلك من فتنة أخرى، كذلك فإن كثيراً منهم ينتمون لقبائل لها مكانتها وقوتها في البصرة والكوفة ومصر، وهذه القبائل ستثور انتصاراً لأبنائها إن لحقهم شيء،مع ملاحظة أن الأمر في البداية لم يستتب لعلي ﷺ. وهذا ما بينه للمطالبين له بالمسارعة بإقامة القصاص وعلى رأسهم طلحة و الزبير رضي الله عنهما بقوله: "يا أخوتاه إني ليست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما يشاؤون، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون. فقالوا جميعاً لا"[5].

---

[1] ابن العربي، المصدر السابق، ص 150.

[2] نفسه، ص 148؛ الماوردي(أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ) ، الأحكام السلطانية، دار الحديث – القاهرة، دت ، ص 33.

[3] عبد الرزاق بن همام الصنعاني أبو بكر ، المصنف، دار التأصيل ، 2015 ، مج 11، ص448؛ أكرم العمري ، عصر الخلافة الراشدة ص 402.

[4] نفسه، مج 1،ص 455.

[5] الطبري، المصدر السابق، مج 2، ص 702.

إضافة إلى ذلك فإن قتل عثمان ليس كقتل شخص لشخص يسهل التعرف عليه ومعاقبته بما يستحق، بل الأمر أكبر من ذلك فقتل عثمان فتنة هناك المباشر لها وهناك المحرض عليها وهناك المغتر بها. فالأمر يحتاج إلى تحقيق ووقت حتى يقام القصاص على من يستحقه ،ثم تتابعت الفتن على علي ﷺ في الجمل وصفين فاضطر إلى الاستعانة بأصحاب الفتنة لمساعدته أولا، ثم لاحتوائهم في جيشه ثانيا،يقول الإمام الطحاوي: "وكان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان ممن لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله... "[1].

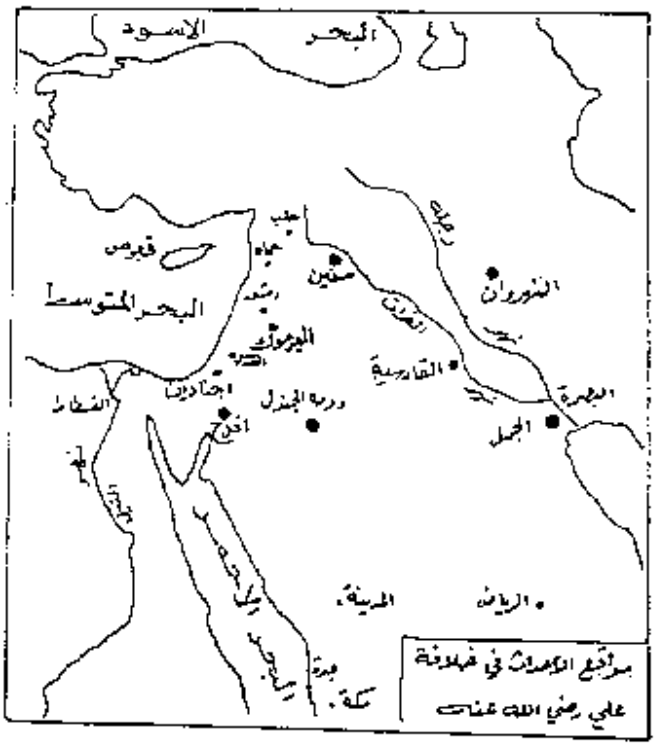

كانت سياسة علي ﷺ تميل إلى إماتة الفتنة وتخطيها بتأجيل إيقاع القصاص حتى يستتب له الأمر ويدخل الناس في بيعته جميعاً.

وهذا التريث من علي ﷺ في هذا الأمر جعل طلحة والزبير رضي الله عنهما يستأذنان في الخروج إلى مكة حيث أذن لهما في ذلك، وفي مكة لقيا عائشة ﷺ والتي غضبت لمقتل عثمان ﷺ فأقنعاها بالخروج معهما إلى البصرة للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان، فوافقت. فخرجوا من مكة وقد انضم عبد الله بن عامر والي البصرة من قبل عثمان وكذلك يعلى بن أمية والي عثمان على اليمن حيث بلغ عدد الجميع عند وصولهم البصرة ثلاثة آلاف رجل تقريباً وذلك لالتحاق الناس بهم في الطريق إليها[2].

[1] ابن أبي العز الحنفي (ت 792 هـ) ، شرح العقيدة الطحاوية، مج 2، دار السلام بالقاهرة ،2006، ص723.

[2] ابن حجر، فتح الباري، مج 13، ص ص 59- 60.

هذا ولم يكن خروج طلحة و الزبير ومعهما عائشة ﵂ نقضاً للبيعة أو خروجاً لقتال علي ﵁؛ إذ لو كان قصدهم ذلك لانضموا إلى معاوية بالشام حتى يكون ذلك أقوى لهم، وإنما كان خروجهم للإصلاح بين الناس وذلك بإقامة القصاص على قتلة عثمان، وهذا ما صرحوا به ﵂ ،يقول القعقاع بن عمرو ﵁ حينما أرسله علي ﵁ للإصلاح قبل نشوب القتال: "إني سألت أم المؤمنين: ما أشخصها وأقدمها إلى هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ قالا: قتلة عثمان"[1].

وقد كتبت عائشة ﵂ إلى أبي موسى الأشعري وهو والي الكوفة من قبل علي: "إنه قد كان من أمر عثمان ما قد علمت وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلكم بالقرار في منازلهم والرضى بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين".

وفي الطريق من مكة إلى البصرة وعند مرور طلحة و الزبير وعائشة ومن معهم ماء الحواب نبحت الكلاب فلما أُخبرتْ ﵂ أن ذلك ماء الحوأب قالت: "ما أظنني إلا إني راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب" ،فهذه النصوص الصريحة وغيرها كثير تبين القصد من خروج طلحة وعائشة والزبير ﵂ إلى البصرة وأنه ما كان إلا بقصد الإصلاح وذلك بانفاذ القصاص بقتلة عثمان ،وبعد وصولهم إلى البصرة اصطلحوا مع واليها من قبل علي ﵁ عثمان بن حنيف وكتبوا في ذلك كتاباً حتى يقدم علي ﵁[2].

وقد كان في البصرة بعض من الغوغاء الذين اشتركوا في قتل عثمان وعلى رأسهم حكيم بن جبلة فحدثت بعض المناوشات قتل فيها حكيم، ثم انتظر القوم حتى قدم علي بن أبي طالب ﵁ حيث عسكر بذي قار، وحين وصوله جاء إلى عائشة في البصرة فقال لها: "غفر الله لك قالت: ولك، ما أردتُ إلا الإصلاح"[3].

ثم دارت المراسلات بين الطرفين طلحة و الزبير وعائشة من جهة وعلي من جهة أخرى، وكان الذي يقوم بها القعقاع بن عمرو ﵂ حيث اتفق القوم على الصلح واقتنع طلحة و الزبير بحجة علي ﵁ في التريث وعدم استعجال أمر القصاص من قتلة عثمان حتى تهدأ الأوضاع ويتوطد مركز الخلافة فيأخذ العدل مجراه[4].

وقد أدرك أصحاب الفتنة أن هذا الصلح ليس إلا ضدهم خصوصاً بعدما انتدب علي ﵁ الناس للخروج إلى الشام وألا يخرج معه رجل اشترك في قتل عثمان؛ لذلك انشبوا القتال بين الفريقين، وما توقف القتال إلا بعد عقر الجمل الذي يحمل هودج عائشة ﵂[5].

---

[1] الطبري، تاريخ الأمم والملوك،مج 3،ص 26.

[2] خليفة بن خياط أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ) ، التأريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم , مؤسسة الرسالة – دمشق , بيروت ، ط2 ، 1397، ص 183.

[3] ابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ، ط1 ، 1986، مج 1، ص 42.

[4] مُحَمَّد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، مج 2، ص 118.

[5] الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، مج 3، ص ص 32- 33، 39- 0 4.

وقد وقعت هذه المعركة في جمادى الآخر من سنة ست وثلاثين للهجرة يقول شارح العقيدة الطحاوية: " ... فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة و الزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين..."[1] ،ويقول الباقلاني: "وقال جلة من أهل العلم: إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة" [2]، ثم يقرر إن الذي أنشب القتال هم قتلة عثمان لما تم الصلح بين الطرفين"[3] ،وكذلك يقرر القاضي ابن العربي وابن حزم والقاضي عبد الجبار وابن عساكر وغيرهم إن الذين أنشبوا القتال بين الطرفين هم قتلة عثمان لما تم الصلح خوفا على أنفسهم[4].

هذا وقد قتل في هذه المعركة خلق كثير من بينهم طلحة ﷺ، أما الزبير فقد خرج من القتال راجعاً للمدينة وفي طريقه قتل غيلة ،وقد صلى علي ﷺ على القتلى من الطرفين وترحم عليهم وجهز أم المؤمنين عائشة ﷺ بما تحتاجه في سفرها إلى المدينة حيث اختارت العودة إليها ،ولاشك أن الطرفين لم يكونوا يعلمون أن الأمر سينتهي إلى ما انتهي إليه.

وكان علي ﷺ يلوذ بالحسن حينما اشتد القتال ويقول: "يا حسن لوددت أني مت قبل هذا بعشرين حجة– أو سنة– " وبانتهاء موقعة الجمل واستقامة الأمر في العراق لعلي ﷺ اتجه بجيشه نحو الكوفة ومنها انتدب الناس للخروج إلى الشام. [5].

5–الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد مقتل عثمان ﷺ وانعقاد الخلافة لعلي ﷺ رفض معاوية أن يدخل بالبيعة وجعل القصاص من قتلة عثمان أو تسليمهم إليه شرطاً لذلك، حيث رأى أنه ولي دم عثمان لأنه صار رأس بني أمية مكانة، وعثمان قتل مظلوماً فتأول الآية: **{ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل}**[6].

ولا شك أن عدم مبايعة معاوية لعلي رضي الله عنهما لم تكن إلا لهذا السبب، فلم تكن طمعاً في الخلافة أو منازعة عليها، بل إن معاوية مقر بأن علياً أفضل منه وأنه أحق منه بالخلافة."[7].

وفي كثير من المناسبات يؤكد معاوية هذا المعنى "ما قاتلت علياً إلا في أمر عثمان"[8].

معركة صفين:

قبل مسير علي ﷺ من الكوفة إلى معاوية في الشام أرسل إليه جرير بن عبد الله البجلي يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، ثم تتابعت الرسل بينهما إلا أن معاوية صمم على موقفه من قتل قتلة عثمان أو تسليمهم[9] ولذلك سار علي ﷺ إلى الشام، ولما علم معاوية بذلك سار لمواجهته وسبق إلى مكان يقال له صفين على نهر الفرات فاستولى على المياه ومنع جيش العراق منها، فقام الأشعث بن قيس بأمر علي بتخليص المياه من يد الشاميين وكان ذلك في بداية ذى الحجة سنة ست وثلاثين للهجرة. ثم استمر القتال بشكل كتائب محدودة طيلة شهر محرم من سنة سبع وثلاثين للهجرة دون أن يلتحم الجيشان وكان الأمل في الصلح يحدو الجميع حيث لم تنقطع الرسل بينهم حتى إذا كان منتصف محرم سنة سبع وثلاثين للهجرة

---

[1] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، 723/2.

[2] الباقلاني مُحَمَّد بن الطيب أبو بكر ، التمهيد،تحقيق رتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية بيروت، 1957، ص 233.

[3] الباقلاني، التمهيد، ص 233.

[4] مُحَمَّد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين،مج 2، ص ص126–129.

[5] ابن أبي شيبة، المصنف، مج15، ص288)) ؛ عصر الخلافة الراشدة، ص 414.

[6] سورة الإسراء،) آية 33.

[7] ابن حجر، فتح الباري، مج 13، ص 92 .

[8] ابن أبي شيبة، المصنف، مج 11، ص92، عصر الخلافة الراشدة ص 418.

[9] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 3، ص ص 70، 79. وابن حجر، فتح الباري، مج 13، ص 92 .

بدأ الالتحام بين الجيشين واستمر أياماً متوالية في معارك شديدة حتى أشرف جند العراق على النصر فأرسل معاوية بإشارة من عمرو بن العاص رجلاً يحمل المصحف إلى علي ويقول له: بيننا وبينكم كتاب الله. فقال علي: أنا أولى بذلك بيننا كتاب الله[1].

وبدا أن معظم جند العراق يجنحون إلى التحكيم لكن كثيراً من القراء أنكروا عليه قبول التحكيم وقالوا: لا حكم إلا لله[2]. حيث انشق المحتجون من القراء واعتزلوا جيش علي وشكلوا تجمعاً، كانوا فيما بعد هم الخوارج.

هذا ومن الثابت تاريخيا بالروايات الصحيحة أن علياً ﷺ قبل التحكيم وأوقف القتال حقناً للدماء وكان رأي القراء الإصرار على مواصلة القتال ورفض التحكيم بالكلية[3]

روى الإمام أحمد وابن أبي شيبه بسند صحيح عن حبيب بن أبي ثابت قال: "أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان فيما استجابوا له، وفيما فارقوه، وفيما استحل قتالهم؟ قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف وادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك. فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله. فقال علي: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله. قال الراوي: فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل إلا أن نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟... "[4]

وزاد ابن أبي شيبه: "فقال علي في صفين: أيها الناس إن هذا فتح" فقبل علي القضية[5] ورجع الناس ثم إنهم خرجوا بحروراء أولئك العصابة من الخوارج"[6].

وبعد إيقاف القتال دارت المراسلات بين الطرفين والتي انتهت إلى الاتفاق على أن يخرج كل منهما حكماً للفصل فيما بينهما من خلاف. حيث اختار علي ﷺ أبا موسى الأشعري واختار معاوية ﷺ عمرو بن العاص حيث كتب الحكمان بينهما كتاباً أن ينزلا على حكم الله وكتابه وسنة رسوله وألا يجمع بينهما غير ذلك وأن يحكما بين هذه الأمة لا يوردانها إلى حرب ولا فرقة. وأخذ الحكمان من علي ومعاوية من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والأمة لهما أنصار على ذلك يتقاضيان عليه. ثم أجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه، وأن مكان قضيتهما مكاناً عدلاً من أهل الكوفة والشام[7] ،ثم شهد على هذا الكتاب جمع من أصحاب علي ومعاوية. وكان هذا الكتاب في الثالث عشر من شهر صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة[8].

ثم انفض الناس فرجع أهل العراق إلى العراق وأهل الشام إلى الشام.

---

[1] ابن أبي شيبة، المصنف، 15/ 294. وابن حجر، فتح الباري، 12/ 296.

[2] ابن حجر، فتح الباري، 297/12. والطبري، تاريخ الأمم والملوك، 102/3 و 105

[3] ابن حجر، فتح الباري، 13/ 92.. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، 2/ 215- 216.

[4] أحمد بن حنبل، المسند بترتيب الساعاتي، 23/ 45 1- 46 1.

[5] أي التحكيم.

[6] ابن أبي شيبة، المصنف، 318/15، بسند صحيح. وانظر ،

) د. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، 16/2؟

[7] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 103/3- 104.

[8] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 105/3. وابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 387- 388.

التحكيم لما حل رمضان من سنة سبع وثلاثين للهجرة أرسل علي ﷺ أبا موسى الأشعري في أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ ومعهم عبد الله بن عباس، وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجل عليهم شرحبيل بن السمط.

واجتمع الحكمان في دومة الجندل[1] وشهد اجتماعهما معاوية ﷺ ولم يحضر علي ﷺ لانشغاله بأمر الخوارج، وكذلك حضر الاجتماع عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص والمغيرة بن شعبة وعبد الله ابن الزبير وغيرهم.

ثم دارت المفاوضات بين الحكمين، فماذا بحث الحكمان؟ ومالذي انفض عليه اجتماعهما؟

أخرج الدار قطني عن حصين بن المنذر- وكان صاحب راية علي يوم صفين- أنه جاء فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية فأرسل إليه، فقال: إنه بلغني عن هذا- يعني عمرو بن العاص- الذي بلغني عنه فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه. فأتيت فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم، قلت: فأين تجعلني أنا

ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما[2]".

وهكذا تبين هذه الرواية الأمر الذي بحثه الحكمان، والنتيجة التي توصلا إليها.

ففيما يتعلق بالأمر الذي بحثاه فيحتمل واحد من اثنين إما أمر قتلة عثمان وهو الأقرب لأنه مدار الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما. أو هو أمر الخلافة وذلك لأنهما رأيا أن اجتماع الأمة معصوب بأمر الخلافة. ووثيقة التحكيم فوضتهما في البحث فيما يوحد الأمة ويجنبها الخلاف والفرقة، فبحثا هذا الأمر.

أما النتيجة التي توصل إليها الحكمان فهي ترك الأمر شورى لأهل الشورى من كبار الصحابة الذين توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض سواء كان هذا الأمر النظر في شأن قتلة عثمان أو في أمر الخلافة.

وبهذه النتيجة انفض اجتماع الحكمين ولم تكن نتيجته حاسمة للنزاع بين الطرفين ورافعة للخلاف بينهما، فبقيت الأوضاع على حالها. علي خليفة المسلمين، ومعاوية أمير الشام. ولم يبايع معاوية بالخلافة إلا بعد استشهاد علي ﷺ على يد الخوارج سنة أربعين للهجرة ،هذا ويجدر الإشارة إلى القصة الشائعة عن حادثة التحكيم والتي تذكر أن عمراً وأبا موسى اتفقا على خلع علي ومعاوية، ولأن أبا موسى أسن من عمرو فكان يقدمه في الحديث قبله. فتقدم أبا موسى وخلع علياً ومعاوية، ثم تقدم عمرو فخلع عليا وثبت معاوية. فخدع بذلك عمرو أبا موسى ، فبإخضاع هذه الرواية للدراسة والتحليل يتبين بطلانها من وجوه:

1- فمن حيث سند هذه القصة ففيه راويان متهمان في عدالتهما وهما أبو مخنف لوط بن يحي وأبو جناب الكلبي. فالأول قال فيه أبو حاتم: متروك وقال فيه الدارقطني: ضعيف، وقال الذهبي: أخباري تالف لا يوثق به، وقال ابن معين: ليس بثقة. والثاني ضعفه الدارمي والنسائي وابن سعد وقال البخاري كان يحي القطان يضعفه[3].

2- ومن حيث المتن فيلحظ فيه عدة أمور:

---

[1] دومة الجندل بلدة تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية قرب مدينة الجوف حاليًا. وقيل إن اجتماع الحكمين تم في أذرح بلدة جنوب الأردن حاليا تبعد بضعة كيلومترات شمال العقبة.

[2] ذكر هذه الرواية القاضي ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم، ص 180.

[3] حمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، 2/ 223.

أ- إن هذه الرواية ذكرت أن عمرو بن العاص كان يقدم أبا موسى في الحديث قبله لأنه أسن منه. والصحيح أن عمراً أسن من أبي موسى، حيث توفي عمرو سنة ثلاث وأربعين وقد تجاوز التسعين سنة[1]، أما أبو موسى فتوفي سنة ثنتين وأربعين وقيل أربع وأربعين وهو ابن نيف وستين سنة[2].

ب . إن هذه الرواية ذكرت أن عمراً عزل عليا وثبت معاوية، فهل كان عمرو مبايعاً لعلي حتى يعزله؟ وعلى أي شيء يثبت معاوية؟ هل هو على الخلافة؟ فلم يكن معاوية على الخلافة حتى يثبته عليها،ولم يكن مطالباً بها. وإن كان على ولاية الشام فهو عليها وما في ذلك إضافة شيء له[3].

ج . ثم اتهام عمرو بن العاص في هذه الرواية بالمكر والخداع والحرص على الإيقاع بأبي موسى يتنافى مع فضله وصحبته، وقد أمره النبي ﷺ أن يقضي بين شخصين في حضرته[4] وقال فيه: "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص"[5].

وكذلك اتهام أبي موسى بالغفلة في هذه الرواية يتنافى مع فضله وفطنته وفقهه وفهمه فقد استعمله النبي ﷺ وعمر وعثمان وعلي بين قيادة وإمارة وتعليم وقضاء. فهل يتصور أن يستعمل الرسول ﷺ ثم خلفاؤه من بعده رجلاً غافلا يمكن أن تجوز عليه مثل الخديعة التي ترويها هذه القصة.

د- كذلك فقد نصت وثيقة التحكيم أن نتيجة التحكيم لكي تكون ملزمة للأمة يجب أن يتفق عليها الحكمان ويرضيان بها. ولاشك أن نتيجة التحكيم حسب هذه الرواية لا ترضي أبا موسى الأشعري وقد خدعه فيها عمرو، وبالتالي لا يرضى بها علي بن أبي طالب ولا يستفيد منها معاوية ؛ لعدم اتفاق الحكمين عليها. إذن فلا طائل أن يفعل عمرو بن العاص ما تصوره هذه الرواية وهو يعلم أن نتيجته باطلة.

الخوارج بعد قبول علي بن أبي طالب ﷺ بوقف القتال في صفين والرجوع إلى التحكيم كان في جيشه من لا يرى ذلك وهم القراء حيث يعدونه كفرا. وكان من مقالاتهم التي كثيراً ما يرددونها: "لا حكم إلا لله"[6] وبذلك كفروا علياً ومعاوية ومن صوب أحدهما أوكليهما. ونشأ عن ذلك أن قالوا بوجوب الخروج على الأئمة بالمعصية، وتكفير صاحب الكبيرة[7].

---

[1] ابن حجر، الإصابة، مج 3، ص3.

[2] ابن حجر، الإصابة، مج 2، ص 352.

[3] ابن العربي، العواصم من القواصم، حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب، ص 177- 178.

[4] أحمد بن حنبل، المسد، مج4، ص205.

[5] أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، مج 2، ص912، قال المحقق إسناده صحيح؛ الترمذي، سنن الترمذي، مج 5، ص315؛ صحيح سنن الترمذي، مج3، ص 236.

[6] لطبري، تاريخ الأمم والملوك،مج3، ص113. وابن أبي شيبة، المصنف، مج 15، ص ص312- 313.

[7] ابن حجر، فتح الباري، مج 12، ص 296. والشهرستاني، الملل والنحل، مج1، ص 4 1 1.

فبعد رجوع علي ﷺ من الشام إلى الكوفة اعتزلوا عنه في حروراء قرب الكوفة وكان عددهم في ذلك الوقت أربعة آلاف تقريباً. ثم نشطوا في الدعوة إلى رأيهم فأخذ يزداد عددهم. وكان من أبرز قادتهم عبد الله بن الكواء، وشبث بن ربعي، وعبد الله بن وهب الراسبي[1]. فأرسل إليهم علي بن أبي طالب ﷺ عبد الله بن عباس لمناقشتهم حيث رجع بعضهم وعلى رأسهم عبد الله بن الكواء وشبث بن ربعي[2]. ثم خرج علي بنفسه لمحاجتهم فظنوا خطأ حين قدومه إليهم في حروراء أنه رجع عن التحكيم وتاب منه فرجعوا إلى الكوفة. فلما اتضح لهم رأي علي وأنه لم يرجع عن التحكيم بدأوا يتسللون من الكوفة ثم بايعوا أحد رؤسائهم وهو عبد الله بن وهب الراسبي في العاشر من شوال سنة سبع وثلاثين للهجرة. وبذلك نكثوا بيعتهم لعلي رضي الله عنه حيث فر عبد الله بن وهب بأتباعه إلى النهروان وكان عددهم أربعة آلاف تقريبا[3].

ولما انتهى التحكيم وافترق الحكمان دون نتيجة حاسمة لم يرجع الخوارج إلى صف علي ﷺ على الرغم من أنه أعد جيشاً لمواجهة أهل الشام يبلغ قوامه ثمان وستون ألفاً تقريباً. وفي هذه الفترة قتل الخوارج عبد الله بن خباب بن الأرت ومعه أم ولده كما قتلوا آخرين حيث صاروا يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله[4]،فسار إليهم علي ﷺ بجيشه في محرم سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وطلب منهم تسليم القتلة منهم فرفضوا فصمم علي ﷺ على مقاتلتهم معتمدا على حديث: "يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية..."[5].

ثم أرسل إليهم علي ﷺ رسولاً فقتلوا رسوله فصمم على قتالهم[6]، وقبل ذلك جعل أبا أيوب الأنصاري يرفع راية أمان لمن أراد أن يترك القتال منهم ثم كان القتال حيث قضى جيش علي ﷺ عليهم، ولم يسلم منهم إلا الجرحى ومن فَرَّو هم عدد يسير[7].

وقد اهتم علي ﷺ بالتفتيش عن المخدج ذي الثدية حتى وقف عليه حيث فرح الناس لما وجدوا جثته بين قتلى الخوارج كما وصفه النبي ﷺ[8] "... له عضد وليس له ذيل على رأس عضده مثل حلقة الثدي عليه شعيرات بيض..."[9].

ولما انتهى علي ﷺ من الخوارج انتدب أصحابه للخروج إلى الشام فتثاقلوا وما أجابه إلا القليل وذلك للوهن الحسي والمعنوي والاختلاف الذي أصابهم إثر تتابع الأحداث عليهم في الجمل وصفين ثم النهروان، ولاسيما أن كثيراً ممن قتل في الجمل والنهروان ينتمي إلى قبائل البصرة والكوفة وقبائل هاتين المدينتين تشكلان القسم الأكبر من جيش علي. ولا يخفى الأثر النفسي للقتلى في هاتين المعركتين على أقربائهم في جيش علي ﷺ[10].

---

[1] خليفة بن خياط، التأريخ، 192 ؛ أكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص 431؛ أحمد بن حنبل، المسند، مج 2، ص 656.

[2] ابن أبي شيبة، المصنف، مج 15، ص ص317- 319.

[3] ابن أبي شيبة، المصنف، مج 15، ص ص327- 328. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 3، ص ص114- 115.

[4] ابن أبي شيبة، المصنف، مج 15ص ص 310- 311؛ عصر الخلافة الراشدة، ص 434 ؛ابن حجر، فتح الباري، مج 12،ص ص 296- 297.

[5] مسلم، الصحيح، 748/2.

[6] ابن أبي شيبة، المصنف، مج 15، ص ص325-327 ؛ أكرم العمري عصر الخلافة الراشدة، ص 435.

[7] ابن أبي شيبة، المصنف، مج 15، ص ص311-317؛الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 3، ص ص119-122.

[8] ابن أبي شيبة، المصنف، مج 15 ، ص ص325- 327 ، عصر الخلافة الراشدة، ص 435.

[9] مسلم، الصحيح، مج2، ص748.

[10] أكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ص 436- 437.

وأمام هذا الوهن والشقاق وضعف الطاعة في جيشه لم يتمكن ﷺ من القيام بأي عمل ضد معاوية، وكثيراً ما كان يبدي امتعاضه من قومه ويشكوا إلى الله معاناته معهم فكان يقول: "اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني فارحمني منهم وارحمهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم ويضع يده على لحيته"[1].

ولهذه الأوضاع المضطربة استطاع معاوية ﷺ أن يمد نفوذه إلى مصر ويولي عليها عمرو بن العاص، وتصبح بقية الدولة الإسلامية تحت ولاية علي ﷺ. واستمر هذا الوضع حتى استشهاد علي ﷺ ثم تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما.

مقتل علي ﷺ من خلال هذه الأوضاع المضطربة على علي ﷺ كان هناك نفر من الخوارج يدبرون لقتله انتقاماً لإخوانهم في معركة النهروان حيث اتفقوا على أن يذهب أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى الكوفة فيقتل عليا، ويذهب الثاني وهو البرك بن عبد الله التميمي إلى الشام فيقتل معاوية، ويذهب ثالث منهم وهو عمرو بن بكر التميمي إلى مصر ويقتل عمرو بن العاص. وحددوا لذلك صبيحة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة.

وفي الموعد المحدد كمن كل لصاحبه في صلاة الصبح، فضرب البرك معاوية بالسيف ولم تكن الضربة مميتة.

وفي مصر لم يخرج عمرو في هذا اليوم للصلاة بالناس لمرضه فخرج مكانه خارجة بن حذافة السهمي، فضربه عمرو بن بكر يظنه عمراً فقتله، ثم قبض عليه وقتل.

وفي الكوفة تمكن عبد الرحمن بن ملجم من ضرب علي ﷺ الضربة المميتة وكان ذلك صبيحة الحادي والعشرين من رمضان سنة أربعين للهجرة[2] ،ولما طعن علي ﷺ وقبل وفاته أوصى بقاتله خيراً فقال: "إنه أسير فأحسنوا نزله، وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا... " ثم بعد وفاته ﷺ قتل ابن ملجم. [3].

---

[1] عبد الرزاق، المصنف، مج 10، ص 154؛ أكرم العمري، ، عصر الخلافة الراشدة، ص 437.

[2] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج 3، ص ص 155- 158؛ البخاري، التاريخ الكبير، مج 1 ، ص ص99- 100.

[3] عبد الرزاق، المصنف، مج 10، ص154؛ أكرم العمري ، عصر الخلافة الراشدة، ص 437.

فتوحات الدولة الإسلامية حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين
الآل والصحابة .. محبة وقرابة
مبرة الآل والأصحاب
أوروبا
آسيا
إفريقيا
روما
القسطنطينية
سردينيا
صقلية
قرطاجة
القيروان
سبيطلة
طرابلس
برقة
الإسكندرية
الفسطاط
مصر
أرض السودان
النوبة
عيذاب
عمورية
هرقلة
كريت
البحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)
أرمينيا
بحر الخزر (قزوين)
ملطية
بلاد ما وراء النهر
طبرستان
جرجان
طوس
كابل
خراسان
سجستان
فارس
كرمان
ملتان
أرض السند
الهند
قبرص
دمشق
القدس
بلاد الشام
الجزيرة الفراتية
الكوفة
البصرة
المدينة النبوية
مكة المكرمة
جزيرة العرب
عمان
اليمن
صنعاء
زبيد
بحر العرب
خليج البحرين (الخليج العربي)
البحر الأحمر
توحيد الجزيرة العربية بعد الردة على يدي الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه
الفتوحات في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه
الفتوحات في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه
هذه الغزوة تمت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قادة الفتوحات رضي الله عنهم
شارك في هذه الغزوة الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين
جاءت هذه الفتوحات متواترة في كتب التاريخ ومن أهم المصادر التي ذكرتها :
- تاريخ الطبري للإمام محمد بن جرير الطبري
- تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير
- الكامل في التاريخ لابن الأثير
- المنتظم لابن الجوزي
- مروج الذهب للمسعودي
- تاريخ اليعقوبي
ضاحية عبد الله السالم - قطعة ١ - شارع أحمد الهندي - منزل ٢١ - هاتف : ٢٥٦٠٢٠٣ / ٢٥٥٢٣٤٠ - فاكس : ٢٥٦٠٣٤٦
www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com - ص.ب ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي 71655 الكويت

للاطلاع
الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين
أبو بكر الصديق
الشام (معركة أجنادين).
العراق (معركة ذات السلاسل).
عمر بن الخطاب
الشام (معركة اليرموك).
بيت المقدس.
مصر.
شمال إفريقيا.
فارس (معركة القادسية).
عثمان بن عفان
شمال إفريقيا.
النوبة.
قبرص.
الروم (ذات الصواري).
علي بن أبي طالب
بسبب الفتنة، ومخالفة ولي الأمر وانتشار الفوضى توقفت الفتوحات
البحر الأسود
صقلية
الإمبراطورية البيزنطية
أرمينيا
بحر قزوين
رودس
تونس
البحر المتوسط
قبرص
الشام
العراق
فارس
برقة
الفسطاط
مصر
الخليج العربي
المدينة
النوبة
مكة
الجزيرة العربية
البحر الأحمر
بحر العرب
في عهد النبي ﷺ
في عهد أبي بكر
في عهد عمر
في عهد عثمان

المحاضرة الثاني عشر (العصر الأموي41 – 132 هـ)

تمهيد

العصر الاموي من العصور المهمة التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية فهو العصر الوحيد الذي اتسعت خلاله رقعة الدولة العربية، فوصلت الى حدود الصين في الشرق والى قريب من القسطنطينية في الشمال والى قريب من منابع النيل في الجنوب والى بواتييه في جنوب فرنسا في المغرب، يضاف الى هذا الاتساع في رقعة الارض فان الامويين تمكنوا بقوة وتصميم ان يحافظوا على وحدة هذه الرقعة.

اعتمد الامويين على العرب وكانوا يعتقدون بان العرب وحدهم هم الذين يمكنهم النهوض في كافة ميادين الحضارة.

وبعد تنازل الامام الحسن ﷺ عن الخلافة، أمسك معاوية بن ابي سفيان بزمام الحكم في شوال سنة (41هـ)، وحوَّل الخلافة الى ملك له ولعائلته وصرح بشكل صريح بعدائه للأمة الاسلامية واعترف بعدم رضى الأُمة به حاكماً بقوله:- (والله ما وليتها – اي الخلافة – لمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ولكن جادلتكم بسيفي).

وهكذا قامت الدولة الأموية واستمرت تسعين عاماً تقريباً، فمن هو معاوية؟ وكيف كان اسلامه؟ وما هي ابرز معالم سياسته التي اتبعها إبان حكمه وسار على نهجه جميع من تلاه من الحاكمين؟

نسب معاوية:-

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[1].

إسلامه:-

أسلم معاوية بعد فتح مكة، بينما أسلم أبواه يوم الفتح وكانوا من المؤلفة قلوبهم، ولم يشهد حنيناً فلم تذكر المصادر التاريخية المعتمدة إلا ما ورد عن ابن حجر في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج3، ص451)[2].

أبرز معالم سياسة معاوية:-

أما أبرز معالم السياسة التي اتبعها معاوية في تنفيذ ما يصبو اليه من تردي الاوضاع عقائدياً واخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً تتمثل في:

اولاً: سياسته الاقتصادية

كان تصرف معاوية في جباية الاموال وانفاقها خاضعاً لرغباته وأهوائه، فهو يهب الثراء الكبير للمؤيدين له ويحرم معارضيه من العطاء ويأخذ الاموال والضرائب بغير حق حتى شاع الفقر والحرمان عند الأكثرية الساحقة من المسلمين وهذه بعض الخطوات الرئيسية في سياسته الاقتصادية:

نُظُم الحكم والإدارة في عهد معاوية

ونتناول الجانب الآخر من حكم معاوية ونقول بحيادية تامة انه استحدث بعض التغييرات وادخل نظم جديدة تتفق مع ظروف الدولة وطبيعة البلاد، فقد ألغى الكثير من المظاهر التقليدية التي كانت سائدة في الأمصار الاسلامية وأقام جهازاً حكومياً منظماً يتضح فيه النمط البيزنطي، حيث كان السلوك الشخصي لمعاوية ومظاهر الأُبهة التي حرص

(1)ابن حزم ، نسب قريش ، ص25 ، أبي الكلبي الانساب ، ص100، البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج1، ص270

(2) ابن حجر ، فتح الباري ، ج3 ، ص451.

على التمسك بها واضحة نتيجةً لمجاورته الدولة البيزنطية لذلك أقام قصراً يقيم فيه أطلق عليه اسم (قصر الخضراء) وهو مجاور للمسجد الجامع في دمشق، واستحدث المأذنة كما استحدث (ديوان البريد) حرصاً على سرعة وصول الاخبار الى مركز الخلافة في دمشق، فتم تقسيم الطرق منازل يتم فيها استبدال الخيل للسرعة، وبذلك اصبح اداة هامة في ادارة شؤون الدولة[1].

وأنشأ معاوية (ديوان الخاتم) وكان من أكبر دووابن الدولة ويقوم موظفوه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها بعد ان تحزم بخيط وتختم بخاتم صاحب هذا الديوان، كما هو الحال اليوم في قلم "الأرشيف" او السجلات. أما بالنسبة للإدارة المالية فقد عَهِدَ معاوية الى جماعة من اهل الذمة وهم (النصارى واليهود) ممن عُرِفوا بكفاءتهم، وبذلك يكون معاوية اول من عين النصارى في مناصب الدولة.

وتحقق في عهد معاوية العديد من المشاريع الزراعية والإروائية في بلاد الشام والحجاز والعراق وتضاعفت عطايات الجُند نتيجةً لزيادة موارد الدولة الاسلامية، كما أنشأ معاوية البحرية الاسلامية منذ ان كان والياً على الشام، كما اهتم بترميم الحصون الساحلية في (عكا وصور) وأُقيمت مراكز لصناعة السفن في كل من (صور وصيدا والاسكندرية) وبفضل الأسطول العربي الاسلامي تمكن المسلمون من فتح جزيرتي (قبرص ورودس)[2].

وقامت سياسة معاوية في إدارته للأمصار الاسلامية على تعيين الولاة لمدة من الزمن ثم يعمل على عزلهم. وكان من أشهر ولاته (مروان بن الحكم) الذي ولاه المدينة المنورة ومكة والطائف ثم عزله وولي (سعيد بن العاص) ثم عزله وولي (مروان بن الحكم) وهكذا كام يبدل احدهما بالآخر على ولاية المدينة المنورة، أما مصر فقد أعطاها لـ (عمرو بن العاص) ، وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة (43هـ)، وولي على الكوفة (المغيرة بن شعبة)، أما البصرة فولى عليها (عبد الله بن عامر) ثم عزله وولي عليها (الحارث بن عبد الله الأزدي) ثم عزله وولي عليها (زياد بن أبيه) لحين وفاته، وبعد وفاة المغيرة جمع له ولايتي البصرة والكوفة، ثم ولى ابه (عبيد الله بن زياد) البصرة وجُمِعَ له البصرة والكوفة في زمن يزيد بن معاوية[3].

الفتوحات في عهد معاوية

غزا عبد الله بن سوار أمير السند بلاد القيفان وهي مما يلي خراسان مرتين، لكنه قُتِلَ في المرة الثانية، ثم غزاهم المهلب بن ابي صفرة حتى وصل الى لاهور.

وتوجهت همة المسلمين نحو الشمال والغرب حيث الدولة الرومانية الشرقية التي كانت تَغْيِر على البلاد الاسلامية القريبة منها، فرتب معاوية الغزو اليها براً وبحراً وبلغ أسطول الشام في عهده (1700) سفينة فتح بها عدة جهات، جزيرة رودس وبعض الجزر اليونانية، أما في البر فقد رتب الشواتي والصوائف، وهي الجيوش التي كانت تغزو هذه البلاد في الشتاء والصيف.

وفي سنة (42هـ) ولى معاوية (قيس بن الهيثم) بلاد خراسان فسار الى بلخ وهراة وبدغيس بعدما نقضوا الرسعهد الصُلح مع المسلمين، فدخل بلخ وخرب معبدها ويدعى (نوبهار) فطلب اهل الصُلح فأجابهم وسارع اهل بدغيس وهراة الى طلب الصُلح والأمان.

---

(1)الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص83 .

(2) ثابت اسماعيل الراوي ، الدولة الاموية ، ص12.

(3) الطبري ، تاريخ الرسل، ج5 ، ص12.

ولما تولى عبيد الله بن زياد خراسان بعد وفاة ابيه، بلغ بيكند وأرغم خاتون اميرة بخارى على طلب الصلح لكنها نقضت العهد بعد ذلك، فدخل المسلمون بخارى بقيادة (سعيد بن عثمان) الذي خلف ابن زياد على ولاية خراسان، ثم دخل المسلمون سمرقند بعد قتال عنيف.

وفي سنة (48هـ) جهز معاوية جيشاً لفتح القسطنطينية براً وبحراً بقيادة ابنه يزيد وخرج معه كبار الصحابة مثل (عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وابو أيوب الأنصاري)، لكنَّ يزيد سلَّم قيادة الجيش لسفيان بن عوف والتجأ الى دير هناك فاقتتل المسلمون والروم قتالاً شديداً، ولم يستطع جيش العرب فتح القسطنطينية لمتانة اسوارها ومنعة موقعها وفتك النار الاغريقية بسفن المسلمين، وقتل أبو أيوب الأنصاري ودفن خارج اسوار القسطنطينية فيما اضطر المسلمون للعودة بعدما فقدوا الكثير من جندهم وسفنهم[1].

وفي سنة (50هـ) أرسل معاوية الى عقبة بن نافع عشرة آلاف جندي، فدخل افريقية وتمكن من فتحها وأسلم على يديه كثير من البربر الذين دخلوا في الجيش فكانوا نواة الجيش الاسلامي الذي تم على يديه فتح بلاد الغرب ومن ثم الأندلس، وأصبح عقبة بن نافع والياً على افريقية التي كانت تابعة لوالي مصر، وبنى عقبة بن نافع مدينة القيروان وبنى فيها المسجد الجامع[2].

وفاة معاوية

قبل وفاة معاوية أخذ البيعة لولده يزيد ونصبه ولياً لعهده ولم تطل أيامه حتى أصابته الأمراض والأسقام حتى عجز طبيبه النصراني من علاجه.

خلافة يزيد بن معاوية (60–64هـ / 680–685م)

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولد سنة (25 او 26هـ)،أمه ميسون بنت بجدل الكلبية ،نشأ عند اخواله في البادية من بني كلاب الذين كانوا يعتنقون المسيحية قبل الاسلام ، لم يكن داهية مثل ابيه.

وفاة يزيد

مات يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة (64هـ) وهو في سن الثامنة والثلاثين من عمره في حوارين دمشق، واستمر حكمه ثلاث سنوات وبضعة أشهر.

ثم مَلَكَ من بعده ابنه معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية[3].

خلافة معاوية الثاني بن يزيد سنة (64هـ / 685م)

ملك أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر

خلافة مروان بن الحكم (64–65هـ / 684–685م)

لما انتصرت كتلة الكلبيين في معركة (مرج راهط) استمر النزاع بين أنصار البيت الاموي على من يتولى الخلافة حتى عقدوا مؤتمر الجابية الذي أقروا فيه الخلافة لمروان بن الحكم ومن بعده خالد بن يزيد بن معاوية ومن بعده لعمرو بن سعيد

(1)الطبري ، تاريخ الرسل ، ج6 ، ص181.

(2) أبن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص113.

(3) أبن بكار ، نسب قريش ، ص210.

بن العاص المعروف بالأشدق، وبذلك أرضوا جميع الأطراف التي كانت تتطلع للخلافة، وكان في ذي القعدة عام (64هـ).

تابع مروان نشاطه فجهز جيشاً بقيادته الى مصر التي استقلت عن بلاد الشام لطرد عبد الرحمن بن جحدم عامل عبد الله بن الزبير، وبعد معركة محسومة دخل مروان عين شمس ثم الفسطاط بعد هزيمة ابن جحدم في أول جمادي الأولى سنة (65هـ)، وبنى الدار البيضاء لتكون مقراً له ثم عاد الى الشام مخلفاً ابنه عبد العزيز في مصر والياً عليها، وأعدّ جيشين، أحدهما سيَّره الى الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي بسط نفوذه في الحجاز فحلت الهزيمة في جيشه هناك، والآخر الى العراق الذي تمكن من القضاء على ثورة التوابين[1].

كيفية وفاته:

بعدما بويع مروان بالخلافة تزوج من أم خالد بن يزيد ، وكانت ولاية مروان تسعة أشهر وبعض شهر، ، وبويع من بعده لولده عبد الملك بن مروان[2].

خلافة عبد الملك بن مروان (65–86هـ /685–705م)

ولد عبد الملك بن مروان بالمدينة المنورة سنة (26هـ) في خلافة عثمان بن عفان، وكان شديد السياسة حسِن التدبير ، وفي أيامه نقلت الدوواين من الفارسية الى العربية، وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم.

ومن طريف ما قيل: ان عبد الملك لما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال اهل المدينة وغزو الكعبة، امتعض من ذلك غاية الامتعاض، وقال: ليت السماء انطبقت على الأرض، فلما صار خليفة فعل أشد من ذلك، فإنه أرسل الحجاج لحصار ابن الزبير وغزو مكة، وكان عبد الملك قبل الخلافة أحد فقهاء المدينة ويسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن، فلما آلت اليه الخلافة اطبق المصحف وقال: "هذا فراق بيني وبينك"، وتصدى لأمور الدنيا.

وقال يوماً لسعيد بن المسيب: (يا سعيد قد صرت أفعل الخير فلا أُسرَ به وأصنع الشر فلا أُساءَ به، فقال له سعيد: الآن تكامل فيك موت القلب)[3].

ضرب النقود الإسلامية

وقع خلاف بين ملك الروم والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على قراطيس كانت عليها طراز بالرومية ويُذكر فيها شعار النصرانية منعها عبد الملك من التداول بعدما تُرجمت له، فكَتَب اليه ملك الروم أن يعيدها على حالها السابق وإلا لأمر بنقش الدنانير (التي كانت تضرب بالرومية) بشتم النبي، فأستشار عبد الملك أصحابه فأمر بإحضار الصُناع والصاغة وطلب منهم ان يضربوا بين يديه سكاكاً وان يُجعل النقش على وجه منها سورة التوحيد وعلى الوجه الآخر شهادة الإسلام وأن يجعل في مدارها ذكر البلد الذي يضرب فيه والسَنة، ثم فصل ذلك على أوزان الدراهم والدنانير وباللغة العربية.

تعريب الدواوين والنقود الاسلامية[4]

أن من اهم الاعمال التي حدثت في عهد عبد الملك بن مروان هي عملية تعريب دواوين الخراج .

---

(1) ابن الأزرقي ، أخبار مكة ، ص222.

(2)ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج7 ، ص10.

(3) الطبري ، تاريخ الملوك ، ج7 ، ص8.

(4) المصدر نفسه ، ص311.

والمقصود بهذه العملية هي عملية نقل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية ، وهي تلك الحركة التي قام بها عبد الملك بن مروان واكملها الخلفاء الأمويين بعده ،وكانت هذه الحركة جزء من عملية تغريب واصلاح شاملة وسياسية مرسومة ، حان وقت تنفيذها ،وكانت تهدف الى اعادة تنظيم كل اجهزة الدولة وصبغها بالصبغة العربية.

أما أهم اسباب عملية التغريب فيمكن إجمالها مما يلي :-

1. استقرار أوضاع الدولة الداخلية وما رافقه من تطور حضاري صاحبه ظهور عدد من الكتاب العرب والموالي ممن يجيدون الكتابة بالعربية والترجمة الى اللغات الأجنبية ،والرغبة الشديدة لدى الدولة ممثلة بشخص الخليفة عبد الملك بن مروان وتطلعاته القومية في رسم المستقبل على أسس قوية ترتكز على لغتها لغة الدين والسياسة.
2. كانت للعوامل المالية والاقتصادية أثراً مهماً في تغريب دواوين الخراج ، حيث كان متولي هذه الدواوين يحصلون على اموال طائلة من عملهم هذا ، مما يؤدي او يؤثر سلباً في وواردات بيت المال واقتصاد الدولة. لذلك كانت عملية التغريب خطوة اولى باتجاه اعادة تنظيم طريقة جباية الضرائب في الأقاليم وضبط أعمال الدواوين والأشراف الدقيق عليها ، فمنع الغش والتزوير وهو بذلك جزء من خطة الاصلاح المالي الذي كانت الدولة بحاجة ماسه اليه آنذاك.
3. كان عبد الملك بن مروان يهدف من عملية التغريب الى تحقيق وحدة الدولة وتماسكها بتوحيد النظم المالية والإدارية ،وأنهاء التأثيرات الشعوبية والعنصرية.
4. كذلك ان بقاء اللغات الأجنبية مستعملة في الدواوين يعني بقاء الموظفين من غير العرب او من غير المسلمين مما يؤدي الى منافسة هذه اللغات للغة العربية ، مما يضعف كيان الدولة ، حيث يتعارض ذلك مع سياسة الدولة واستقلالها ، لذلك كان الحرص على سلامة اللغة العربية . من العوامل المهمة لتعريب الدواوين حيث دخلت شعوب واقوام مختلفة الى الاسلام[1] .

عملية التعريب

كانت كل الدواوين التي يجري العمل بها منذ نشأتها باللغة العربية ، ماعدا ديوان الخراج الذي كان يستخدم اللغتان غير العربية ، أي الفارسية في بلاد فارس والعراق واليونانية في مصر وبلاد الشام.

واستمر هذا الوضع حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة (65-86هـ) الذي تم في عهده تعريب دواوين الخراج ، حيث ان الحاجة الى استخدام اللغات غير العربية قد زالت بوجود عدد كاف من الموظفين العرب الذين يجيدون العمل في تلك الدواوين.

وقد استعد عبد الملك جيداً لهذا العمل ،وذلك عن طريق اعداد فريق من العاملين العرب المدربين للعمل في دواوين الخراج ، المجيدين للغة الفارسية واليونانية ، القادرين على ترجمة تلك الدواوين الى العربية ،ولم يكن هذا العمل بالسهل اليسير ، وانما تطلب جهداً وعملاً دائباً.

أ-تعريب دواوين الشام:

وكان أول ديوان تم تعريبه باعتباره الديوان المركزي ،وهو ديوان دمشق عاصمة الدولة العربية الاسلامية واشرف على ذلك العمل سليمان بن سعد الخشني الذي كان يعد من ابرز الكتاب في عهد عبد الملك ،وقد شاركه عدد من كبار

(1) ينظر رشيد الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الأموي ، ص111.

الموظفين ،وقد نجح سليمان في انجاز ذلك العمل في سنة كاملة ،وكافأه الخليفة على ذلك العمل بإعطائه خراج اقليم الأردن لمدة عام كامل وكان ذلك في سنة 81هـ[1].

ب–تعريب دواوين العراق والمناطق الشرقية:

وقد تكفل بهذا العمل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، حيث نقل وترجم الدواوين فيها وفي بقية اجزاء الدولة الاموية من جهة الشرق وقد عهد الحجاج بهذه المهمة الى كتابه صالح بن عبد الرحمن .

ج–تعريب دواوين مصر:–

وقد تولى هذه المهمة عبد الله بن عبد الملك بن مروان والي مصر سنة 085هـ) ونقل الدواوين من اليونانية الى العربية ،واستمرت هذه العملية حوالي نصف قرن ،وبعد ذلك اصبحت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة السائدة في المعاملات المالية في الدولة العربية الاسلامية.

ضرب النقود الاسلامية وتعريبها

تذكر الكثير من المصادر التاريخية ان الامام عليرضي الله عنه كان صاحب السبق والريادة في عملية تغريب النقود ومن الأدلة على هذه العملية هي وجود قطعة نقدية ضربت في عهده اي في سنة (40هـ) ونقش على هذه العملية سورة التوحيد ،وقد احتفظت المكتبة الوطنية في باريس بقطعة من هذه العملية ، حيث اثبت المختصون في علم (النميات) (النقود) صحة ضرب هذه العملة من قبل امير المؤمنينرضي الله عنه.

ولكن الأسف بسبب ظلم معاوية واتخاذه موقفاً سلبياً من امير المؤمنين ﷺ ، ادى ذلك الى سدال الستار على هذا العمل الكبير وهي عملية سكة للعملة العربية ، حيث نسبت هذه الفضيلة كسابقة لعبد الملك بن مروان ، الذي لم يستطع اتمام هذا العمل الا بعد مشورة [2].

دوافع وأسباب عملية التعريب (النقود)

ذكر المؤرخون اسباب وروايات كثيرة في أسباب ودوافع تعريب النقود ويمكن الاشارة الى بعض هذه الاسباب وبشكل مختصر وهي:

1- كانت القراطيس للروم وكان اكثرهم في مصر هم من النصارى على دين ملك الروم ،وكانت تطرز بالرومية وطرازها (اب وابن وروح القدس) ،وعندما امر عبد الملك بترجمتها الى العربية انكر هذا الامر في بلاد المسلمين وامر بمنعها من التداول في البلدان الاسلامية ،وكتب الى عامله على مصر آنذاك وهو اخيه عبد العزيز ان يطرزها بسورة من القرآن لذلك وقع الخلاف بينه وبين ملك الروم الذي كتب اليه ان يعدها الى مالها السابق والا فأنه سوف يأمر بنقش الدنانير الرومية (شتم النبي) ،وهدده بقطع النقد عن المسلمين.

2- اما الرواية الثانية فتلخص فيما يلي ، على اثر صراع عنيف واشتباكات بين الدولتين الرومانية والاسلامية على حدودها هدد ملك الروم عبد الملك بن مروان بقطع النقود عن البلاد الإسلامية وكان المسلمون يتعاملون بها ، لذلك اضطرب عبد الملك بن مروان لأن عملاً من هذا النوع يؤدي الى شلل الاقتصاد الاسلامي ، لذلك جمع

(1) رشيد الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الأموي ، ص111-112.

(2) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص13.

اعيان المسلمين واستشارهم في الخروج من هذه الأزمة ،ولكنهم لم ينتهوا الى نتيجة حاسمة وخلال اشهر معدودات كان النقد الجديد في ايدي المسلمين يتعاملون به بدلاً من النقد الروماني[1].

وفاة عبد الملك بن مروان ووصيته الأخيرة

مات سنة (86هـ) بعدما أوصى بولاية العهد لولده سليمان[2].

خلافة الوليد بن عبد الملك (86–96هـ / 705–715م)

تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة من بعد ابيه عام (86هـ) وظل بها عشر سنين، وكان عهده عهد فتح ويسر ورخاء وأحبه أهل الشام، فقد بنى الجوامع (جامع دمشق وجامع المدينة والمسجد الأقصى) وفتح في خلافته فتوحاً عِظاماً فاتسعت رقعة الدولة الأموية شرقاً وغرباً،

وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنية واتخاذ المصانع والضياع، وعُرف بعطفه على الفقراء والمعوزين وأعطى المجذّمين ومنعهم من سؤال الناس، وأعطى كل مُقعَد خادماً وكل ضرير قائداً[3].

الفتوح في عهد الوليد

تمكن الوليد من إعادة الفتوح التي تمت في عهد من سبقه من الخلفاء، وقد اشتهر ثلاثة من القادة كان لهم أثر عظيم في هذه الفتوح هم:– قتيبة بن مسلم الباهلي ومُحَمَّد بن القاسم الثقفي وموسى بن نصير.

– أما قتيبة، فقد تولى مشرق الدولة الاسلامية، ففتح بلخ والصفد ونهر جيحون حتى وصل بخارى وفتحها بعد ان لقى عناءً كبيراً، وفي سنة (93هـ) فتح مدن خوارزم صلحاً وسمرقند وبعد فتحها قرر ان يمد حدود الدولة العربية في أواسط آسيا، وكان من أثر فتح بلاد ما وراء النهر انْ دخل الإسلام فيها ومضى قُتيبة قدماً سنة (96هـ) الى حدود الصين في محاولة لفتحها، وبينما هو في الطريق جاءه نبأ وفاة الوليد بن عبد الملك، ومع ذلك واصل السير اليها، لكن ملك الصين صالحه على شروط فرضها قتيبة عليه.

– أما مُحَمَّد بن القاسم الثقفي، الذي عهد اليه خاله الحجاج في غزو بلاد الهند سنة (89هـ) فحاصر ثغر الديبل وفتحه عنوة وبنى به مسجداً وواصل الفتح حتى بلغ نهر السند، فقاتل داهر ملك السند وكان هو وجنده يقاتلون على ظهر الفيلة فاتلوا قتالاً شديداً انتهى بقتل داهر وهزيمة اصحابه، واستطاع مُحَمَّد بن القاسم أن يمد فتوحه في كافة أرجاء بلاد السند[4].

– أما موسى بن نصير الذي كان مولى عبد العزيز بن مروان، فقد قلده الوليد افريقية سنة (88هـ)، فقد استطاع بسط نفوذه في بلاد المغرب حتى بلغ طنجة هو ومولاه طارق بن زياد، ثم تحالف موسى بن نصير مع الكونت جوليان حاكم سبته للتخلص من لذريق ملك إسبانيا لعداء شخصي كان بينهما، ووجد في جيوش العرب والبربر في بلاد المغرب خير من يقوم على تحقيق أهدافه والتخلص من عدوه.

الفتوحات في عهد الوليد[5]

---

(1) ينظر ، عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية ، ص209.

(2) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص311.

(3) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج6 ، ص180.

(4) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص206.

(5) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص107-108.

تميزت فترة الوليد بن عبد الملك بكثرة الفتوحات وتوسع الدولة الأموية في مناطق واسعة ويمكن ان تقسم هذه الفتوحات الى عدة جبهات وهي:

أولاً : جبهة المشرق وتضم هذه الجبهة كلا من :

أ-بلاد ما وراء النهر. ب-بلاد السند

أ-بلاد ما وراء النهر:

المقصود بهذه المنطقة المحصورة بين نهري جيحون جنوباً وسيحون في الشمال وتقع هذه المنطقة في الشمال الشرقي من حدود الدولة الفارسية القديمة وسكانها من العنصر التركي.

وكانت هذه المنطقة تتكون من عدة ممالك بعضها مستقل عن بعض ،وكان الوضع السياسي لهذه الممالك غير مستقرة بفعل النزاعات الدائمة التي كانت تحدث بينها مما شكل خطراً على المسلمين الذين تاخمت حدود بلادهم في خراسان حدود هذه الممالك ، مما جعل الدولة الأموية تفكر في وضع حد لحالة الفوضى في هذه البلاد ،وذلك عن طريق ضمها الى الدولة الاسلامية ونشر الاسلام فيها واخضاعها للنظام الاموي .وقد اسند الوليد هذه المهمة الى القائد قتيبة بن مسلم الباهلي وبأسناد من الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقد بدأ قتيبة عملياته العسكرية اعتباراً من عام (86هـ) فعبر نهر جيحون واعاد فتح طخارستان واعاد سيطرة الامويين على مرو ، بعد ذلك تقدم قتيبة الى اقليم بخارى ، وفتحه صلحاً بعد حصار ، ثم نقض الصلح من جديد واستمرت حملات قتيبة على اقليم بخارى حوالي ثلاث سنوات ، حتى تمكن في النهاية من فتحه وضمه الى الدولة الأموية[1].

ثم استأنف قتيبة فتوحاته حتى وصل الى مدينة سمرقند وفتحها صلحاً سنة (90 هـ / 709م) ،كما فتح مدن خوارزم سنة (93هـ / 712م)) ولم تلبث سمرقند ان نقضت الصلح فأعاد فتحها من جديد ،وتكمن اهمية فتح سمرقند انها ضمت مصنعاً للورق ،وهي صناعة صينية نقلها جماعة من الحرفيين الصينيين الى هذه المدينة ،وقد حمل المسلمون هذه الصناعة الى دمشق ثم الى بغداد بعد ذلك في العصر العباسي . ثم الى القاهرة وافريقيا الشمالية وصقلية والاندلس ومنها انتقلت الى اوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي.

ثم انتقل قتيبة اعتبارً من عام (ة 94هـ/713م) الى فتح مدن الشاش وفرغانة وكاشغر ،وكانت تحت سيطرة الاتراك فصادف مقاومة شرسة او اصطدم بهم اكثر من مرة حتى تمكن اخيراً من فتحها في عام (95هـ/714م).

وفي اثناء تقدمه في بلاد الصين جاءه نعي الحجاج ، فاغتنم لموته لذلك بعث اليه الوليد بن عبد الملك رسالة مواساة وتشجيع فأحدثت هذه الرسالة في نفسية اثراً طيباً .

وبعد وصول قتيبة بن مسلم الى مناطق الصين جاءه رسول من قبل الامبراطور الحبشي يدعوه للتباحث في امر تقدم المسلمين في بلاد الصين وقد اسندت هذه القادة عن تجميد الفتوحات في بلاد الصين ، فضلاً عن ذلك كان لهذه السفارة الاسلامية الى البلاط الصيني اهداف تجارية ايضاً ، حيث ان المسلمين لم يكونوا غافلين عن اهمية التجارة بين الشرق والغرب حيث جرت عدة محاولات منذ ايام قتيبة لضبط طرق التجار في اواسط آسيا وحماية

(1)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص109-111.

القوافل التجارية ،وتدل تعدد ارسال السفارات الاسلامية الى الصين ، على اهمية استمرار حركة التجارة بين الشرق والغرب[1].

فضلاً عن ذلك ان سبب توقف الفتوحات في بلاد الصين ان قتيبة بن مسلم ادرك انه يواجه امبراطورية قوية تتطلب منه استعدادات وتجهيزات لم تكن متوفرة ، مع طول خط الامدادات وصعوبة الاتصالات مع الادارة المركزية في الوقت ذاته اخذت بعض المدن المفتوحة تنتفض على الحكم الاسلامي مما تطلب اعادة اخضاعها. لذلك اقتنع قتيبة بن مسلم بنتائج هذه الفتوحات[2].

ب–فتح بلاد السند

المقصود ببلاد السند هي المنطقة او الإقليم الواقع في شمالي غربي شبه القارة الهندية وشرقي بلاد فارس الجنوبية.

وكانت عملية فتح هذا الاقليم شبيه بأحداث فتوحات بلاد ماوراء النهر ، حيث بدأت العلميات في سنة (89هـ/708م) ، اي بعد عملية فتح بلاد ما وراء النهر بعامين وترجع عملية الاهتمام بفتح هذا الاقليم الى عصر الخلفاء الراشدين.

وقد عهد الحجاج بهذه المهمة الى القائد مُحَمَّد بن القاسم الثقفي الذي لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره ، انتقل مُحَمَّد الى مكران وتمركز فيها ،وجعلها نقطة الانطلاق وقاعدة الفتح ووصل الى الديبل على ساحل بحر الهند ،وفتح وهو في طريقه اليها عدة قلاع ،ولما وصل اليها حاصرها واقتحمها بعد ثلاثة ايام فهرب منها عامل داهر ملك السند لذلك اعاد مُحَمَّد بن القاسم الثقفي تخطيط المدينة واسكنها اربعة الآف من المسلمين ،وجعلها قاعدة بحرية ،وكان لفتح هذه المدينة تأثير كبير على الوضع الداخلي للمدن والقوى المجاورة ، حيث هرع السكان يعرضون الصلح على المسلمين .

توجه مُحَمَّد بن القاسم بعد ذلك الى البيرون ، الواقعة على الضفة الغربية لنهر السند المعروف بأسم مهران ، فصالحه اهلها ، كما صالحه سكان المدن الواقعة على الضفة الشرقية للنهر ، ثم التقى امير السند داهر في مدينة مهران وانتصر عليه وقتله.

سيطر المسلمون بعد هذا النشاط الجهادي على كامل اقليم السند ثم زحف جيوشهم نحو الشمال الشرقي فقاتلهم المسلمون وانتصر عليهم ،وبعد سلسلة من الانتصارات اصبح وادي السند في قبضة المسلمين فأنصرف مُحَمَّد بن القاسم الى تنظيم امور البلاد المفتوحة لكن وصول خبر وفاة الحجاج ثم الوليد ادى الى توقف العمليات العسكرية في اقليم السند[3].

ثانياً : الجبهة البيزنطية

انتهج الوليد نهج والده عبد الملك في الضغط على الامبراطورية البيزنطية ،والواقع انه في الوقت الذي كان فيه الإمبراطور البيزنطي يخشى اتساع النشاط العسكري الاسلامي في البر والبحر كان الوليد يعمل على تحقيق الهدف

(1) ينظر ، خاشع المعاضيدي ، الفتوحات الاسلامية في المشرق ، ص113.

(2) المرجع نفسه ، ص114-115.

(3) ينظر ، ثابت اسماعيل الراوي ، الدولة العباسية ، ص105.

الذي ظل يراود الخلفاء الامويين منذ تأسيس دولتهم الا وهو فتح القسطنطينية ،ولاسيما بعد ان اصبحت الامكانات الاسلامية متاحة للمسلمين بعد تقوية اسطولهم البحري.

وقاد هذه الحملة او المحاولات اخو الوليد مسلمة بن عبد الملك وتمكن من فتح عدة حصون ذات اهمية استراتيجية في الطرق المؤدية الى القسطنطينية ووصلت احدى فرقه الى عمق الاراضي البيزنطية.

ونتيجة لهذا النشاط الاسلامي المكثف حاول البيزنطيون ايقافه او الحد من قوة اندفاعه ، فعمدوا الى تقوية جبهة آسيا الصغرى وحصنوها بجماعات من الارمن وعينوا قادة جدد على ثغورها مما اسفر على وقف الزحف الإسلامي نحو القسطنطينية ، ثم شهد عام (96هـ) تطوراً جديداً في الاحداث بعد وفاة الوليد وتولى سليمان بن عبد الملك الخلافة ، لذلك شهدت هذه الفترة تولي ثيودوسيوس الثالث امبراطوراً لبيزنطة[1].

ثالثاً : جبهة بلاد افريقية و المغرب

كانت للعرب المسلمين محاولات عدة لفتح بلاد افريقية و الغرب و الاندلس ،وقد تم هذا الامر على عدة مراحل ، غير ان هذا المد او الزحف على هذه الجبهة بلغ ذروته في عهد الوليد بن عبد الملك ،وكانت الظروف المساعدة قد شجعته على اعطاء السياسة الخارجية اهتماماً خاصاً ،ومنها استقرار الوضع الداخلي الذي اوجد المناخ الملائم لتحقيق منجزات عسكرية على عدة جبهات في وقت واحد ،وكانت اهمها استكمال فتوح شمال افريقيا وفتح بلاد الاندلس وكان للقائد حسان بن النعمان دوراً كبيراً في تطهير منطقة المغرب والقضاء على ثورة البربر الثابتة ، ثم استبدال هذا القائد بآخر وهو موسى بن نصير[2].

وفاة الوليد بن عبد الملك

توفي الوليد لأربع عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى سنة (96هـ) وهو ابن خمسين سنة وولي عشر سنين تقريباً بدير مران وحُمل ودُفن بدمشق، وتولى بعده أخيه سليمان بن عبد الملك بعدما حاول الوليد عزله وتنصيب ولده عبد العزيز لكن المنية عاجلته، وأخذ عمر بن عبد العزيز البيعة لسليمان وهو في الرملة من فلسطين فعاد الى دمشق خليفة عليها.

خلافة سليمان بن عبد الملك (96–99هـ / 715–717م)

بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه الوليد في جمادي الآخرة سنة (96هـ) وما أن استلم الحكم حتى نكل بآل الحجاج تنكيلاً فظيعاً وعهد بتعذيبهم الى المهلب، وعزل جميع عمّال الحجاج،و استكمل بناء المسجد الجامع الذي بناه الوليد لكنه كان مجحفاً أشد الإجحاف في جباية الخراج، [3].

اما أبرز أحداث عصره فهي:

1- محاولة فتح القسطنطينية:

أغار الروم على اللاذقية من نواحي حمص فذهبوا بما فيها ثم احرقوا، فانتدب سليمان أخاه مسلمة بن عبد الملك وأمره ان يقصد القسطنطينية حتى يفتحها ورابط هو في مرج دابق على بعد أربعة فراسخ من حلب، وبعد حروب كثيرة

(1) رشيد الجميلي ، الحروب البيزنطية ، ص11.

(2) أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8، ص131.

(3) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج6 ، ص13.

انتصر فيها مسلمة حتى وصل الى أسوار القسطنطينية وأقام عليها شهوراً طويلة لم ينسحبوا منها حتى بعد وفاة سليمان، فأعادهم عمر بن عبد العزيز خليفته من بعده وعادت الحملة تجر ذيل الخيبة، كما اخفقت الحملة التي سبقتها في عهد معاوية[1].

سياسة سليمان بن عبد الملك الخارجية

أ–جبهة المشرق

الملاحظ في حكم سليمان بن عبد الملك انه لم تحدث هناك فتوحات في المشرق ويمكن ارجاع السبب في ذلك الى عدة عوامل واسباب وهي :

1- طبيعة الظروف السياسية التي مرت بها الدولة الاموية في تلك الفترة ولاسيما بعد عام (98هـ) وحتى سقوط الدولة الأموية عام (132هـ/ 750م) حيث انشغلت باخماد الحركات التي بدأت تهب في وجهها من جددي مثل حركة الخوارج وحركة يزيد بن المهلب[2].

2- تجدد الخلافات بين العرب وسكان خرسان والتي استغلها العباسيون فيما بعد لصالحهم ، حيث بدأت منذ ذلك الوقت دعوتهم السرية.

3- النزاعات الداخلية وكثرة العناصر على السلطة بين افراد البيت الأموي مما اضعف هيبة الدولة وجعلها تنشغل بمشاكلها الداخلية على حساب التوسع في الشرق.

4- فضلاً عن الاسباب السابقة الذكر ، فأن هذه البلاد الشرقية التي فتحها المسلمون لم تكف عن التمرد والعصيان واشعال نار الثورات حتى اضحى جهد الخلفاء والولاة منصباً على اخضاع الثائرين والمحافظة على المكتسبات التي تحققت في السابق ولاسيما في عهد الوليد[3].

ب–الجبهة البيزنطية

كان الحديث المهم الذي شهد عهد سليمان بن عبد الملك هو عملية حصار القسطنطينية ، حيث ارسل عدة حملات لغزو اراضي البيزنطيين في مناطق الحدود في آسيا الصغرى وعلى الطرق المؤدية اليها بهدف الهاء السلطات البيزنطية والتمويه عن الهدف الرئيسي وهو الوصول الى الهدف الحقيقي وهي القسطنطينية[4].

وقد مهد سليمان بن عبد الملك لحملته هذه بغزوه بحربة بقيادة عمر بن حيبرة الغزادي ،واشرف الخليفة بنفسه على استعدادات الحملة واختيار لقيادتها اخاه مسلمة بن عبد الملك ،وتجهز مسلمة بكافة الاحتياجات التي تكفل النجاح لحملته من حيث المؤن والاخشاب اللازمة لاقامة بيوت تتي المسلمين برد الشتاء.

وقد حشد سليمان تحت قيادته حوالي 180 الف جندي جمعها من اهل الشام والجزيرة والموصل فضلاً عن 1800 قطعة بحرية[5].

---

(1) أبن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص202.

(2) المصدر نفسه ، ج9 ، ص302.

(3)المصدر نفسه ، ج9 ، ص204-205

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص13.

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص14.

وصل الجيش الاسلامي الى ثغر الاناضول ومن ثم الى عمورية وحاصرها وعندما علم ليو قائد الثغر بنويا المسلمين أبدى استعداده للتعاون معهم ،وكان يتطلع الى انتزاع العرش الامبراطوري ، فاتفق مع مسلمة على خطة تتيح للمسلمين فتح القسنطينية وترفعه الى العرش .

لذلك واصل المسلمون تقدمهم دون اية مقاومة جدية ،واصبحت هذه المنطقة مفتوحة امامهم ،وفي هذه الاثناء حصلت تطورات داخلية مهمة في بيزنطة تمكن خلالها ليو الأيسوري من ارتقاء العرش فتنكر لأتفاقية السلام التي عقدها مع مسلمة ، فخدع المسلمين وتحايل على تجريدهم من قوتهم واقواتهم.

ولم يلبث ان وصل المسلمون الى اسوار القسطنطينية وحاصروها من جهة البر وفي نفس الوقت تحرك الأسطول الاسلامي الضخم باتجاه الدردنيل وبحر مرمرة وحاصر المدينة من جهة البحر وبذلك تعرضت القسطنطينية لحصار من البر والبحر.

واراد مسلمة اقتحام المدينة عنوة ونصب عليها المجانيق الضخمة ولكنه فشل في اقتحامها بسبب مناعة اسوارها فضلاً عن ذلك جاءت رياح عاتيه حطمت سفن المسلمين فانتهز البيزنطيون هذه الفرصة واحرقوا اعداداً منها بالنار الاغريقية ورغم ذلك استمر المسلمون يحكمون الحصار على المدينة وطالت امد الحرب ، غير ان هذا الحصار والمرابطة لم تفلح في اختراق المدينة .

ويمكن اجمال سبب فشل الحصار على القسطنطينية الى عدة اسباب منها :

1. عجز المسلمون عن تطويق الجبهة الشمالية للعاصمة البيزنطية مما مكنها من الاتصال بسواحل البحر الأسود في الوقت الذي اخذت فيه المؤن لدى المسلمين بالتناقص بعد فشل وصول الامدادات من الشام.
2. طبيعة الظروف المناخية القاسية والبرد الشديد فضلاً عن صعوبة طوبورغرفية المنطقة بالنسبة للعرب المسلمين.
3. مهاجمة البلغار للمسلمين ولاسيما من الجانب الأوربي بالاتفاق مع ليو الثالث وتغلبهم على القائد عمر بن هبيرة الامر الذي ادى الى ابعادهم عن العاصمة.
4. فتك النار الاغريقية التى استعملها البيزنطيون والتي احدثت اضراراً جسيمة جداً بالسفن الاسلامية.
5. تواطئ البحارة المسيحين اذلي يعملون في الاسطول الاسلامي مع البيزنطيين بعد ان نجح ليو الثالث في تحريضهم على العصيان فضلاً عن نفاذ القوات وطول امد الحصار الذي استمر على ما يزيد من سنة.
6. فضلاً عن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك اثناء الحصار واعتلاء عمر بن عبد العزيز للحكم ،والذي لم يكن يميل الى مواصلة سياسية الفتوح لما تكلفه من ارواح ونفقات[1].

كل هذه الاسباب السابقة الذكر دفعت الحاكم الجديد عمر بن عبد العزيز الى ارسال كتاب الى مسلمة بن عبد الملك يأمره بفك الحصار عن القسطنطينية والعودة الى الشام . وتم ذلك اي رفع الحصار في ذي الحجة من سنة 99هـ ،وقام ما تبقى من الاسطول بنقل الجيش البري الى آسيا الصغرى غير ان هذا الجيش تعرض لعاصفة اثناء عبوره الأرخبيل فتشتت السفن وهاجمها البزنطيون ولم يتج منها سوى عدد قليل جداً .وكانت هذه هي المحاولة الأخيرة التي قام بها الأمويون لفتح القسطنطينية[2].

(1) رشيد الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الأموي ،ص115.

(2) المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص331.

وفاة سليمان بن عبد الملك

مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر سنة (99هـ) وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وعهد من بعده الى ابن عمه عمر بن عبد العزيز والى اخيه يزيد بن عبد الملك من بعده[1].

خلافة عمر بن عبد العزيز (99–101هـ/ 717–719م)

تقلد الخلافة عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان بن عبد الملك ،ولمس الناس في عهده القصير الأمن والرفاه بشكل نسبي ،ولد في مصر عندما كان ابوه عبد العزيز بن مروان وآلٍ عليها وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وقد ساس المسلمين سياسة لم يألفوها من قبله.

أما أهم إنجازاته التي ميزته عن سائر الحكم الأمويين فيمكن تلخيصها فيما يلي :

2–صلته للعلويين

أجزل عمر العطاء للعلويين خلاف ما كان عليه من سبقه من بني أمية وأمر عامله على المدينة أن يقسم في أولاد علي مبلغ عشرة الاف دينار وكانت هذه أول صلة تصلهم أيام الحكم الأموي ، وقيل : أنه حمل من بيت المال سبعين حملاً من الذهب والفضة والعين من مال الخمس فردها الى بني هاشم وسلمها الى مُحَمَّد بن علي بن الحسين وعبد الله بن الحسن فأستغنى بنو هاشم في تلك السنين وحسنت أحوالهم [2].

3–رد فدك

رد عمر فدكا للعلويين بعد أن صودرت منهم وقال في محضر من قريش ووجوه الناس :– (أن فدكاً كانت بيد رسول الله " ص" فكان يضعها حيث أراه الله ، ثم وليها أبو بكر ثم عمر ثم أقطعها عثمان لمروان ثم أنها صارت الي وأني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله (ص) .

لما أفضت إليه الخلافة أخرج بمحضر من الناس سجلات عبد الملك بكثير من الاملاك وقال : (هذه كتبت من غير أصل شرعي ، فأنا أعيدها الى بيت المال) ثم مزقها لمحضرهم وبدأ بأملاك أبيه عبد العزيز [3].

وفاته

تذكر المصادر التاريخية أنه سقي السم من قبل الأمويين لأنهم علموا أنه أن امتدت أيامه فسوف يخرج الامر منهم (الامويين) وتوفي في دير سمعان من أعمال حمص يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة(101) هجري وله تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر[4].

خلافة يزيد بن عبد الملك (101–105هجري / 720–724م)

وليَ يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة(101) هجري، وأقام أربعين يوماً يسير بين الناس بسياسة عمر بن عبد العزيز فشقَّ ذلك على بني أمية فأتوه بأربعين شيخاً فشهدوا بأنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب ثم عدلَ عن سياسة عمر [5].

---

(1) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج7 ، ص102.

(2)الطبرسي ، اعلام الورى ، ص33.

(3) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص53.

(4) الطبرسي ، أعلام الورى ، ص93 ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص315.

(5) أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص215.

وفي أيامه أعلن (شوذب الخارجي) الحرب على الامويين وهزمهم في عدّة وقعات حتى أرسل إليه مسلمة بن عبد الملك الذي ولاّه الكوفة فدارت مع شوذب عدّة معارك ودارت الدائرة عليه ومن معه من الخوارج ولم يفلت منهم إلا القليل[1].

وخرج يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة بعدما فرَّ من سجن عمر بن عبد العزيز وسار الى البصرة وأسّر واليها، وثم واصل السير الى الكوفة فانضمّ إليه الأزد فعظُمَ أمره واشتدّت شوكتهُ فبعث إليه أخاهُ مسلمة بن عبد الملك وأبن أخيه العباس بن الوليد في جيش عظيم، ولما ألتقى الجيشان أقتتلوا قتالاً شديداً فهرب أصحاب يزيد وتخلّوا عنه فقُتِلَ في المعركة وذلك في سنة (102) هجري في الثاني عشر من شهر صفر. وهلك سنة (105) هجري ، فتولى الملك بعدهُ هشام بن عبد الملك[2].

خلافة هشام بن عبد الملك (105-125 هجري / 724-743):

وليَ هشام الخلافة في شهر شعبان سنة (105) هجري، وبقي فيها الى أن توفيَ بالرصافة من أرض قنسرين في شهر ربيع الآخر سنة (125) هجري بعد أن مكث في الخلافة تسع عشر سنة وسبعة أشهر وأياماً. [3]

ومن إصلاحاته اهتمامه بتعمير الارض وتقوية الثغور وحفر القنوات والبرك في طريق مكة، ومن اعماله: عزل اخاهُ مسلمة عن العراق وولاها خالد بن عبد الله القسري فتولى هذا أخاه أسد على خراسان سنة (107) هجري، وفي نفس السنة ولىّ هشام أخاه مسلمة على أذربيجان وأرمينية وولي على أفريقية عبيد بن عبد الرحمن القيسي[4].

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125-126 هجري/743-744م):

- ✓ وذات يوم وجّه مهندساً ليبني لهُ بيتاً على البيت الحرام بمكة وقال لمن حاصره يوم مقتلهِ:(ألم أرفع المؤن عنكم، ألم أعط فقراءكم، ألم أزد في أعطياتكم؟ فقالوا:(إنا ما ننقم عليك في انفسنا إنما ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله من شرب الخمر...). [5].

مقتل الوليد بن يزيد:

وفي سنة (126) هجري ثار بني أمية وانصارهم على الوليد وبايعوا أبن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأحيط به في قصره بتدمر فأخذ المصحف وقال: أُقتل كما قتل أبن عمي عثمان ونادى المنادي:(أقتلوا اللوطي قتلة قوم لوط) فقتِل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة (126) هجري واحتز رأسه ونصبه يزيد بن الوليد على رمح طويل على درج مسجد دمشق، ثم امر فطيف به في دمشق، وبايع الناس يزيد في الأول من رجب سنة (126) هجري[6].

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة (126 هجري/744م):

1-الوضع السياسي

---

(1) المصدر نفسه ، ج8 ، ص216.

(2) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج6 ، ص115.

(3) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج3 ، ص115.

(4)اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص111.

(5)السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص288.

(6) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج7 ، ص299.

لم يمكث بالخلافة سوى خمسة أشهر فقط وحدوث فوضى سياسية لم تشهد من قبل، فبعد أن بايع أخيه ابراهيم بن الوليد بولاية العهد وجهه الى الأردن الذي استقل عن دمشق بعدما بايع الناي عم يزيد (مُحَمَّد بن عبد الملك) ، فاستطاع إبراهيم أن يميل جند مُحَمَّد إليه فتفرقوا عنه، ثم خرج بالأردن ايضاً على يزيد أخوه عمر بن الوليد، وفي قنسرين أخوه الآخر بشر بن الوليد، وفي حمص أخوه الآخر العباس بن الوليد وتل أهل مصر عاملهم حفص بن الوليد الحضرمي، وأخرج أهل المدينة عاملهم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، فاضطربت البلدان وعمّتها الفتن.

وفي شعبان من سنة (126) هجري خرج سعيد بن بهدل النمري بالجزيرة في العراق فسيطر على كور الموصل وشهرزور ولقّب نفسه بأمير المؤمنين وأستقل مروان بن مُحَمَّد بن مروان بن الحكم الذي كان والياً على أرمينية بالحكم وبايعه الناس هناك[1].

وكان يزيد بن الوليد أحول، يظهر التنسك، وقد سمي بالناقص لأنه نقص أرزاق الجند وخاصة جند الحجاز وكان يميل الى تعاليم المعتزلة في الاصول الخمسة: التوحيد والعدل والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف عن المنكر[2].

وفي العشرين من ذي الحجة سنة (126) هجري مات يزيد بن الوليد وقيل إن أخاه ابراهيم سمّه، ودفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير[3].

وبويع لأخيه ابراهيم بيعة لم تأت بطائل، فكان الناس يسلمون عليه بالخلافة وناس بالإمارة وناس لا يسلمون عليه بواحدة منهم ولم يلبث مروان بن مُحَمَّد أن سار إليه وخلعه ولم يمكث في الخلافة سوى شهرين حيث بويع لمروان في شهر صفر سنة (127) هجري[4].

هذا هو الوضع السياسي الذي عاشه الامام الصادق (عليه السلام) وكيف كان ملبّداً بغيوم كثيفة لا تنتهي حتى سقطت الدولة الاموية، ولنأتي على الجانب الثاني الذي يُعد من أبرز ملاحم عصر الامام (عليه السلام) وهو:

أما أبرز الاتجاهات الفكرية فهي:

1. الجبرية:

عقيدة الجبر تعني (نفي العقل حقيقة عن العبد وإضافته الى الرب تعالى فكل ما يصدر من العبد من خير أو شر ينسب الى الله سبحانه وأن الانسان مسير وغير مُخير بل نسير بإرادة الله ومشيئته فإذا أشار أن أصلي صلينا وإذا شاء أن نشبر الخمر شربنا)، واستدلوا بآيات قرآنية منها قوله تعالى: { وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ } سورة الإنسان/30، وقوله تعالى: { فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً } سورة الأنعام/125[5].

وبهذه العقيدة يكون الانسان مسلوب الإرادة يسمح لنفسه بارتكاب الجرائم والمعاصي واقتراف الذنوب والكبائر لأن الله سبحانه وحاشاه أمره بذلك، وبهذا لا يكون للإنسان كسب ولا إرادة ولا اختيار ولا تصرف فيما وهبه الله من نعمة العقل فكيف يطمع في ثواب أو خوف من عقاب.

---

(1) المصدر نفسه ، ص300.

(2) أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص112.

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص235.

(4) المصدر نفسه ، ص240.

(5) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص38.

2. الزندقة:

لا نستغرب من نشوء هذه الفكرة الالحادية في عالم التوحيد الخالص المناقضة للفكر الاسلامي لهذا نشاهد رأس الزنادقة في وقته (أبن أبي العوجاء) يعقد حلقاته الفكرية لغرض التشكيك في التوحيد في مسجد الرسول إذ كان ينكر أصل الوجود، أما (الجعد بن درهم) فكان ممعناً في الفكر ومبتدعاً ومتفانياً في الزندقة وكان معين الالحاد[1].

3. الغلّو:

تعتبر حركة الغلاة من اخطر الحركات هدماً وضرراً للمجتمع الاسلامي لأنها حركة سياسية استهدفت ضرب الاسلام من الداخل، والعجيب من هذه الحركة أنها ظهرت على المسرح السياسي ثم اختفت بسرعة، ومن دعاتها كأبي الخطاب، وبشار الشعيري والمغيرة بن سعيد وغيرهم، وكان من أبرز دعاتها أبي الخطاب[2].

اما اعتقاد الغلاة: فإنهم يعتقدون أن الظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمرٌ لا ينكره عاقل اما في جانب الخير كظهور جبرائيل(عليه السلام) ببعض الاشخاص أو التصور بصورة أعرابي والتمثّل بصورة البشر، أو في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانهِ، وكذلك يقال أن الله سبحانه وتعالى ظهر بصورة أشخاص ولا يوجد شخص أفضل من علي بن أبي طالب ﷺ بعد الرسول وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) لهذا ظهر الحق تبارك وتعالى بصورتهم ونطق بلسانهم لهذا سمّوا هذه الجماعة اسم الإلهية!!.

ثمَّ زعم أبو الخطاب إن الائمة أنبياء ثم آلهة وقال بإلاهية جعفر الصادق وآبائه الكرام (عليهم السلام) وهم أبناء الله وأحباؤه، وزعم أن جعفراً هو الإله في زمانه!! وليس هو المحسوس الذي يردنه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها!![3]

وذُكِر يوماً أبا الخطاب أمامه فقال (عليه السلام): (على أبي الخطاب لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، فأشهد بالله أنه كافر فاسق مُشرك، وأنه يُحشَر مع فرعون في أشد العذاب غدوّاً وعشياً).[4]

4. الاعتزال:

حينما تطرّف الخوارج والمرجنة في حكم مرتكب الكبيرة بعد تعارض الحديث والتفسير مع العقل، ومن ثم عجزت الثقافة التي جمدت على ظواهر الحديث والقرآن من الاجابة على الاسئلة التي فرضتها حالة الانفتاح على الحضارات الاخرى، من هنا تبلورت أفكار المعتزلة وعندما كثُرت الاستفهامات التي كانت تثيرها الحركات الالحادية في ذلك العصر ظهرت فكرة الاعتزال على يد عمرو أبن عبيد وواصل بن عطاء اللذين كانا تلميذين للحسن البصري التي رفضت الاعتماد على الحديث بشكلٍ مطلق وهاجمت أهل الحديث لتعطيلهم العقل وتكفيرهم كل من يبحث ويناقش. وانتشرت فكرة الاعتزال وزاد عدد معتقيها برعاية ودعم النظام الحاكم لسبب واحد هو:أقرَّ المعتزلة بأن الإمامة والخلافة تتم للمفضول ويجوز تقديمه على الفاضل وبهذا استدلوا على شرعية خلافة الامويين ومن بعدهم العباسيين، لذلك نالوا التأييد المطلق من قبل الامويين وبذلك عملوا على إزالة فكرة تقديس الامام علي ﷺالتي كانت شائعة عند جمهور الناس.

---

(1) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص201.

(2) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص203.

(3) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص48-52.

(4)المصدر نفسه ، ص52.

خلافة مروان بن مُحَمَّد بن مروان آخر خلفاء بني أمية (127–132 هجري/744–749م):

بويع مروان بن مُحَمَّد بالخلافة بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة (127) هجري، وكانت أيامه منذ بويع الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر، ولما وليَ الخلافة ثارت الفتن والقلاقل وكانت أيامه أيام فتن وهرج ومرج، ولم تطل ايامه حتى هزمته الجيوش العباسية وتبعته الى بلاد مصر، فقُتِل بقرية أسمها(بوصير) من قرى الصعيد سنة (132) هجري[1].

(1) الطبري ، تاريخ الملوك ، ج6 ، ص201-205.

المحاضرة الثالث: عشر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية.

عناصر المجتمع

وبعد ان اتم العرب المسلمون فتح العراق وبلاد الشام ومصر في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، تقرر انشاء قواعد تستقر فيها الجيوش، وتقوم منها بالفتوح، ويقيم فيها الولاة المسؤولين عن ادارة الجيوش العربية والاقاليم المفتوحة، وقد اشترط عمر فيها ان لايكون بينها وبين جزيرة العرب حاجز مائي يفصلها عن الجزيرة وان تكون على طرف الصحراء، بينها وبين الريف، وان يكون مناخها ملائما للعرب.

وكانت هذه المراكز تسمى الامصار ،وهي المدينة المنورة في الحجاز، وجواثا في البحرين، والجابية في الشام، والبصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر ويلاحظ ان كلا من المدينة وجواثا والجابية كانت قائمة قبل الاسلام، اما الثلاثة الاخرى فقد انشاها المسلمون، وكان كل منها بقرب مركز قد يم فالبصرة انشئت قرب الابلة والكوفة قرب الحيرة، والفسطاط قرب حصن بابليون وهيلوبوليس[1].

وفي خلافة عثمان الغيت قاعدة جواثا، واتخذت البصرة قاعدة اساسية لفتوح الاقاليم الواقعة في جنوبي هضبة ايران وفي خراسان كما ان تعرض بلاد الشام الى تهديدات الروم من الشمال والغرب اخطرهم الى الغاء قاعدة الجابية والى توزيع القوات الاسلامية على لون الساحلي وفي اجناد بلاد الشام وهي الاردن وفلسطين ودمشق وحمص، ثم قنسرين وفي اوائل العصر الاموي انشاء العرب قاعدة لهم في القيروان في شمال افريقية كما حصروا في المشرق قزوين واردبين والري، وكذلك مرو في خراسان، ومصر وبعد ذلك بلخ، وبخارا واقاموا حاميات دائمية في مدن متعددة[2].

تتميز عن المدن الاعجمية، كما ان توزيع العطاء على سكانها وما يتطلبة من تنظيمات خاصة وما يؤدي اليه من نتائج اقتصادية، جعلها تتميز عن بقية المدن العربية الأخرى.

كانت هذه الامصار مراكز الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في القرن الاول الهجري، بحيث يمكن القول ان التاريخ المدون لهذا القرن هو تاريخ هذه الامصار التي جرت فيها معظم الاحداث السياسية التي دونتها الكتب التاريخية ثم ان القاعدة التي سار عليها العرب بصرف واردات الاقاليم على مقاتلة المصر الذين قاموا بفتح هذا الاقليم، ادى الى ان ترد كل مصر مبالغ كبيرة من النقود سنويا لتوزع بين سكانها، وكذلك بدأت النقود تتراكم في هذه الامصار وازداد دخل الفرد وقدرته الشرائية، وارتفع مستوى المعيشة، ونشطت الحياة الاقتصادية بمختلف مظاهرها[3].

ثم ان استقرار العرب في هذه الامصار، وتامين العطاء لأسباب حياتهم المادية الاساسية، وتوفر اوقات الفراغ لديهم، جعلهم يتابعون اهتمامهم القديمة بالمناقشات السياسية والادبية التي اخذت تزدهر، ونشطت بجانبها بحوث في عدد من المواضيع الاخرى وخاصة الفقه ثم الحديث والقران، وكان لصلة هذه الامصار بعرب الجزيرة اثر في ازدهار الدراسات اللغوية والادبية في هذه الامصار وخاصة في الكوفة والبصرة وذلك بحكم قربهما من الصحراء وصلتها الوثيقة بالعرب المقيمين في الصحراء والذين يختار كثير منهم حاجاته منها، وقد قوت هذه الصلة الوثيقة بين هذه الامصار وسكان الجزيرة، من خلال الحكم بالمثل البدوية وافكارها وخاصة في الاخلاق والآداب، فكانوا يمجدون الكرم والسخاء والشجاعة والنجدة، وكذلك

(1) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج2 ، ص233.

(2) د. لبيد أبراهيم ، الخلافة الراشدة ، ص43.

(3) البلاذري ، فتوح البلدان ، 42.

الشعر الذي يمكن اعتباره بأساس مخيلته وافكاره امتدادا للشعر الجاهلي. وقد ادى نمو الثقافة للثقافة الى نمو اعتقاد بين الناس ان مظاهر هذه الثقافة وقيمها تمثل الثقافة العربية، وان التهجم عليها يعتبر تهجماً على العروبة[1].

وبجانب ازدهار الحياة الاقتصادية ونموها، ظهرت المشاكل والقضايا التي ادت دراستها الى نمو الفقة والى ظهور عدد من الفقهاء الذين اهتموا بالقضايا والمشاكل التي كان يواجهها المجتمع في امصارهم وقدموا لها الحلول والاجابات ومع انهم اتخذوا القران والحديث اساساً لدراساتهم الا انهم في الامور الكثيرة التي استجدت بعد توسع الدولة وخاصة في ميادين الحياة الاقتصادية، راعوا الاعراف السائدة والتقاليد المتبعة فاقروا بها مادامت لاتعارض مبادئ الاسلام وقد سجلت البحوث الفقهية منذ القرن الثاني للهجرة في كتب واضحة كالموطا والمدونة لمالك، وكتب الشيباني، وجعفر الصادق، وصارت هذه الكتب الواسعة اساس المذاهب والدراسات الفقهية الدولية، ولايزال عدد كبير من الناس يرى ان السبيل التوحيد لإصلاح الاوضاع القائمة هو تطبيق ماجاء في هذه الكتب التي تعكس كثيرا من اوضاع الامصار الاسلامية في القرن الاول والثاني، اي انهم يرون ضمنيا ان نظم الامصار الاسلامية هي الصورة المثالية للمجتمع الاسلامي السليم[2].

ويقيم افراد كل عشيرة في منطقة محصورة في المدينة تدعى خطة وتسمى باسم العشيرة،ولافراد العشيرة الافضلية في اخذ ارض كل فرد يغادر خطة عشريته، ويسمى هذا حق العشيرة، وهكذا فان خطة كل عشيرة تبقى محصورة بافرادها سواء زاد عددهم او تناقص.

ويشترك افراد العشيرة الواحدة في بعض الحقوق والواجبات، منهم يساهمون جميعا في دفع دية القتل الخطأ الذي يرتكبة احد افراد العشرية او مواليها بصرف النظر عن علاقاتهم بالقاتل او المقتول او الجريمة كما انهم يشتركون في وراثة من يموت ولا وارث له من افراد العشيرة.

وكان على كل عشيرة فريق مسؤول عن الامن والنظام في العشيرة فعلى العريف مراقبة المشاغبين ومثيري القلاقل والفتن واخبار الحكومة عنهم، وكانت الدولة تعتبر كل عشيرة مسؤولة عن حفظ النظام ومنع شغب المشاغبين فيها، والا فانها تعاقب العشيرة كلها[3].

غير ان استقرار العرب في الامصار ادى تدريجيا الى ضعف الروابط القبلية وروح العصبية وقد ساعد على هذا الاضعاف عدة عوامل منها:

1- **ازدياد سلطة الولاة**: فالوالي يمثل الخليفة فهو يمثل السلطة العليا وسلطانه فوق سلطان العشائر، وهو المسؤول عن اعداد الحملات العسكرية والقيام بالفتوحات وكان الوالي يقوم بقيادة الحملات بنفسه ولكنة احيانا يختار لقيادة الحملات رجالا يختارهم بنفسه كما انه هو الذي يختار ولاة الاقاليم والمدن التابعة للمصر، ولما كانت المناصب تدر على من يشغلها جاها وارباحا، فان كثيرا من الناس ابد يتقربون الى الولاة للحصول على هذه المناصب وبذلك انفصلوا تدريجيا من عشائرهم والتفوا حول الامير وزادوا من قوته.

(1)احمد ابراهيم الشريف ، الحياة السياسية ص31.

(2) احمد ابراهيم الشريف، الحياة السياسية ، ص33-35.

(3)هاشم يحي الملاح ، الوسيط في تاريخ الخلافة الراشدة ، ص132.

وللوالي مكانة خاصة باعتباره ممثلا للخليفة الذي يعترف الجميع بمكانته المتميزة في الدولة على الناس، وكان الامير ايضا يرعى المصالح العامة للمجتمع ككل وليس مجرد مصلحة عشيرة واحدة، وكان ايضا يحفظ التوزان بين العشائر.

ثم ان الوالي كان مسؤولا عن الادارة العامة في المصر وما يرتبط بها من المدن والاقاليم فله سلطات واسعة على منطقة واسعة كما انه كانت تتبعة الدواوين الذين كان الموظفون العاملون فيها ياخذون من الدولة رواتب وينفذون اوامر الوالي، وكان اكثر هؤلاء الموظفين من الاعاجم وليست لهم عشائر تسندهم، فكام من مصلحتهم الالتفاف حول الامير واطاعته وقد ساعد هذا على تثبيت سلطة الوالي.

ثم ان بعض الامراء كانت لهم ثروات واسعة واموال عظيمة تحت تصرفهم وقد ساعدت على توسيع نفوذهم وتقوية مركزهم وتثبيت مكانتهم الشخصية.

2- تكون روابط جديدة بين السكان قائمة على اسس غير عصبية الدم فان استقرار العرب في المصر واستتباب الامن والسلام ادى الى اختلاط الناس من مختلف العشائر، وحدوث التزاوج من العشائر المختلفة، وبذلك نشا جيل كان كثير من افراده يرتبطون بعشيرة ابيهم التي تختلف عن عشيرة امهم، فزاد من ارتباط العشائر ببعضها ولم يعد الارتباط بالعشيرة خالصا[1].

ثم ان السكان في كل مصر ازداد عددهم لدرجة لم يعد يكفي معه دخل المدينة لسد تكاليف العطاء لجميع السكان الامر الذي ادى الى زيادة عدد من لم يكن من اهل العطاء فاصبحوا خارج سيطرة العشيرة، ولابد انهم اخذوا ينظرون بعين الحسد الى من كان ياخذ العطاء، وكان لابد ان يؤدي ذلك الى تفكك العشيرة.[2]

3- ثم ان ازدهار الحياة الاقتصادية ونشاط التجارة واعمال السوق والارباح التي تدرها وحياة الطمأنينة التي توفرها، جلبت كثيرا من العرب الى المساهمة فيها وقد ادت الاعمال التجارية بالمشتغلين بها الى تكوين علاقات بين اناس من عشائر مختلفة، ومن المعلوم ان العلاقات التي تربط رجال الاعمال ببعضهم قد تكون اقوى من الروابط بين الاقارب وهكذا فان المصالح الفردية المتزايدة ومسؤولياتها ادت بالكثيرين الى ان يستقلوا تدريجيا عن عشائرهم.

4- ومن العوامل التي ادت الى اضعاف الروابط القبلية هو الدين الاسلامي الذي يدعوا الى الاخوة والمساواة بين معتنقية والى التفاضيل بالتقوى، بصرف النظر عن اصلهم او جنسهم. لقد اوجد الاسلام روابط جديد واسعة تربط بين من يدينون به واخذ يؤثر على نظرات الناس الاجتماعية، وكان اوضح تاثيرا في اواساط المتدينين، وفي الفرق الكثيرة التي ظهرت وكانت كل منها تجمع اناسا من مختلف العشائر والاجناس احيانا، فقد كونت هذه الفرق روابط فكرية وعقلية، وساعد انتمائهم الى هذه الاحزاب ومساهمتهم في نشاطها الى زيادة تماسكهم مع افراد فرقتهم او حزبهم والى ضعف صلتهم بشعيرتهم.[3]

التنظيمات الأقتصادية

الثروة الزراعية

---

(1) ينظر ، (

فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص181.

(2) ثابت اسماعيل الراوي ، الدولة العباسية ، ص211.

(3) عبد العزيز الدوري ، النظم الادارية ، ص83.

ان دراسة الاحوال الزراعية في العالم الاسلامي ابان العصر الاموي أصبحت صعبة ومتشابكة لان الامويين ورثوا دولة واسعة الارجاء على اثر الفتوحات الناجحة التي تمت منذ خلافة الخليفة عمر بن الخطاب(رض) باتجاه المشرق الاسلامي وقبل ذلك في بلاد الشام ولم يقف الامويون عند الحدود التي وصلت اليها الدولة العربية، انما عملوا على توسيعها شرقاً وغربا حتى وصلت حدودها الى اواسط اسيا والهند والسند في الشرق والى المغرب العربي والاندلس غربا بما في ذلك جزر البحر المتوسط. من هنا تاتي صعوبة البحث في الجوانب الاقتصادية لاسيما الزراعية ولعدة اسباب منها:

1- التنوع الواضح في الجغرافية الطبيعية لافي العالم الاسلامي بصورة عامة انما في كل جزء منه الى حد كبير، فهناك في الجزيرة العربية مثلا سهول وجبال وصحارى ووديان وحرات، وفي العراق هناك الاراضي المجاورة للانهار من جهة والبراري من الجهة الثانية، وهناك مناطق واسعة من الاهوار(البطائح)، وفي الجزيرة وبلاد الشام هناك جبال وسهول ساحلية مطلة على البحر، وفي مصر والمغرب العربي هناك الجبال والصحارى والسهول، وفي الاجزاء المطلة على الخليج العربي والبحر الاحمر هناك السهول الساحلية والجبال والصحارى وغير ذلك[1].

لقد ادى هذا التنوع في التضاريس الطبيعية الى تنوع في المجالات الزراعية بين اراضي خصبة الى اراضي جرداء الى اراضي جبلية، وبين ارض تتوفر فيها مياه الانهار الى اخرى تعتمد الامطار وثالثة تعتمد مياه العيون والابار.

2- وقد رافق هذه الظروف الطبيعية المتباينة انماط متباينة من المناخ، بين حرارة متطرفة الى برودة شديدة الى اعتدال. ومن مناطق تنعم بأمطار غزيرة الى اخرى تتوفر فيها كميات اقل وثالثة تتصف بعدم وفرة الامطار. وحي الله تعالى بعض اجزاء هذا العالم بانهار كثيرة ومهمة للري والزراعة والتجارة على حد سواء، بينما عانى اهالي الصحاري في الجزيرة العربية والمغرب العربي من ندرة مياه الامطار، فأصبحت اراضيهم جرداء الا من بعض النباتات البرية، لكن الله انعم على بعض هذه المناطق الجرداء بنعمة الابار والعيون التي استثمرها العقل البشري العربي في العصور الاسلامية في مجال الزراعة[2].

3- والاكثر اهمية ان هذا التنوع التضاريسي في الارض والمناخ والمياه قد ادى الى تنوع في النظرة الادارية والمالية لمسؤولي الدولة العربية بدءا برسول الله(ص) ومرورا بالخلفاء الراشدين(رض) واولي الامر بضمنهم الولاة والاداريون ازاء الاراضي التي فتحت واصبحت ضمن حدود الدولة العربية الاسلامية[3].

اذ ليس واقعيا ان تكون معالجة الخلفاء والمسؤولين الاداريين للأراضي التي نعمت بوفرة المياه وخصوبة التربة ادارياً ومالياً بمثل الطريقة التي عولجت فيها الاراضي التي اعتمدت الابار والعيون. لذلك يمكن القول ان السياسة المالية العربية ابان الخلافة الراشدة والاموية كانت سياسة واقعية ومتطورة الى درجة كبيرة. اذ وقفت اراء رسول الله(ص) وممارساته العملية المالية ازاء اراضي خبير وفدك والطائف سنة حسنة ومتطورة.

قال اهل خبير للرسول(ص):(ان لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً فاقرنا) فأقرهم رسول الله(ص) وعاملهم على الشطر من الثمر والحب)[4]، فكان عبدالله بن رواحة ياتيهم في كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر)[5].

---

(1) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج3 ، ص111.

(2)عبد العزيز الدوري ، النظم الادارية ، ص119.

(3)عبد العزيز الدوري ، النظم الادارية ، ص195.

(4)البلاذري، فتوح البلدان، ص36.

(5)م.ن. ص37.

وعندما صالح رسول الله(ص) اهالي فدك صالحهم على نصف ارضهم ونخلهم فلما اجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بعث من اقام لهم حظهم من النخل والارض فادا اليهم نصف ارضهم ونخلهم[1].وان عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان صالح اهل زويلة وبرقة على ان يؤخذ العشر ونصف العشر من ارض المسلمين ومن اهل الصلح صلحهم[2].

ويذكر ابو يوسف ان الخليفة عمر (رض) قد فرض على الكروم عشرة دراهم وعلى الرطب خمسة وعل كل ارض يبلغها ماء عملت ام لم تعمل درهما ومختوما، وعلى ما سقت السماء من النخل العشر، وعلى ما سقي بالدلو نصف العشر، وما كان من نخل عملت ارضه فليس عليها شيء[3].

صحيح ان سياسة التوسع في اقطاع الاراضي او تملكها من قبل الخلفاء الامويين وافراد اسرتهم والاشخاص المقطعين قد ادت بمرور الزمن الى تنامي الملكية الفردية وبالتالي تكوين طبقة ملاكين عربية كبيرة، غير انها من جانب اخر ادت الى نهضة زراعية متميزة، اذ اورد اليعقوبي مثلا ان واردات معاوية بلغت 1.880,000 دينار[4].

وبلغ خراج بلاد الشام ايام خلافة عبد الملك بن مروان نسبة عالية ايضا، فكان خراج دمشق اربعمائة الف دينار وخراج فلسطين ثلثمائة وخمسون الف، والاردن مائة وثمانون الفا وحمص وقنسرين سبعمائة الف او ثمانمائة الف[5].

علاوة على ذلك فان السياسة المالية– الاقتصادية الجديدة التي اتبعها الخلفاء الامويين كانت متاثرة بطبيعة المرحلة السياسية والاقتصادية، ذا دانت للدولة الاموية اجزاء واسعة من المشرق (حدود الصين، اواسط اسيا الصغرى والسند والهند) وفتحت في ايامهم اجزاء واسعة من المغرب العربي (جبال البرتات– البرنس– غربا والى بلاد البجه "السودان جنوبا" وعبرت قواتهم البحر المتوسط لتنقل عمليات الامويين العسكرية الى اوربا، ففتحت الاندلس وتوغلت القوات العربية شمالا وتكللت جميع العمليات بنجاحات عسكرية باهرة، ولولا مالحق الغافقي من خسائر في معركة بلاط الشهداء لكانت حدود الدولة الاموية قد وصلت الى مناطق كثيرة في اوربا.

وقد جلبت هذه الانتصارات العسكرية متغيرات اقتصادية اهمها ظهور انماط انتاجية لم تكن شائعة في الفترات السابقة ونقصد بها التوسع في الانتاج الزراعي مما يدخل في اطار الصادرات التجارية الى المناطق المختلفة، والتوسع في المجال التجاري والصناعي، وظهور الاهتمام الكبير في تسهيل ،عمليات البيع والشراء عن طريق التبادل النقدي بدلا من المقايضة والاكثر اهمية التوسع في نفقات الدولة السياسية والعمرانية.

ان كل هذه العوامل وغيرها جعلت من سياسة الامويين الزراعية ازاء الاراضي تواجه بعض التحديات ومن اهمها بل من الناحية الدينية– الفقهية في اخطرها شيوع ظاهرة انتقال الاراضي الخراجية الى عشرية، وظهور الملكيات الفردية الواسعة واتساع املاك الخلفاء وعوائلهم والافراد الاخرين.

فمن الملاحظ ان هذه الظاهرة صارت ظاهرة عامة في المجتمع العربي الاسلامي فانشغل ممن يعرف كيفية استثمار اموالهم استثمارا مربحا بامتلاك الاراضي او تعميرها او استثمارها علما بانه كان امتلاكهم اياها اما عن طريق الشراء او الاقطاع.

---

(1)البلاذري، فتوح البلدان، ص168.

(2)م.ن، ص226.

(3)ابو يوسف، الخراج، ص37.

(4)اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص233.

(5)ابن حوقل صورة الارض، ص162، البلاذري، فتوح، ص163.

وهناك مساحات واسعة من الاراضي في الفرات قد اسلم اهلها عليها عند دخول العرب المسلمين اثناء التحرير، واراضي اخرى خرجت من ايدي اهلها الى جمع من المسلمين اما عن طريق الهبات او الاقطاع او غير ذلك من الاسباب فتحولت من اراضي خراجية الى عشرية[1] وهي ظاهرة لم تكن موجودة قبل هذه الفترة على اساس ان الاراضي الخراجية تبقى كذلك وان امتلكها مسلم، فقد جاء رجل الى الخليفة عمر(رض) قائلا له:(اني قد اسلمت فارفع عن ارضي الخراج، قال: ان ارضك اخذت عنوة)[2].

ان هذه الظاهرة الجديدة قد جلبت نتائج سياسية واقتصادية خطيرة كان من ابرزها موقف الحجاج الثقفي، والي العراق، من شيوع تحويل الاراضي الخراجية الى عشرية ما وجد فيها من مشكلة تؤدي الى سلبيات اقتصادية بالنسبة الى خزينة الدولة فقرر اعادة فرض ضريبة الخراج على الاراضي المحولة مهما كان مالكها مسلما ام غير ذلك، معتمدا في اجرائه هذا على اساس ان هذه الاراضي هي ملك للدولة وأن الخراج عليها هو بمثابة ايجار ولا يحق اسقاطه وبذلك حد من عملية تحويل الاراضي الخراجية الى عشرية، وطبق هذا الاجراء على اراضي الفرات[3].

اما الظاهرة الاخرى الجديدة فهي شيوع الالجاء، والمراد بالالجاء لغويا ان يكتب الشخص ارضه باسم امير يتمتع بقوة سياسية وادارية بمعنى ان يلجأ ارضة اليه بهدف حمايتها وقد انتفع الخلفاء والامراء والمتنفذين من هذه العملية كثيرا، اذ ان هذا سيتولى بكل ما يتعلق من النواحي المالية للارض التي الجات اليه حتى يصبح وكانة مالكها الحقيقي وهو الذي يقوم بدفع ضريبة الخراج عوضا عن مالكها الاصلي مثلما حدث في اراضي بقرية بمراغة في اذربيجان التي الجا اهلها اراضي القرى الى مروان بن مُحَمَّد بن مروان بن الحكم فاتحها وكتبوها باسمه وصاروا مزارعين عليها[4].

وكذلك ما ذكره البلاذري ايضا بالنسبة لاراضي من طساسيج متصلة في قرى البطائح التي الجات الى مسلمة بن عبد الملك وتالف الاكرة والمزارعين فيها وعمر اراضيها والجا الناس الى تلك الاراضي التي اقطعت له ايام ولاية الحجاج الثقفي على العراق، يقول البلاذري[5](والجا الناس اليها- اراضي مسلمة في البطائح- ضياعا كثيرة للتعزز به)[6] وكما هو الحال في اراضي مدينة بالس الواقعة بين حلب والرقة فان اراضيها والقرى المنسوبة اليها كان اعذاء عشرية فلما توجه اليهم مسلمة بن عبد الملك قاصدا الروم جاءه اهلها واهالي بويلس وقاصرين وعابدين وصفين وهي قرى تابعة الى بالس وطلبوا منه ان يحفر لهم نهرا لسقي اراضي قراهم وان يجعلوا له ثلث انتاج غلاتهم بعد ان يدفعوا عشر المفروض عليهم وبقي الامر كذلك الى ان مات مسلمة فتحولت بالس وقراها لورثته[7].

وواقع هذه الظاهرة انها قد ادت الى تضاؤل امكانيات الفلاحين والملاكين الصغار بالجاء اراضيهم حماية من الضرائب الى الملكيات الكبيرة فساعد على تنامي هذه الملكيات وبالتالي الى تحويل الاراضي الخراجية الى عشرية.

---

(1)البلاذري، فتوح البلدان ص361.

(2)المصدر نفسه. ص268.

(3)المصدر نفسه. ص361.

(4)البلاذري، فتوح البلدان ،. ص361.

(5)البلاذري، فتوح، ص325، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص93.

(6)البلاذري، فتوح، ص292.

(7)المصدر نفسه ، ص52؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص328.

والايغار هي الظاهرة الاخرى التي ظهرت ابان العصر الاموي، وهي من الظواهر الاقتصادية التي نتجت عن سوء تصرف جباة الخراج. فالايغار لغة ان يوغر الملك الارض لرجل فتصبح له دون ان يدفع عنها الخراج، او ان يؤدي الخراج الى السلطان فقد اقطع عبد الملك بن مروان عم القعقاع واسمه العباس ابن الحارث قطائع او غرها له الى اليمن فاوغرت بعدة وكانت اكثر هذه القطاع عبارة عن اراضي موات[1] وقد ادى هذه الصنف من الاقطاعات الى ان يخرج الكثير من الاراضي الزراعية الجيدة من دائرة الاراضي الخراجية لتصبح اراضي عشرية او اراضي الصوافي في الوقت الذي ادت الى توسيع ملكيات اصحاب الجاه والنفوذ.

لقد حاول الخليفة عمر بن عبد العزيز ان يوقف عمليات بيع الاراضي او ايغارها فاصدر امرا عاما منع فيه بيع الاراضي الخراجية وذلك حماية لبيت مال المسلمين وللحد من تنامي الملكيات الفردية الكبيرة[2]. ويبدو انه نجح الى درجة كبيرة في ايقاف تيار الملكيات الفردية الواسعة غير ان الحالة سرعان ماعادت لتتفشى بشكل اوسع ويظهر هذا بوضوح خلال الملاحظات التي ابداها يزيد بن الوليد سنة 126هـ/742م اذ قال(ايها الناس ان لكم على الا اضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا اكري نهراً)[3].

بمعنى انه هدف الى تطمين اولئك المتذمرين من توسع الملكيات الفردية واقتناء الاراضي بصورة كبيرة من قبل الخلفاء الامويين وامرائهم لاسيما اثناء فترة خلافة هشام بن عبد الملك. فقد اشتهر كل من مسلمة بن عبد الملك وهشام بتملك الضياع الكثيرة والاراضي الواسعة فكانت له ارض بقرس وقرى وضياع في شمال سوريا مثل الاسكندرونه وعين السلور وبحيرتها، في الوقت الذي احيا فيه هشام اراضي واسعة من الرصافة وحفر نهري الهني والمري ليوصل مياه الري لسقي تلك الاراضي[4].

كذلك لجا الامويون الى مظهرا اخر حمل ابعادا ونتائج اقتصادية كبيرة الا وهو اقطاع الاراضي وقد ساهم الخلفاء والامراء بتوزيع الاراضي الزراعية والضياع العامرة على شكل اقطاعات والاقطاع كما اورده قدامة بن جعفر يعني (ان يدفع الائمة الى من يرون ان يدفعون اليه شيئا مما ذكرنا- اي الاراضي- فيملك المدفوع ذلك اليه رقبته بحق الاقطاع ويجبي عليه العشر)[5] فاقطع الخلفاء الامويون منذ زمن معاوية بن ابي سفيان في بلاد الشام والعراق والجزيرة الفراتية واليمن والمشرق الى الولاة والقادة والعمال.

وللمقاتلة نصيب في اقتناء الاراضي الزراعية، حيث تذكر الروايات ان الامويين بادروا الى توزيعها عليهم بهدف توطينهم وتشيجعهم على الاستقرار، اذ يور الطبري ان الحجاج الثقفي كتب الى عبد الرحمن بن الاشعث اثناء مسيرته لقتال زنبيل ملك الترك(اما بعد فمر من معك من المسلمين فليحرثوا ويقيموا فانها ديارهم حتى يفتحها الله عليهم)[6] كما اقطع الوليد

(1)البلاذري، فتوح، ص152.

(2)الدوري، العرب والارض، ص5.

(3)الطبري، تاريخ، ج7،ص262.

(4)البلاذري، فتوح، ص153.

(5)قدامه بن جعفر، نبذة من الخراج، ص124.

(6)الطبري، تاريخ، ج8، ص80.

بن عبد الملك المقاتلة الذين كانوا معسكرين في انطاكية ارض سلوقية الواقعة على الساحل وشجعهم على تعميرها وزرعها[1] وكذا فعل الامويون في انطاكية وطرسوس ومرقية وبانياس[2].

اما الخليفة عبد الملك فقد اقطع قوما من المرابطة اراضي بعسقلان وحينما تم فتح الطرطوس ومرقبة وبلبيناس وجلا عنها اهلها اقطع اراضي فيها للمقاتلة[3] كذلك الحال عندما ترك اهالي بالس وقاصرين وعابدين وبوبلس وصفين قرأهم اقطع ابو عبيدة تلك الاراضي الى جماعة من المقاتلة[4].

وادخل الامويون مظهرا رابعا من مظاهر التطور الاقتصادي في مجال الزراعة الا وهو القبالة او التقبل الذي يعد بمثابة الكفالة او الضمان. وتوضيح القبالة ان يجعل المرء لنفسه وكيلا(قبلا) يحصل باسمة الخراج وياخذه لنفسه لقاء اجر محدود يدفع له. وفي الغالب يكون هذا القبيل او الكفيل من اصحاب النفوذ السياسي والادراي لهذا السبب عد بعض الصحابة والفقهاء هذا الاسلوب بانه حرام وكرهوه فقد ذكر ان ابن عباس قال: القبالات حرام الاموال[5] وذكر ان ابن عمر قال: ان القبالات ربا[6].

واعتمادا على عدد من الاستشهادات فان عدداً من الخلفاء الامويين قد مارس هذا الاسلوب الاقتصادي، اذ اورد الجشياري: ان ابا المثنى مروخ كان يتقبل لهشام بن عبد الملك اراضية وكان هشام يستفيد بذلك تعجيل الحصول على الاموال بينما يكسب ابو الثمنى(المتقبل) الفرق بين ما يدفعه الى هشام وبين ما يحصلة فعلا من القبالة[7].

انجازات الامويين في مجال الزراعة

ومع ما في تلك المظاهر الجديدة التي استحدثت ايام الخلافة الاموية من نتائج سلبية ادت بمرور الزمن الى ان تتحول الكثير من الاراضي الخراجية الى اراضي عشرية وكذلك تنامي الممتلكات الزراعية والاراضي الزراعية لبعض الافراد على حساب الملاكيين الصغار فانها- اي هذه المظاهر- تؤكد بوضوح على مدى اهتمام الامويين، خلفاء وامراء، المتزايد بالشؤون الزراعية وفي تنمية الموارد القائمة على هذا النمط من الانتاج وفي التاريخ ادلة عديدة تبين بجلاء هذا التوجه والاهتمام بالزراعة وشؤون الارض.

لقد شجع الخلفاء الامويين على توسيع رقعة الاراضي الزراعية المنتجة في اجزاء مختلفة من العالم الاسلامي وتمثل هذا التشجيع بأوجه متعددة. أهمها

1-العناية بحفر الانهار:

ففي غوطة دمشق مثلا حفر يزيد بن معاوية قناة عرفت باسم نهر يزيد محاولة في اصلاح عملية الري في هذه المنطقة الزراعية المشهورة من بلاد الشام.

---

(1)البلاذري، فتوح ، ص153.

(2)المصدر نفسه، ص148، 150، 153، 154.

(3)المصدر نفسه ،. ص139، 150.

(4)المصدر نفسه ، ص138/ 156.

(5)ابو عبيد،الاموال ، ص70.

(6)المصدر نفسه .

(7)الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص61.

ويشير ابن عساكر الى ان الضياع التي كانت في المنطقة التي يجري فيها هذا النهر قد هجرت ولم يبق لها وارث ايام معاوية فأخذها هذا الخليفة، ولما تولى الامر يزيد وجد ان هذه الاراضي الواسعة تنقصها المياه فحفر عند النهر بسعة ستة اشبار[1].

وذكر ابن عساكر ايضا ان مياة نهر بردى في بلاد الشام قد قلت زمن خلافة سليمان الى درجة كبيرة بحيث ادت الى ان يشتكي الناس من خطورة الموقف الامر الذي دفع الخليفة الى ان يبعث الى مولاه عبيده بن اسلم ليكري ماء العين، ويبدو ان مشكلة شحة المياة ظلت قائمة بعد عملية اكراء العين فامر هشام القاسم بن زياد الى ان(يحيز لهم الاناهر فحازها)[2].

اما البلاذري فقد اورد لنا ان الخليفة عبد الملك ولى ابنه سعيد ولاية الموصل، والى سعيد هذا يرجع الفضل في حفر نهر سعيد في الموصل، وقيل ان موضع هذا النهر كان عبارة عن غيضة تسكنها السباع فلما اقطع الوليد بن عبد الملك هذه الغيضة له قام بحفر النهر فأدى الى اعمار الاراضي فيها[3].

وعندما توجه مسلمة بن عبد الملك غازيا ضد الروم عسكر بمدينة يالس فشكى اهلها واهالي قرى بوبلس وعابدين وقاصرين وصفين وهي قرى محيطة بمدينة يالس من شحة المياه فامر مسلمة بحفر نهر متفرع من الفرات لري تلك الاراضي فدر هذا المشروع على الاهالي الخير الوفير باحياء اراضي تلك القرى فجعلوا لمسلمة ثلث غلاتهم بعد عشر السلطان.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك عندما ولى سليمان جند فلسطين احدث هذا الوالي مدينة الرملة ومصرها وبنى فيها قصرة ودار الصباغين وحفر للأهالي قناة تعرف بنهر بردة كما حفر لهم أباراً وقد استثمرت مياة هذه المشاريع لري الاراضي[4] ويعقب البلاذري ان خلفاء بني امية كانوا ينفقون على ابار الرملة وعلى قناتها بعد سليمان بن عبد الملك.

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز مهتماً بشكل واضح بتحسين وسائل ري الاراضي وكان دؤوبا على تشجيع الولاة على شق الانهار والترع وعلى تحسين اوضاع الفلاحين وعلى الغاء الضرائب التي كانت تعيق تنمية وتطوير الاراضي الزراعية، ومن بين هؤلاء الولاة عدي بن ارطاة والي البصرة اذ كتب الى الخليفة بشان حفر نهر لاهالي البصرة فاذن له فحفر نهرين وقد خرج اهالي البصرة الى ذلك الموضع الذي تمت فيه عملية الحفر ليراقبوا العملية[5].

كما عرف الخليفة هشام بن عبد الملك باهتماماته الواسعة في تلك الاراضي وتنظيم وسائل الري فيها فحفر نهري الهني والمري بالقرب من(الرقة) و(الرافقة) وقد ساعدت هذه المشاريع على تنمية الاراضي الواقعة على هذين النهرين لتصبح ضياعاً، وكان ياخذان مياههما من نهر الفرات ويسقيان البساتين بحيث ان الشاعر الصنوبري وصفهما قائلا:

بين الهني الى المر ي الى بساتين النقار[6]

ونظرا لكثرة الاراضي العائدة الى هشام فقد عين وكيلا له ينظر في انتاجاتها وما تحتاجه ولم يقتصر امر العناية في الاراضي الزراعية والاهتمام بتطوير مشاريع سقي الاراضي وحفر القنوات والانهار على خلفاء بني امية فقط انما تعدى

---

(1)ابن عساكر، تهذيب التهذيب ، ج1، ص244-245.

(2)المصدر نفسه ، ج1، ص246.

(3)البلاذري، فتوح، ص328.

(4)البلاذري، فتوح، ص148.

(5)المصدر نفسه ، ص363.

(6)البلاذري، فتوح ، ص148؛ ياقوت الحموي، معجم، ج5، ص419.

ذلك الى الولاة والعمال وقد حظيت اراضي العراق في البصرة والكوفة وواسط والبطائح بعناية كبيرة. فالى زيادة بن ابي سفيان، الذي كان واليا على الديوان ايام ولاية عبدالله بن عامر، يرجع الفضل في حفر نهر الابلة. كذلك يرجع الفضل في حفر نهر معقل المشهور في البصرة الى معقل بن يسار خلال ولاية زياد على البصرة اثناء خلافة معاوية، كما حفر مولى لزياد نهرا اسمة نهر دبيس.

ويذكر البلاذري ان حفر نهر بشار في البصرة ينسب الى بشار بن مسلم الباهلي اخ قتيبة بن مسلم، وكان بشار قد اهدى الحجاج الثقفي فرسا فسبق عليه فاقطعة سبعمائة جريب من الارض (او اربعمائة جريب) ولاجل استثمار هذه الارض حفر بشار نهرا حمل اسمة[1].

وهناك انهار اخرى حفرت اثناء ولاية زياد منها نهر ذراع نهر حبيب ونهر ابي بكرة ونهر مكحول ونهر البراء وشمل زياد اهل بيته في تملك الاراضي وتطوير احوالها الزراعية، فيذكر ان نهر النبات في البصرة ينسب الى نبات زياد اذ اقطع كل ابنه ستين جريبا من الارض وحفر لهن هذا النهر ليسقي تلك الاراضي[2]

وينسب نهر المرغاب الى بشير بن عبيد بن ابي بكرة وكان يجري في قطيعة اقطعها يزيد بن عبد الملك الى مرغب هذا وبلغت مساحتها ثمانية الالاف جريب[3] وينسب نهر زيد الى يزيد بن المهلب الذي حفرة لارواء قطيعته كما حفر عمر بن هبيرة نهر ملهليان لارواء قطيعة اقطعها له يزيد بن عبد الملك[4]. وحفر الحجاج الثقفي نهر العين في منطقة واسط كذلك حفر نهر النيل والزابي فاصبحت هذه الانهار عصب الحياة للاراضي الواقعة على جانبيها[5]وحفر والي الموصل الحر بن يوسف نهر المكشوف بغية توفير مياه الري للاراضي هناك وقد بدا العمل بحفره سنة 107هـ وانفق في حفره ثمانية ملايين درهم ثم اكمل حفره ايام الوليد بن تليد عام 121هـ[6].

2-استصلاح الاراضي:

كانت عناية الخلفاء الامويين وامرائهم وولاتهم بتحسين مشاريع الري مدفوعة بدافع اقتصادي الى درجة كبيرة وادى هذا بمرور الزمن الى احياء الكثير من الاراضي الموات والاراضي التي هجرها اهلها وتلك التي غطتها المياة فلم تعد صالحة للزراعة، وبذلك فقد ساعدت عمليات حفر الانهار والترع الى اعادة الحياة لهذه الاراضي مما جلب الخير الوفير.

ان عملية استصلاح الاراضي لاغراض الزراعة لم تكن عملية مقصورة على الخلفاء الامويين وحدهم انما كانت عملية واسعة تمتد جذورها الى زمن الرسول الكريم(ص) والخلفاء الراشدين. فيقول رسول الله(ص) [7].

وقد اتسع نطاق احياء الاراضي واصلاحها للزراعة ايام الامويين، وصار الخلفاء هم المسؤولون عن منح الاذن للأشخاص الذين يرمون أحياء الاراضي ولمقولة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز اهمية كبيرة في هذا المجال، ويعد امتداد واضحا لنظرية الرسول(ص) والخلفاء الراشدين في احياء الاراضي اذ قال:(من غلب الماء على شيء فهو له)[1].

---

(1)البلاذري، فتوح ، ص325، 353، 355.

(2)البلاذري، فتوح، ص356، 357.

(3) المصدر نفسه، ص358.

(4) المصدر نفسه، صص359.

(5) البلاذري، فتوح، ص288، 360، 362.

(6)الازدي، تاريخ الموصل، ص56، 164.

(7)ابو يوسف، الخراج، ص61، 64، 65، 101.

فمعالجة اي فرد في ازالة المياه عن ارض مغمورة بالمياه واصلاحها بعد ان كانت كذلك اما عن طريق النزح او عن طريق التسهيل حتى ينضب عنها الماء فتكون بذلك المستصلحة لمن يحيها، فحكم هذه الارض حسبما راى الخليفة عمر بن عبد العزيز ان تكون لمن فعل ذلك ونزح المياه عنها.

لقد كانت هناك عمليات استصلاح متعددة في الكثير من المناطق، ارتقى بعضها الى مصاف المشاريع الضخمة لاسيما مشروع اعادة استصلاح البطائح، في حين قد نفذت مشاريع اقل اهمية من ذلك فتذكر الرواية ان الوليد بن عبد الملك اقطع سعيد بن عبد الملك نهره الذي كان ياخذ مياهه من نهر الفرات، وكان في الاصل غيضة فيها سباع فاعطاها اياها فعمرها واستصلحها فصارت تعرف باسمه وصار النهر يعرف باسم(نهر سعيد)[2].

اما البطائح(الاهوار) فانها منطقة واسعة تقع بين واسط والكوفة شمالا والبصرة جنوبا تكونت اما في سنة ست او سبع هجرية على اثر زيادة المياة في نهر الفرات زيادة عظيمة ادت الى غرق هذه الاراضي بسبب اهمال كسرى فارس ابرويز في سد البثوق والسيطرة على الفياضانات، ويذكر البلاذري ان زيادة الفرات ادت الى غرق عدة طساسيج وبساتين واتسعت مساحة اراضي البطائح ايام الخلفاء الراشدين فعندما تولى الامويون الامر قام بعض خلفائهم وامرائهم باستخراج واستصلاح مساحات واسعة من اراضيها مما يذكر ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان ولى عبدالله بن دراج مولاه مسؤولية خراج العراق فاستصلح عبدالله للخليفة الاراضي من البطائح قدرت قيمة غلة هذه الاراضي المستصلحة بخمسة ملايين درهما فقد قام اولا بقطع القصب الذي كان غالبا على البطائح ثم سيطر على المياه ببناء المسنيات[3] لكن يبدو ان عملية عبدالله بن دراج هذه لم تكن محكمة الى درجة كبيرة كما انها لم تكن واسعة، اذ يذكر البلاذري ان السدود والبثوق قد انفجرت مرة اخرى خلال خلافة عبد الملك بن مروان حينما كان الحجاج الثقفي واليا على العراق في حين ان هناك رايا اخر يقول ان هذا الوالي قد اهمل السيطرة على البثوق لاسباب سياسية- اقتصادية لجلب الضرر على الدهاقين لانه اتهمهم بموالاة حركة عبد الرحمن بن الاشعث، ومع ذلك فان هناك من الروايات التاريخية ما يؤكد ان الحجاج الثقفي بعد ان صمم على اتخاذ مدينة واسط مدينة له ولجنده بدلا من البصرة والكوفة انجز عدة مشاريع تهدف الى ايحاء الاراضي في منطقة البطائح فانه عندما نزل واسط حفر نهري النيل والزابي واحيا الاراضي الواقعة عليهما.

لقد استمر الحجاج في عملية استصلاح الاراضي ومتابعتها حيث ولي حسان النبطي هذه المهمة (وهو مولى لبني ضبه) والى حسان هذا ينسب الحوض المعروف بالبصرة (حوض حسان) كما تنسب اليه المنارة الموجودة في البطائح التي تسهل عملية الملاحة، وقد نجح في استخراج مساحات غير قليلة من اراضي البطائح للحجاج ايام خلافة الوليد وهشام ابني عبد الملك بن مروان.

وتضيف الينا الروايات انه كان بكسكر في البطائح قبل حدوث الفيضانات نهر يقال له(نهر الجنب) فلما تبطحت البطائح(اي عندما ظهرت البطائح وطغت المياه على الاراضي) تحول ذلك النهر الى اجام وسمي اجام البري، والاجمة منطقة غير صالحة للزراعة تكسوها غابة من القصب والشجر لذلك عندما قام الامويون بمشروع استصلاح اراضي

---

(1) ابو عبيد، الاموال، ص284.

(2)المصدر نفسه ؛ ياقوت معجم البلدان، ج5، ص321.

(3)البلاذري، فتوح، ص290-291.

البطائح تحولت هذه الاجام الى اراضي صالحة للزراعة وظهرت فيها (الجامدة) وهي قرية كبيرة جامعة من اعمال مدينة واسط بينها وبين البصرة مسافة[1].

وهناك رواية اخرى تفيد بان السدود عندما انسكرت ايام ولاية الحجاج كتب بامرها الى الخليفة الوليد بن عبد الملك واخبره ان تكاليف سد هذه البثوق تبلغ ثلاثة الاف الف درهم(ما يعادل ثلاثة ملايين درهم) فاستكثرها الوليد لكن مسلمة بن عبد الملك وعد ان ينفق على سد هذه البثوق في البطائح شريطة ان يقطعة الخليفة الاراضي المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد ان ينفق عليها المبلغ المذكور على ان يتولى الحجاج عملية الانفاق، فوافق الخليفة الوليد وبذلك تم لمسلمة استصلاح اراضي واسعة من طساسيج متصلة كما عمل على حفر نهر(السيبين) وتالف الاكرة والمزارعين فعمرت بذلك تلك الاراضي،ان هذه الاعمال المهمة في استصلاح الاراضي قد شجعت دون شك الاهالي على القيام بواجباتهم في هذا الاتجاه حيث اتسعت رقعة الاراضي المستصلحة، مما حدى ببعضهم الى الجاء ملك الاراضي المستصلحة ضياعاً كثيرة للتعزز بمسلمة فازدادات، لهذا السبب مساحة الاراضي الصالحة للزراعة[2] في البطائح.

وفيما عدا هذا المشروع الكبير لاستصلاح اراضي البطائح الواسعة فان هنالك اشارات تاريخية عديدة تؤكد ما اتخذه الخلفاء الامويون وعمالهم من اجراءات واعمال تهدف الى اصلاح الاراضي فقد ورد ان معاوية بن ابي سفيان قد اشترى ارضا في وادي القرى من اليهود ولم تكن انذاك ارضا معمورة فاحياها فتحولت الى ارض منتجة[3] وقام والي معاوية زياد باقطاع الناس القطائع في منطقة اطلق عليها (زيادان) وكان يقول للرجل الذي يقطع ارضاً(اني لا انفذ الا عمرتم) ولذلك فانه كان يمهل الشخص المقطع مدة سنتين فان عمرها فهي له والا فانها تؤخذ منه.

كما اتت اعمال الامويين بثمارها في مناطق اخرى، فقد تم استصلاح الاراضي الواقعه في منطقة رصافة الشام مما ازدهرت معه الزراعة في واحات منطقة تدمر[4].

التقدم الصناعي:

في الوقت الذي كانت فيه التجارة تمثل العصب الحيوي للحياة الاقتصادية لاي مجتمع من المجتمعات عن طريقها يتصل هذا المجتمع او ذاك بالبلدان المجاورة وانما العالم الخارجي فتكون بحد ذاتها رافدا لنقل الموروثات الحضارية من هذا المجتمع الى الخارج وبالعكس، فان الصناعة تعد الممون الاساس للتعامل التجاري هذا وهي بذلك تمثل نمطاً حيويا وفعالا للنمو الاقتصادي الانتاجي لاي مجتمع. [5].

ومع وورد هذه الفكرة غير ان هناك بعض لاراء الحديثة تزعم ان صناعات العصور الاسلامية هي صناعات انسجة بالدرجة الاولى اي نسج الملابس بانواعها. وهو راي على الرغم من وجود الكثير من الادلة المؤيدة له لكنه ليس سليما تماما اذ اشتهر العرب قبل مجيء الاسلام الى جانب شهرتهم بالنسيج والحياكة وخاصة في اليمن وعمان والحيرة فضلا عن نسج البسط المختلفة في الجزيرة العربية، فقد كانوا على علم بصناعة الزيوت والدهون من دهن السمسم ومن اشجار تشبه النخيل تسمى"الكاذي" ومن شجر الشوع كما انهم كانوا يستخرجون ويصنعون انواعا من الصمغ(الذي كان يعرف

(1)البلاذري، فتوح، ص288؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص95.

(2)البلاذري، فتوح، ص292.

(3) المصدر نفسه ص248.

(4)ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص153، د5، ص419.

(5) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج2، 170..

بالعرمط) كالعلك وصمغ الصنوبر والارزة والسر والبطم والكندر وصمغ المقل، كما انهم كانوا يعرفون صناعة عصير التمر واستخراج الدبس، وعرفوا دباغة الجلود، وتعد الادم من السلع المهمة والمشهورة في التجارة انذاك اما الخمور فقد صنعت لديهم من الكروم والشعير والذرة ،والصناعات الخشبية قد دخلت هي الاخرى حقل التجارة لما وصلت اليه من تقدم كصنع اواني الطعام الكبيرة وابواب البيوت والصناديق. لحفظ وخزن الاشياء كما كانت الصياغة معروفة اذا اشتهر الصاغة العرب بصياغة حلي الذهب والفضة والنقوش والزينة[1].

اما صناعة المعادن المختلفة كالجزع والعقيق والنحاس والرصاص والفولاذ فقد قطعوا فيها شوطا بعيدا، وما يقال عن صناعة المعادن يمكن ان يقال عن الصناعة الجلدية فقد برعوا في صناعة الاحذية المختلفة كالخف والنعال.بخصوص الانسجة والثياب والحياكة فكانوا ينسجون البسط والسجاجيد من الصوف وغزل البرد ونسجها وغزل القطن ونسجه وعرفوا الانسجة الكتانية كالبرجد والعباءة والشملة والانماط وعرفوا الثياب الحريرية والديباج والسندس والاستبرق كما عرفوا ثياب القز وهي ثياب صوف كالمرعزي يخالطها الحرير واستخدموا الاصباغ المتنوعة كالعصفر والدرس والزعفران لصبغ الثياب، كما استخدموا شعر الماعز لصنع الخيام[2].

ان هذه المعلومات المقتضية تؤكد بصورة لا تقبل الشك ان العرب كانوا يمارسون انواعا من الصناعات اليدوية ولم يكونوا مشمولين بصناعة النسيج وحياكة الملابس فقط ولم يطرأ اختلاف عن تلك الصورة االتي قدمناها بعد مجيء الاسلام واقامة الدولة العربية الاسلامية، بل على العكس من ذلك فان الدين الاسلامي الحنيف يشجع العمل ويؤكد عليه كقوله تعالى في كتابه العزيز (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولة والمؤمنون)[3] وقوله تعالى(لياكلوا من ثمرة وما عملته ايديهم افلا يشكرون)[4] وقوله تعالى في تصنيف العمل الى درجات وكل منها لها اجرها(ولكل درجات مما عملوا ولا يظلم ربك احدا)[5] وقوله تعالى في سورة النحل (ولتسالن عما كنتم تعملون)[6] وقوله عز وجل(فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض)[7].

وللرسول الكريم(ص) احاديث شريفة حول اهمية العمل وتقديرة(ص) للعامل فقد قال(ص) (من امس كالا من عمل يده امس مغفوا له) وحديثه (ص) (ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يده)[8].

وعلاوة على ذلك فان اهتمام العرب بانشاء المدن والامصار وباستصلاح الاراضي واحيائها لغرض زراعتها زراعة واسعة النطاق قد ادى بالضرورة الى تطوير الصناعات المحلية القائمة على هذه الانتاجات فضلا عن الصناعات اليدوية

---

(1) راجع دائرة المعارف د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام.

(2)راجع عن هذه المعلومات دائرة المعارف الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج2.

(3)سورة التوبة، اية 105.

(4)سورة يس، اية 35.

(5)سورة الاحقاق، اية 16.

(6)سورة النحل، اية 93.

(7)سورة ال عمران، اية 195.

(8)البيهقي،السنن الكبرى، ج2، ص170.

- انظر عن موقف الاسلام من العمل، الخوارزمي،مفاتيح العلوم، ص79.
- مقالة(Amal) في دائرة المعارف الاسلامية(ط/ جديدة)، Carclet.

الاخرى لاسيما بعد ان تطورت العلوم عند العرب كالكيمياء والصيدلة والطب وغيرها من العلوم التي دخلت في الصناعة وطورتها.

وكما ان هناك عوامل مشجعة دفعت بعجلة الاحوال الزراعية والتجارية في العالم الاسلامي ابان الخلافة الاموية فان هناك عواملا شجعت اتجاه الناس نحو امتهان الحرف الصناعية اليدوية ونحو تصنيع المنتوجات الزراعية والحيوانية

وعندما خالط العرب الامم الاخرى اثروا فيها وتاثروا بها، ومن جملة المؤشرات التي اثرت في الحياة الاجتماعية للعرب اثناء الخلافة الاموية ظهور مراسيم ثابتة في بلاطات الخلفاء،ففي مجال الطعام مثلا تعددت الوان الطعام وادخل استخدام طرق جديدة في تناوله كاستعمال الفوط والملاعق. وقد اشار المؤرخون الى هذه التغيرات خلال الفترة الاموية فكانت الملاعق تصنع من الخشب كما جلبت الملاعق الفخارية من الصين كما استخدمت الكراسي الخشبية امام الموائد. وقد عرف الخلفاء الامويين مثل معاوية وسليمان بن عبد الملك حبهم للطعام وتفننهم في اختيار انواعه[1].

وتشير الدلائل التاريخية الى ان الخلفاء الامويون واقربائهم اهتموا اهتماماً بالغا في العمارة فاحتاجوا الى تطوير مختلف انواع الصناعات كالزخرفة والنجاره والحدادة كي تقدم ارقى الفنون في هذه الابنية، فازدانت قصورهم بالفسيفساء واعمدتها بالرخام والذهب، واتخذت النافورات والمياه الجارية. ومما يذكر ان عبد العزيز بن مروان والي عبد الملك على مصر كان شغوفا بالعمارة وبناء التماثيل فادخل انوعا من الحجارة والزجاج لتزين ما بناه.

ويذكر ايضا ان صناعة الخز والقطيفة ظهرت في عهد هشام بن عبد الملك لما كان له من اهتمام واضح في هذه الصناعة. فيورد لنا ابن الزبير"ان الخليفة الاموي هشاماً بن عبد الملك اول من استخدم الطراز وعمل في ايامه الخز وغيره من الوشي وكان له ستور وكسوه وطراز ولم يكن لمن قبله، وهو اول من اتخذ الطراز وذلك سنة ثمان ومائة"[2].

وكما هو الحال بخصوص شحة المعلومات عن الاحوال التجارية خلال الخلافة الاموية فان الحديث عن الصناعة في هذه الفترة صعب ايضا لان ما نملكة من معلومات تعود الى العصر العباسي بصورة واضحة كما ان الامثلة التي وصلت الينا من التحف المعدنية الاسلامية قليلة جدا ولعل السبب في ذلك هو ان التحف المعدنية عادة تصهر وتعاد صناعتها خلال العصور ومن هنا كان من الصعب ان نجد سلسلة متماسكة الحلقات تمثل تطور الصناعة تمثيلا صحيحا في العصور المختلفة بل كثيرا ما تعترضنا حلقات مفقودة[3].

وبالرغم من هذه المشاكل وغيرها فانه لاتعني ابدا ان الصناعات خلال العصر الاموي لم تكن متقدمة وان شاهدنا في هذا ما تكتزه المتاحف البريطانية والاوربية من نماذج قيمة تعكس المستوى الراقي الذي وصلت اليه الصناعة في هذه الفترة، ففي المتحف البريطاني مجموعة من الاطباق الفضية والصواني ذوات الاشكال المختلفة الدائري منها والمثمن وفي متحف برلين هناك صوان فضية وبرونزية تحيل اوساطها رسوم فيها القباب والشرفات والعقود. وفي المتحف الفني الاسلامي بالقاهرة مجموعة من الاباريق فمن اشهرها ابريق مصنوع من البرونز، وينسبة معظم علماء الاثار والفنون الى

---

(1)انظر المسعودي،ن.م، ج2، ص163؛ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص116. Levy ، The social structurx of Islam (1965) PP.242-265.)

(2)ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ص211.

(3)صلاح حسين العبيدي، الفنون الزخرفية العربية والاسلامية، ص10.

الخليفة مروان الثاني، اخر خلفاء بني امية، ومن الجدير بالذكر ان الزخرفة على محيط هذا الابريق قد اكدت على ما عرفة العرب في هذا الفن. منذ وقت سابق اذا استخدمت الطرق والحفر والتكيف والترصيع[1].

والحقيقة ان المدن التي نمت في العراق خلال هذه الفترة ومدن الشام والجزيرة العربية والمغرب العربي قد اشتهرت كثيرا في عالم الصناعة خلال العصر العباسي وهي حالة تؤكد انها كانت مشهورة كذلك في العصر الذي سبقه، اي العصر الاموي. فمدينة البصرة التي بلغت تطوراتها العمرانية والتخطيطية وضوحا في العصر الاموي اشتهرت بصناعاتها المتنوعة واهمها صناعة النسيج كالخز والبز والقز، والبصرة كانت مشهورة انذاك بزراعة القطن، علاوة على ذلك فانها اشتهرت بانواع اخرى من الانسجة والثياب كالفوط البصرية والبسط وعمائهم الابلة، ومن الجدير ذكره بان هذه المدينة– الابلة– قد اشتهرت ايضا بانتاج الثياب الرقيقة المصنوعة من نسيج القصب فضلا عن صناعة نسيج الخز الخاص بالعمائم وغيرها.

وقد عرفت عبادان بصناعة الحصران التي كانات تصدر الى مختلف البلدان المجاورة كما اشتهرت بعطورها كماء الورد والبنفسج، وعرفت بصناعة الاواني الفخارية التي اظهرت التنقيبات التي اجرتها بعثة الاثار في المدينة على نماذج عدة جميلة الصنع ترجع فترة صنعها الى الفترة الاموية، كما اظهرت التنقيات ايضا مجموعة كثيرة من الاواني الزجاجية لاسيما القناني الصغيرة والمعروف ان صناع الزجاج في البصرة كسبوا سمعة وخبرة واسعتين حتى ان الخليفة العباسي المعتصم بالله اعتمد عليهم في صنع الزجاج في سامراء.

اما مدينتنا الكوفة وواسط فقد اشتهرتا ايضا بصناعة الانسجة وبشكل خاص المنسوجات القطنية والصوفية، وعرفت واسط بستائرها وانواع من البسط كما عرفت بصناعة الاواني الخزفية الملونة وصناعة النبيذ وصناعة الاسفاط والحصران[2].وعرفت مدينة الفسطاط بصناعة الانسجة، وقد اهتم الامويون بتنمية هذه الصناعة اذ يذكر ان عبد العزيز بن مروان بني قيسارية سميت بأسمة وكانت مخصصة لبيع اقمشة البز، وعلاوة على البز فقد كانت اسواقها معروفة بانسجة اخرى صوفية وكتانية[3].

واشتهرت مدينة القيروان ومدن المغرب العربي بصناعة الانسجة الحريرة والصوفية والصناعات المعدنية وصناعة الزيوت[4] كما كانت تصدر بعض مدن المغرب الانسجة والصابون مما يدل على شيوع هذه الصناعات وكثرة انتاجها وعرفت ايضا بدباغة الجلود وصناعة تشبيك الحديد والنحاس وصناعة الزجاج والورق والطابوق[5].

اما مدينة سجلماسة التجارية فقد عرفت بصناعاتها المعدنية نظرا لتوفر الذهب والفضة في منطقة درعة[6] اشتهرت هذه المدينة بصناعة الانسجة القطنية والصوفية ويذكر الدكتور الجنحاني ان النساء السلجماسيات كن معروفات بصناعة الازر من الصوف كما عرفت بصناعة السكر وصناعة الجلود والاواني الخشبية والصياغة والنجارة والحدادة[7].

---

(1)العبيدي، الفنون الزخرفية. ص10–11، 121.

(2)انظر عن هذه الصناعات، عبد القادر سلمان المعاضيدي، واسط في العصر الاموي(ط/1–1976)

- وعن احوال البصرة انظر الدكتورة صالح احمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول للهجرة والانسجة في القرنين الاول والثاني الهجريين.

(3)بن عبد الحكم، فتوح، ص134، 345.

(4)بن حوقل، صورة الارض، ص94–95؛ ابن دقماق، الانتصار بواسطة عقد الامصار ، ص32–34.

(5)الجزنائي،زهرة الاس في بناءء مدينة فاس، ص33.

(6)الجيب الجنحاني، المغرب الاسلامي، ص175.

(7)لجيب الجنحاني، م.ن

ولمدينة الموصل سمعتها الصناعية، فقد اشتهرت بالصناعات المعدنية وصناعة الانسجة الحريرية وغيرها من الانسجة، غير انها اشتهرت بشكل خاص في انتاج "المسح" والمسح الكساء المصنوع من الشعر، اضافة الى الستائر والثياب والاواني والسكاكين والنشاب[1].

ولمدن مصر خصوصيتها في انتاج الانواع المختلفة والجيدة والمشهورة كالانسجة الكتانية وثياب الديبق[2]، والثياب القبطية المصنوعة من الكتان الابيض الرقيق، والثياب القسية المصنوعة من الكتان المخلوط بالحرير، فضلا عن الانسجة الصوفية وصناعة الستائر والبسط.

وقد عرفت مدن بلاد الشام كدمشق وحلب وغيرها بصناعة الانسجة الحريرة والقطنية والكتانية وقد اشتهرت مدينة "المقدية" من بين مدن بلاد الشام بصنع نوع من الثياب يقال لها المقدية[3]، اضافة الى صناعة الزيوت.

اما اليمن وحضرموت وقطر فقد اشتهرت- بل ذاع صيتها- بانتاج البرود، وتروي لنا كتب السيرة ان الرسول الكريم(ص) كان له برد يمني واخر من حضرموت[4].

وقد اعتاد خلفاء بني امية في الشام لبس البرود اليمينة التي فضلت على غيرها من الالبسة ومن خلال تتبعنا لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية وتطورها التي وجدنا حولها اخبارا هي صناعة الآلات الموسيقية(الآلات الطرب)، فقد جاء ذكرها في الشعر العربي امرؤ القيس، الاعشى وفي كتب الاغاني: لابي الفرج الاصبهاني؛ العقد الفريد: لابن عبد ربه، سيرة عمر بن عبد العزيز: لابي عبدالله بن عبد الحكم، التلخيص في معرفة اسماء الاشياء: لابي هلال العسكري؛ والمخصص : لابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل، والمعاجم التي من بينها لسان العرب: لابن منظور.

وقد اشارت المصادر الاثارية والتاريخية والادبية المختلفة العربية منها والاسلامية الى شيوع الالات الموسيقية وتنوعها بين العرب على مدى تاريخهم البعيد، وكان لهذا الشيوع اثره في بلورة وتطور صناعة هذه الالات التي عرفت بالدقة والحذاقة.

وقد اشتهر العود من بين هذه الآلات في العصر الاموي، ومما يذكر ان يزيد بن حبيب قد كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز في اللعب في الدفوف والبربط(العود) في الاعراس فكتب اليه الخليفة"امنع الذين يضربون البرابط ودع الذين يضربون بالدفاف فان ذلك يفرق بين النكاح والسفاح"[5].اما عن شكل العود وصناعته في العصر الاموي فقد ورد له وصف فريد في كتاب العقد الفريد[6].

وقد ازدهرت صناعة التحف العاجية في بلاد الشام ولم تقف هذه الصناعة عند حدوث هذه البلاد بل خرجت الى الاندلس فيما بعد حيث يتجلى الفن الاندلسي اروع ما يتجلى في فن صناعة التحف العاجية ولا عجب في ذلك فالطراز الاندلسي قام على تقاليد الفن الاموي الذي حملة الامويون معهم من بلاد الشام[7].

---

(1)ابن حرقل، ، صورة الارض، ص195.

(2)الجاحظ،التبصر بالتجارة، ص22؛ ابن منظور ، لسان العرب، ج2، ص596.

(3) ابن منظور ، لسان العرب، ج1، ص95، ح6، ص174-175.

(4)لسان العرب، ج3ن ص408.

(5)ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز/ ص18.

(6)ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص724؛ رسائل اخوان الصفا، ج1، ص20.

(7)صلاح حسين العبيدي الفنون الزخرفية العربية الاسلامية، ص187.

الحركة التجارية:

والتجارة حسبما هو معروف عنصر اساسي من عناصر الحياة الاقتصادية لاي أمة من الامم، ولقد لعب العرب منذ ازمنة بعيدة دورا مهما في عالم التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء وما الدور الذي لعبه عرب عمان واليمن والحجاز والجزيرة الفراتية في تجارة العالم القديم عبر البحر الاحمر والبحر العربي والمحيط الهندي والخليج العربي وعبر ارجاء الجزيرة العربية برا، وما اشتهر به المجتمع المكي التجاري من نشاط تجاري في رحلتي الشتاء والصيف، وما لعبه مجتمع مملكة تدمر العربية من فعالية تجارية في الطريق التجاري البري عبر الجزيرة الفراتية الا ادلة واضحة على نشاط العرب في هذا المضمار.

فلم ينظر العرب الى امتهان التجارة نظرة استهجان وازدراء، لكنهم على العكس عدوا الاشتغال بالتجارة من اشرف الحرف فقد زاولها الملوك وعليه القوم والامراء، وكانت لهم خبرة واسعة في البيع والشراء.

لقد كان خير الامة رسولها الكريم(ص) واكابر عشيرته يزاولون التجارة واحتوى القران الكريم على عدد من الايات الكريمة تضمنت مصطلحات تخص التجارة النزيهة الخالية من الربا[1].

وكما ان هناك عوامل ادت الى ازدهار الزراعة في العالم الاسلامي خلال عهد الخلافة الاموية، فان هناك عوامل متنوعة دفعت العرب خلال هذه الفترة الى تنشيط فعاليتهم والابقاء على اهمية دورهم في عالم التجارة ومن بين هذه العوامل:

1-الموقع الجغرافي:

لقد تمتعت البلاد العربية بموقع جغرافي مهيمن، فقد ازدادت اهمية هذا الموقع ذا المواصفات المتنوعة فيما نجحت الجيوش العربية في تحرير وفتح الكثير من المناطق الشاسعة والمهمة التي كانت خاضعة لسيطرة الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية فصارت الدولة العربية ابان العصر الاموي ممتدة شرقا حتى نهر سيحون وجيجون بضمنها بلاد السند والهند، وغربا في المغرب العربي والاندلس، لهذا غدت مهيمنة على البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر العرب والمحيط الهندي والخليج العربي، وهي بحار ومحيطات استقطبت جميع الخطوط الملاحية التجارية البحرية التي كانت تربط الشرق بالغرب علاوة على هيمنتها على الطرق البرية الممتدة عبر الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية والعراق وبلاد فارس الى مصر والمغرب العربي[2].

2-انتعاش نشاط الطرق البحرية والنهرية والبرية

لقد انتعشت الطرق البحرية والنهرية والبرية في الدولة الاموية الواسعة الارجاء، وقد ظهر هذا الانتعاش والنشاط نتيجة الى زيادة الطلب على الواردات والى تبادل السلع والتجارات بعد استقرار عمليات التحرير والفتوحات العربية الاسلامية وتأسيس الامصار والمدن فنشطت انماط انتاجية غير زراعية في هذه المراكز الحضرية التي جذبت بدورها الطرق التجارية البرية والنهرية والبحرية كالبصرة والكوفة وواسط والموصل ودمشق وحلب والفسطاط والقيروان وتونس وموانئ اليمن وموانئ مكة المكرمة وموانئ البحرين وعمان وموانئ الساحل الشرقي من الخليج العربي[3].

وبالرغم من الحقيقة بان النشاط التجاري خلال المرحلة التي انشغل فيها العرب المسلمون بالفتوحات الاسلامية لم تكن مزدهرة بشكل واضح علاوة على الاهتمام المتزايد الذي ابداها المسؤولون في البلاد العربية لتنمية الموارد الزراعية والاهتمام بتحسني وتطوير مشاريع الري وعلى الرغم من ان الامصار التي تاسست انذاك خلال العصر الراشدي وبداية

---

(1)انظر سورة المطففين، اية 1 وما بعدها ؛ سورة البقرة، اية 245، 275، 279؛ سورة النساء، الاية، 100.

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص145.

(3) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص201.

الخلافة الاموية لم تكن انذاك امصارا قد نمت وتطورت لتصبح مراكز تجارية نجدر انها بمرور الزمن، وربما عندما افلح الخلفاء الامويون في السيطرة على المشاكل السياسية أبان عصر الخليفة عبد الملك بن مروان وعندما ابدى هذا الخليفة اهتماما ملحوظاً بالشؤون المالية كتعريب النقود وسكها مثلا انصرفت الجهود نحو النشاطات التجارية.

ومع ان المصادر التي بين ايدينا لم تقدم غير معلومات قليلة حول واقع النشاط التجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي، الذي ربما كان منكمشا حتى منتصف القرن الاول للهجرة لكن دون شك فان الطرق البحرية عبر البحر الاحمر والبحر المتوسط، كذلك الطرق البرية من اليمن عبر مكة وبلاد الشام ثم موانئ البحر المتوسط وكذلك طرق الحجيج عبر البصرة والكوفة الى مكة والطرق البرية عبر الساحل الافريقي الشمالي (المغرب العربي) كانت اكثر فعالية وحيوية في نقل البضائع المختلفة.

3-التطور الاقتصادي للمجتمع الاموي:

وكما المحنا سابقا فان توجه الخلفاء الامويون وعمالهم واخرين غيرهم باستصلاح الأراضي وتحويلها من اراض موات الى اراضي زراعية مثمرة وتزايد اهتماماتهم بالاراضي الزراعية كان واضحا اثناء عمليات التحرير والفتوح وبعدها. غير ان نشوء الامصار التي توافد الناس عربا وغير عرب الى الاستقرار فيها ادى الى الانخراط في تلبية الشؤون اليومية الحياتية القائمة على السوق وتبادل البضائع وتصنيع ما يحتاج اليه من صناعات يدوية ضرورية كل هذه المتغيرات جعلت الحاجة ماسة الى سد الاحتياجات اليومية الاساسية من ماكل وملبس وهذه لم تتحقق طبعا في هذا المصر لوحدة او ذلك كما استوجب استيرادها او جلبها من المراكز والامصار التي تنتجها.

انه ليس من المبالغة في شيء اذا اكدنا بادئ ذي بدء ان قضايا العمران بنوعية البدوي والحضري، التي جاءت كنتيجة حتمية ومنطقية لنشوء الامصار والمدن واستقرار العرب ادى الى تطور الاحوال الحضرية في المجتمع العربي الذي تطور من المجتمع زراعي الى مجتمع اهتم بالجوانب الاقتصادية الاخرى تجارية وصناعية فقد اهتم الامويون وعمالهم بتنظيم الاسواق في المدن وتشجيع التجار واصحاب الحرف فيذكر المؤرخون ان والي الخليفة عثمان وبداية الدولة الاموية عبدالله بن عامر كان مهتما بتنظيم سوق البصرة وبناء الحوانيت، كما ان خالد بن عبدالله القسري والي العراق بنى ايضا الحوانيت في مدينة الكوفة وسقفه سوق المدينة بالأجر والجص والحصى واتخذ اخوه اسد بن عبد الله القرية المعروفة بسوق اسد في منطقة الكوفة وبنى فيها سوقا ونقل اليها الناس[1] وذكر ايضا ان بلال بن ابي بردة حفر نهر بلال في البصرة وبنى على جانبية الحوانيت ونقل اليها السوق[2].

اما الحجاج الثقفي فقد اعتنى عند بنائه مدينة واسط بالأسواق، فقد اتخذ السوق الرئيس ووصفه بحشل مؤلف واسط قائلا ان هذا السوق كان كبيرا يمتد من دار الامارة حتى شاطئ نهر دجلة شرقا ونحو درب الخرازين جنوباً[3].

وفي هذا المجال يورد لنا المؤرخ الواسطي بحشل رواية مفصلة عن الكيفية التي وزع فيها الحجاج هذه الاسواق التي كانت موزعة وفقا للحرف التي نشطت فيها، اذ انزل اصحاب الطعام والبزازين والصيارفة والعطارين الى الجهة اليمنى من

(1)البلاذري، فتوح، ص284.

(2)المصدر نفسه. ص358.

(3)،اسلم بن بحشل ، تاريخ واسط، ص44.

السوق الاساس وتمتد هذه الاسواق الى درب الخرازين، كما انزل باعة السفط وباعة الفواكة الى الجانب المقابل للسوق المركزي، وانزل الخرازين والروزجارين والصناع الى الجهة اليسرى من السوق[1].

اما في مدينة الفسطاط في مصر فقد ذكر ابن عبد الحكم ان موسى بن وردان لعله زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك قد انشاء سوق وردان واهتم الامويون بتاسيس اسواق اخرى كسوق البربر وسوق البركة، ومن المحتمل ان حركة نمو هذه المدينة– الفسطاط– ونشاطها التجاري جعل هذه الاسواق قاصرة وغير كافية للتعامل التجاري، فيذكر ان عبد العزيز بن مروان بنى القيسريات والقيسارية عبارة عن مجمعات للاسواق والمحلات ومن بين تلك القيسريات قيسارية العسل وقيسارية الحبال وقيسارية الكباس وقيسارية عبد العزيز التي كان يباع فيها قماش البز. وبنى الخليفة هشام بن عبد الملك قيسارية اخرى لبيع من البزاز والبسطاط وكان يمتد القصر الى البحر وسمي بقيسارية هشام[2].

ووصفت مدينة القيروان بكثرة اسواقها ونشاطها التجاري سوق التمارين وسوق الصباغين وسوق الصرافين وسوق القيروان ويصف ابو عبيد البكري ان سماط سوق القيروان كان كبيرا ومتصلا من جهة القبلة الى الجوف حتى ان طولة بين باب ابي الربيع الى المسجد الجامع بلغ حوالي ميلين الا ثلث وكان سماط من الاسواق(اي يشبة القيسارية) يشتمل على جميع التجارات والصنائع والمهن وقد امر الخليفة هشام بن عبد الملك بتربيته وتنظيمه حيث وزعة توزيعا مهنيا فصار كل سوق متخصص بنوع من المهن والبضائع[3].

وقد شجع الامويون بناء الاسواق في مدينة الموصل، اذ يقال ان سوق الحر الذي كان يقع الى الغرب من جسر المدينة اسسه والي المدينة الحر بن يوسف في العصر الاموي كما كان هناك سوق الشعارين وسوق الحشيش.

اما في مدينة الحيرة فقد بنى يوسف بن عمر خلال خلافة هشام بن عبد الملك بها سوقا سمي"سوق عمر"[4].

وحرصا من الخلفاء على مصلحة الرعية وامكاناتهم المعاشية وابعاد المستغلين والمتلاعبين، واقتداء برسول الله(ص) وخلفائه رضوان الله عليهم من بعده[5] اعطوا عنايتهم بالأسواق وبالإشراف عليها، فخضعت لمراقبة موظفين خاصين يعينهم الامراء والولاة ومعهم الاعوان يساعدونهم على القيام بمهامهم المختلفة والمتعددة فمنهم من يتولى حراستها في الليل والنهار، ومنهم من يراقب المكاييل والاوزان وتميزي الدراهم لمعرفة جيدها ورديئها ورصد عمليات البيع خوف التلاعب بالأسعار والتحكيم بين اصحاب المهن فيما يقع بينهم من خلافات، اضافة الى جمع ضريبة الاسواق، وقد ذهبت مهامهم الى ابعد من ذلك حيث اشرفوا على الصناعات كالصباغة والحياكة وغيرها كل ذلك كان ينصب في الاطمئنان على سلامة العمليات التجارية

ان هذه الانجازات الكبيرة في بناء الاسواق ومراقبتها وتنظيمها وفقا للمهن والبضائع المعروضة فيها تعد دليلا واضحا على الاهتمام المتزايد الذي بذله الخلفاء الامويون وعمالهم في عملية تنشيط الحركة التجارية.

---

(1)المصدر نفسه .

(2)ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص134، 145، 157، 158، 160.

(3)المقدسي،احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص216.

(4)البلاذري، فتوح،ص275؛ الازدي، تاريخ الموصل، ص24، 204.

(5)استعمل الرسول(ص) سعيد بن العاص على سوق مكة بعد فتحها، واستعمل عمر(رض) سوق المدينة اما الخليفة عمر(رض) فتذكر المصادر انه اوجد قاعدة عامة يسير عليها اهل الاسواق في الحصول على مقاعدهم، كما تذكر المصادر بانه اول من عنى في عمله بالمدينة للمزيد أنظر، ينظر الطبري، تاريخ ،ج4، ص45–46، 19، 213؛احمد ، لبيد ابراهيم،الخلافة الراشدة، ص98–99.

المحاضرة الرابعة عشر النظام المالس في الدولة الاموية .

الخراج: [1].

في الشام وضع على كل جريب ارض جريب من الحنطة[2] وعندما جاء الخلفاء الامويون جمعوا الخراج بموجب النظام الذي وضعه الخليفة عمر ابن الخطاب(رض) وقد اشار الماوردي الى ذلك فقال:(ان الحجاج كتب الى عبد الملك ابن مروان يستأذنه في اخذ الفضل من اموال السواد فمنعه من ذلك وكتب اليه: لا تكن على درهمك الماخوذ احرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوماً)[3] الا ان اقبال العرب المسلمين على شراء الاراضي الخراجية من اصحابها الذميين واقطاع الخلفاء الامويين بعض الاشخاص اراضي في العراق، وانتشار الاسلام بين المزارعين والفلاحين وهجرتهم الى المدن ادى الى تحول هذه الاراضي من خراجية الى عشرية، ومن ثم تقلص ارض الخراج في العراق ونقصان وارد الدولة لان ما يأتي من ضريبة الخراج هو عماد خزينة الدولة آنذاك، فلما شعر عمال الخراج بذلك كتبوا الى الحجاج بن يوسف الثقفي امير العراق بان(الخارج قد انكسر وان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالأمصار)[4].

وبما ان الدولة العربية كانت بحاجة الى الاموال وذلك للاستمرار في حركات التحرير العربية في جبهة واسعة، والانفاق على الخدمات المختلفة ، فقد حاول الحجاج معالجة العجز المالي في الخزينة، حيث امر ان ترجع الاراضي العشرية التي كانت بالاصل خراجية الى الخراج، واعادة من هاجر من المزارعين والفلاحين من قراهم الى المدن[5] وكان هدفه من ذلك هو اعمار الارض وزراعتها وبالتالي زيادة موارد الدولة[6].

وقد استمر هذا الوضع حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ 717-719م) الذي وضع حلاً يحفظ حقوق بيت المال ويراعي مبادئ الاسلام، حيث اكد على ان ارض الخراج هي ملكا مشتركا للامة، وان الخراج هو ايجارا للارض، فعلى المسلم حين يشتري ارض الخراج ان يدفع خراجها كايجار للارض، وفي حالة اسلام الذمي يعفى من الجزية ولكن ارضه تبقى خراجية[7] واصدر في سنة 100هـ/718م امرا منع بموجبة بيع الاراضي الخراجية اعتباراً من هذه السنة[8].

اما في المشرق الاسلامي فان حكامهم، ومنذ ان تم فتحه من قبل الجيش العربي،كانوا قد عقدوا اتفاقيات مع الدولة العربية تعهدوا بموجبها دفع ضريبة واحدة نقداً[9] وكان الدهاقون هم المسؤولين عن جباية هذه الضريبة[10] وقد ادى

---

(1)ا وهي ضريبة فرضتها الدولة العربية على الارض التي حررها الجيش العربي، وكانت تفرض عادة على وحدة المساحة من الاراضي المزروعة والقابلة للزراعة لدكتور مُحَمَّد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية، 126.

(2)المصدر نفسه، 130.

(3)الاحكام السلطانية، 149.

(4)البلاذري، انساب الاشراف، 336-337. الطبري، تاريخ 381/6.

(5)فتوح البلدان، ص 452.

(6)عن اهتمام الحجاج بالزراعة في العراق انظر، عبد القادرة المعاضيدي ،واسط في العصر الاموي، ص171.

(7)الدكتور عبد العزيز الدوري، انظم الاسلامية،147.

(8)ابن عساكر، تاريخ دمشق، 1/ 182 وما بعدها.

(9)الدكتور عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية، 150.

(10)المصدر نفسه ،ص 150.

انتشار الاسلام هناك الى تقليل وارد هذه الضريبة مما ادى بالدهاقين ان يأخذوا الجزية من المسلمين الجدد[1] وكان هدفهم من ذلك هو الابقاء على مصالحهم المادية، والحيلولة دون انتشار الاسلام في المشرق لان ذلك يعني نهايتهم هناك، كما ان عنصريتهم الفارسية المجوسية كانت قد دفعتهم لبث روح التذمر في صفوف السكان هناك من اجل القضاء على الدولة العربية.

ولما علم الخليفة عمر بن عبد العزيز بهذه الاجراءات امر عامله على خراسان الجراح عبدالله الحكمي بعدم اخذ الجزية من المسلم هناك[2] ولكن يظهر ان الاجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن عبد العزيز في المشرق لم تعالج الناحية المالية هناك وذلك لانه الدهاقين استمروا على سياستهم السابقة لوجود ضريبة واحدة كانت تفرض على السكان لا على مساحة الارض[3].

وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743) جرت محاولة جديدة لمعالجة مشكلة الضرائب في المشرق، اذ امر عاملة على خراسان اشرس ابن عبدالله السلمي بإعفاء المسلمين من الجزية، الا ان الدهاقين هناك كانوا قد تثاقلوا من هذا الاجراء لانه كان يتعارض مع مصالحهم وامتيازاتهم، وكتبوا الى اشرس "ممن يأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً(يعني مسلمون)"[4] فأمرهم اشرس بأخذ "ممن كنتم تأخذونه فأعادوا الجزية على من اسلم[5] وهكذا كان دور الدهاقين واضح في عرقلة الاصلاحات التي قامت بها الدولة العربية في المشرق[6].

وقد حاول عامل خراسان نصر بن سيار الليثي(121-131هـ/738-748م) حل مشكلة الضرائب في المشرق، وقد تصرف على ضوء السياسة التي اتبعها الخليفة عمر بن عبد العزيز في العراق والمشرق، فقرر اعفاء المسلم من الجزية ولم يجد صعوبة في ذلك اذ ان ثلاثين الفاً من المسلمين الجدد يدفعونها، وثمانين الفاً من المشركين المتنفذين سقطت عنهم الجزية، بامر من الدهاقين، فاعاد عليهم نصر الجزية[7]، ثم قسم اراضي المزارعين الى مناطق، وفرض على كل منطقة كمية ثابتة تجبى على الارض مهما كان صاحبها[8].وكان في هذا الاجراء ضربة للدهاقين افقدتهم جل امتيازاتهم[9].

اما الارض التي يمتلكها المسلم فقد فرضت الدولة العربية عليها ضريبة هي العشر، وهي عشر المزروع والثمار التي تسقى سيحاً او بالمطر، اما الارض التي تسقى بغرب او دالية ففيها نصف العشر[10].

لم ترد في المصادر قائمة شاملة تبين مقدار الخراج في الدولة العربية في العصر الاموي، الا انه ورد ما يشير الى مقادير الخراج لبعض الاقاليم في هذا العصر، فقد بلغ خراج العراق في عهد الخليفة يزيد بن معاوية(60-64هـ/679-683م) (135) مليون درهم، اما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ717-719م) فقد بلغ خراج العراق اكثر

---

(1)الطبري، تاريخ ، 559/6

(2)الطبري،تاريخ، 559/6.

(3)الدكتور عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية، 153.

(4)الطبري،55/7 الدكتور عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية، 153.

(5)الطبري، 55/7.

(6)الدكتور عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية، 153.

(7)الطبري، تاريخ، 173/7.

(8)الطبري، تاريخ، 7/ 173.

(9)الدكتور عبد العزيز الدوري النظم الاسلامية، ،ص 154.

(10)انظر : ابو يوسف الخراج 51-54. فتوح البلدان 547 وما بعدها الماوردي،الاحكام السلطانية، 112-114.

من(120) مليون درهم[1]. اما خراج مصر فقد بلغ في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743) اربعة ملايين دينار[2] اما خراج الشام فقد بلغ في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان(65-86هـ/684-705م) 1.730.000 دينار[3].

الجزية: [4]. وقد فرضت الجزية على الذكور العقلاء منهم واعفي منها الصبيان، والنساء، والمرضى المزمنون، والمجانين، والعميان، والشيوخ، والرهبان[5].

اما موعد دفع الجزية فقد كان في اخر السنة[6] وكانت تجبى من قبل العامل او المحتسب، وكان يشترط بعامل الجزية ان يكون ثقة خيرا اميناً، وان يكون له اعوان من اهل الذمة لكي يساعدوه في جمع هذه الضريبة[7].

الفيئ والغنائم:

الفيئ: [8]. وقد تحدثت المصادر عن مقدار ما فرض على بعض الاقاليم والمدن التي فتحت صلحاً سوف نذكر البعض منها فقد تقرر على رامهرمز ثمانمائة الف درهم[9] وعلى سجستان الفي الف درهم والفي وصيف[10] وعلى مرو الفي الف ومائتي الف درهم[11]، ومرو الروز ستون الف درهم وبلغ اربعمائة الف درهم[12] وكان صلح افريقية(تونس) الفي الف وخمسمائة الف دينار[13] وفي سنة 93هـ/ 711م صالح قتيبة بن مسلم الباهلي ملك خوارزم على عشرة الاف راس وعين ومتاع[14] وفي هذه السنة صالح قتيبة اهل سمرقند على مليونين ومئتي الف درهم في كل عام[15] وفي سنة 97هـ/115م صالح يزيد بن المهلب بن ابي صفرة اهل البحيرة على مئة الف درهم في السنة كما صالح اهل طبرستان على سبع مئة الف درهم[16].

---

(1)الماوردي، الاحكام السلطانية،ص175.

(2)المقريزي،خطط، 99/1.

(3)د. ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية في الدولة الاسلامية، 275.

(4)ضريبة كانت تؤخذ من اهل الذمة مقابل حماية الدولة العربية لهم وضمان سلامتهم وامانهم، وقد فرضت على الراس، يؤخذ منهم ذلك في كل سنة،) الماوردي، الاحكام السلطانية، 142.

(5)ابو يوسف، الخراج 122، 133. ابن سلام، الاموال،ص 37.

(6)ابو بعلى، الاحكام السلطانية، 144.

(7)ابو يوسف، الخراج، 123.

(8)هو المال الذي نالة المسلمون بدون قتال(اي ما صولحوا عليه) وكان الفيئ يشكل اهم موارد الدولة العربية المالية في العصر الاموي، فان المقاطعات والمدن التي تم فتحها من قبل الجيش العربي بدون قتال او مقاومة كانت تعامل معاملة خاصة، فقد فرضت عليها الدولة العربية مقدار معين من المال اتفق عليه الطرفان، ولابد انه كان يتناسب مع ظروف فتح الاقليم او المدينة والاحوال المحيطة بهماالدكتور مُحَمَّد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، 123.

(9)فتوح البلدان، 466.

(10)المصدر نفسه ،ص 486.

(11)الكبرى، تاريخ، مج 4، ص 303.

(12)المصدر نفسه ،مج 4، ص 311.

(13)الكبري، تاريخ، مج 4، ص 313.

(14)فتوح البلدان،ص 268.

(15)تاريخ خليفة بن خياط، مج 1، ص 309. الطبري، نفسه، مج 6، ص 470.

(16)فتوح البلدان، 518. تاريخ خليفة بن خياط، مج 1، ص 309. الطبري، مج 6، ص 475.

وهناك عدد من المدن والاقاليم تم الصلح معها الا ان المصادر لا تحدثنا عن مقدار المبالغ التي صولح عليها اهلها[1].

الغنيمة: هي ما وصل الى المسلمين من اموال عن طريق القتال[2] وكانت تقسم خمسة اقسام متساوية، خمس يكون وارد لخزينة الدولة العربية، اما الاربعة الاقسام الاخيرة الباقية فيقوم قادة الجيش بتوزيعه على المقاتلة بالتساوي بعد انتهاء المعارك عادة وذلك عملا بالاية الكريمة:(واعملوا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شي قدير)[3].

وكان هناك اشخاص يشرفون على جمع هذه الغنائم وقسمتها، فقد ذكر الطبري- قتيبة بن مسلم الباهلي عندما فتح بيكند ولي عبدالله بن والان العدوي، واياس ابن بيهس على جمع الغنائم وقسمتها[4]. وان يزيد بن المهلب بن ابي صفرة عندما فتح البحيرة ولي ادريس بن حنظلة العمي على جمع الغنائم وقسمتها[5].

لقد كانت غنائم بعض المعارك التي خاضها الجيش العربي في المشرق، وشمال افريقيا والاندلس كثيرة جدا ففي سنة 61هـ/680م بلغ سهم الفارس الفين واربعمائة درهم والراجل الفا ومائتين في احد المعارك التي خاضها المهلب بن ابي صفرة مع الترك في المشرق[6]، وعندما فتح المفضل بن المهلب باذغيس سنة 85هـ/704م اصاب كل مقاتل ثمان مئة درهم[7]. وعندما فتح قتيبة بن مسلم الباهلي بيكند سنة 87هـ/705م"صار في ايدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثلة بخراسان.. وقوي المسلمون، فاشتروا السلاح والخيل، وجلبت اليهم الدواب وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة وغالبا في السلاح)[8].

وارسل مُحَمَّد بن القاسم الثقفي الى امير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي مئة وعشرين مليون درهم من الغنائم التي حصل عليها من فتوح السند[9]. وفي معارك التحرير في شمال أفريقيا والاندلس حصل المقاتلون العرب على غنائم كبيرة ايضا[10].

عشور التجارة:

وهي ضريبة كانت مفروضة على الاموال التجارية الصادرة والواردة الى الدولة العربية[11] واول من وضعها الخليفة عمر بن الخطاب(رض)[12] وقد قدر الخليفة هذه الضريبة فامر ان يؤخذ من تجارة المسلمين(2.5) بالمئة، ومن اهل الذمة(5)

---

(1)تاريخ خليفة بن خياط، مج 1، ص319. انظر، الطبري، تاريخ مج6، ص 538.

(2)البلاذري، فتوح البلدان، ص ص 411، 412. الطبري، تاريخ، مج 6، ص536.

(3)سورة الانفال، الآية 41.

(4)الطبري ، نفسه، مج 6، ص ص 431-433.

(5)المصدر نفسه، مج 6، ص 538.

(6)اليعقوبي، تاريخ، مج 2، ص 300.

(7)الطبري، نفسه، مج 6،ص 397.

(8) المصدر نفسه ،مج 6، ص ص431، 432.

(9)فتوح البلدان،ص 538. ابن الاثير، الكامل في التاريخ،مج 4، ص 536.

(10)انظر على سبيل المثال، ابن قتيبة الدينوري (ت 676) ، الامامة والسياسة،تحقيق علي الشيري ، دار الاضواء ، بيروت "1، 1990،مج2/ص ص 63، 64، 67، 77، ابن عذاري، البيان المغرب، ،مج 1، ص ص 40، 43، 4،مج 2، ص18.

(11)الدكتور مُحَمَّد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية،ص 138.

(12)ابو يوسف، الخراج، 135. ابن سلام، الاموال، ص 68.

بالمئة، ومن الاجانب(10) بالمئة[1] (من كل ما مر على العاشر وكان للتجارة، وبلغ قيمة ذلك مئتي درهم فصاعدا... وان كانت قيمة ذلك اقل من مئتي درهم لم يؤخذ منه شيء)[2].

وقد كانت هذه الضريبة تؤخذ على التجارة مرة واحدة في السنة مهما تكن مرورها[3]. اما التجارة في الداخل فلم تفرض عليها ضريبة[4].

وكان الموظف المسؤول عن جباية هذه الضريبة يطلق عليها اسم العاشر، وقد اشترط فيه ان يكون من اهل التقوى، ولا يتعدى على التجار او ياخذ منهم اكثر مما يجب[5].

وكانت مراصد المكوس منتشرة في كل انحاء الدولة العربية في البر والبحر والنهر[6] وقد اشارت المصادر الى ان ماصر دجلة في العصر الاموي كان بواسط[7].

لاتوجد اية اشارة عن مقدار ما تجبيه الدولة في العصر الاموي من هذه الضريبة، الا انه لابد ان هذا المصدر كان يكون نسبة لابأس بها من واردات بيت المال آنذاك وذلك لنشاط الحركة التجارية[8].

المصروفات

العطاء والرزق:

لقد كانت الاموال التي تحصل عليها الدولة العربية في عهد الرسول(ص) وعهد الخليفة ابو بكر الصديق(رض) قليلة نسبيا، فكان اذا ورد مال الى المدينة يفرق بين مستحقيه[9] اما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رض) فقد كثرت اموال الدولة العربية من جراء حركات التحرير التي تمت انذاك في العراق والشام، وشمال افريقيا، حيث صارت بايدي العرب مقاطعات واسعة وغنية فرض عليها الخراج فأصبحت تعطي دخلا سنويا كبيرا وثابتا، كان مصدرا مهما لبيت المال آنذاك[10].

ولابد ان تنظيمات الخليفة عمر(رض) كانت قد تعرضت لتغييرات عديدة احدثت فيها في العصر الاموي، وذلك لتلافي المشاكل التي ظهرت فيما بعد، وبفضل التطور الذي حصل في اجهزة ومؤسسات الدولة العربية انذاك، الا انه

(1)المصدر نفسه ، م 68. ابن ادم، الخراج، ، مج 1ً، ص11؛مج 4،ص 129.

(2)المصدر نفسه ، 132، 133؛ نفس المصدر ،مج 1، ص11.

(3)المصدر نفسه ، 123، ابن سلام،الاموال، ،ص 535.

(4)الماوردي، الاحكام السلطانية،ص 198.

(5) ابو يوسف، الخراج، ص 32.

(6) انظر، ميخائيل عواد، الماصر في بلاد الروم والمسلمين، ص7، وما بعدها.

(7) الدكتور عبد القادر المعاضيدي، واسط في العصر الاموي، ، ص 333.

(8) المرجع نفسه ،ص 334.

(9)ابن الطقطقي مُحَمَّد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،تحقيق عبد القادر مُحَمَّد مايو، دار القلم العربي، بيروت، ط1 ، 1997 ،ص 83.

(10)ابو يوسف، الخراج، ص ص 24، 42-44. ابن سلام، الاموال، ص 224.

ليست لدينا اية اشارة عن هذه التغيرات او تاريخ حدوثها[1] لقد كان الحد الاعلى للعطاء في العصر الراشدي الفان وخمسمائة درهم ويدعى شرف العطاء[2] وقد انقص الخليفة معاوية بن ابي سفيان هذا المقدار وجعله الفي درهم[3].

اما الحد الادنى من العطاء في العصر الاموي فقد كان يتراوح ما بين مائتين الى ثلاثمائة درهم سنوياً، والراجح ان هذا المقدار من العطاء ما كان يأخذه اغلبية المقاتلة انذاك[4]. ونجد ما يشير الى ان بعض المقاتلة كان عطاءهم اربعمائة درهم[5] وخمسمائة درهم[6]، وسبعمائة درهم[7] وكان بين المقاتلة من ياخذ عطاء مقدار الف وستمائة درهم، والف وثمانمائة درهم[8].

ولعل السبب في وجود هذه المقادير المختلفة من العطاء هو ما يبديه بعض المقاتلة من بسالة في اثناء المعارك، فقد كان الخلفاء والامراء يزيدون عطاء المقاتلين الذين يبدون شجاعة في اثناء معارك التحرير العربية[9]، او ما يجهزون انفسهم من سلاح وخيل فقد كان الفارس يأخذ عطاءا اكبر مما يأخذه الراجل[10].

لقد كان العطاء يدفع سنويا في شهر محرم في بداية السنة الهجرية، وهذا ما جرى عليه دفع العطاء في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رض)[11].

اما في العصر الاموي فقد كان العطاء يدفع في هذا الشهر ايضا[12] وهناك اشارات الى ان العطاء في هذا العصر لم يدفع في وقته المحدد، وربما كان لجباية الجزية والخراج دخل في ذلك لان هاتين الضريبين كانتا تشكلان المورد الرئيسي لبيت المال انذاك[13].

وكان الخلفاء والامراء قد اشترطوا على اهل العطاء ان يجهزوا انفسهم بالاسلحة ومتطلبات القتال الاخرى فقد ذكر ابن سعد ان الخليفة عمر بن عبد العزيز حين اخرج العطاء وجه كتاباً الى ولاته جاء فيه:(لا تقبل من رجل له مئة دينار الا فرس عربي ودرع وسيف ورمح ونبل)[14] واذا لم يذهب صاحب العطاء الى القتال يمحى اسمه من ديوان الجند[15]. ولا يعفى من ذلك حتى الخلفاء فقد ذكر الطبري(انه لم يكن احد من بني مروان ياخذ العطاء الا وعليه الغزو، فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بدلا، وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب، فكان ياخذ عطاء هشام مائتي دينار، ودينار

---

(1)عبد القادر المعاضيدي، واسط في العصر الاموي، دار الحرية للطباعة بغداد ، ط1 ، 1976، ص ص 345، 346.

(2)ابن سعد ، مج 5، ص ص 255،مج 6، ص151.

(3)الطبري،242/5. الاغاني،مج 4، ص94؛ مج 16، ص165.

(4)البلاذري ، انساب الاشراف، 273(طبعة اهلورت). الطبري، تاريخ223/5. اخبار الدولة العباسية، 376.

(5)انساب الاشراف، 354/5.

(6)الطبري، تاريخ، 223/5.

(7)انساب الاشراف، 354/5.

(8)الاغاني، الاصفهاني ، 23/ 460، 461.

(9)ابن قتيبة، عيون الاخبار، 211/2. الطبري، تاريخ، 6/ 310.

(10)ابن سعد، 258/5. انساب الاشراف، 273(طبعة اهلورت)

(11)انظر، الطبري، تاريخ، 42/4، 43.

(12)انظر، الطبري، 218/7، 262، 263.

(13)الدكتور صالح احمد العلي، التنظيمات، 137.

(14)الطبقات ، مج 5، ص258. انظر ، انساب الاشراف، 273(طبعة اهلورت). الطبري، مج 3، ص615،مج 6، ص328، 23.

(15) الاصفهاني ، الاغاني، مج 11، ص193.

يفضل بدينار، فياخذها يعقوب ويغزو، وكانوا يصيرون انفسهم في اعوان الديوان، وفي بعض ما يجوز لهم المقامه به. ويوضع به الغزو عنهم)[1]. اما البديل فكان يعطي اجراً وليس عطاءاً[2].اما توزيع العطاء فقد كان يتم من قبل العرفاء والنقباء، وكان المقاتلة يستلمونه من قبل هؤلاء في دورهم[3].

واضافة الى العطاء قرر الخليفة عمر بن الخطاب(رض) لكل شخص جريبين من الحنطة شهريا[4] وقدر هذا المقدار من الرزق بالنسبة لحاجة الفرد اليومية، فقد روي البلاذري: ان الخليفة عمر(رض):(امر بجريب من طعام فعجن، ثم خبز ثم ثرد بزيت، ثم دعا بثلاثين رجلا فاكلوا منه غداءهم، حتى اصدرهم، ثم فعل بالعشي مثل ذلك، فقال يكفي الرجل جريبان كل شهر، فكان يرزق الناس الرجل والمراة والمملوك جريبين كل شهر)[5].

وكان يوزع الى جانب الحنطة والشعير، الزيت، والخل، والعسل[6] وقد اهتم الخلفاء والامراء الامويون بتنظيم الارزاق وتوزيعها في بداية كل شهر[7] وقد كانت هذه الارزاق تخزن عادة في دار خاصة بها كان يطلق عليها (دار الرزق) او(مدينة الرزق) لسعتها[8].

رواتب الموظفين:

كانت الدولة العربيةفي العصر الأموي تضم عدد ضخم من الموظفين، وكان هؤلاء الموظفون يتقاضون رواتب معينة كانت تختلف عادة باختلاف الوظيفة والعمل. كما كانت تشكل جزءا مهما من مصروفات بيت المال.

لاريب ان رواتب امراء الامصار كانت اعلى من رواتب بقية الموظفين الاخرين كما كان يجري لهم مخصصات اضافية الى جانب رواتبهم، فقد كان راتب امير البصرة زياد بن ابيه (45-53هـ/665-672) خمسة وعشرين الف درهم سنوياً[9]، اما مخصصاته فقد كانت مائة الف درهم[10] وكان راتب امير العراق يزيد بن هبيرة الفزاري(28-132هـ/745-749م) ستمائة الف درهم سنوياً[11] وكانت مخصصات امير العراق الحجاج بن يوسف القفي(75-95هـ، 694-713م) خمسمائة الف درهم سنويا[12].

وكان راتب عمال الاقاليم في المشرق في عهد زياد بن ابيه الف درهم[13] وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) كان راتب صاحب الشرطة مائة الف درهم سنوياً[14]وكان راتب قاضي الفسطاط في عهد معاوية

---

(1)تاريخ الرسل والملوك، مج 7، ص202.

(2)الطبري ، انساب الاشراف، ج1، ق1،ص 24.

(3)الطبري، تاريخ، مج 4، ص49.

(4) البلاذري ، فتوح البلدان، 564؛ الطبري، المصدر السابق ، مج 3،ص615.

(5)المصدر نفسه ، ص 564؛ الطبري، المصدر السابق، مج3،ص615.

(6)فتوح البلدان، ص ص 252، 564.

(7)ابو يوسف، الخراج،31. ابن سلام، الاموال، 518. انساب الاشراف ، مج 4، ص288. الطبري ،مج 7، ص81.

(8)الطبري، تاريخ الرسل ،مج 5، ص222،مج 6، ص67.

(9))اليعقوبي، تاريخ، 224/2.

(10)المبرد، الكامل، 231.

(11)ابن خلكان، وفيات الاعيان، 5/ 364.

(12)انساب الاشراف، 5/ 330، 331.

(13)اليعقوبي ،تاريخ،مج 2، ص 234.

(14)البلاذري ، انساب الاشراف، ، 177/5.

بن ابي سفيان(41-60هـ/661- 680م) ثلاثمائة دينار[1] وراتب قاضي الكوفة ابو ليلى مائة وخمسون درهم وقيل مائتي درهم[2]. رواتب قاضي البصرة ياس ابن معاوية كان مائة درهم وراتب قاضي الفسطاط في عهد مروان الثاني(127-132هـ/744-750م) كان مائتان واربعون دينار[3].اما اصحاب الدواوين فقد كان رابتهم ثلاثمائة درهم شهريا[4] وكان راتب كتاب الدواوين ثلاثين درهم شهريا[5]. اما المحتسب فقد كان ياخذ اجرا على عمله الا اننا لا نعلم مقدار هذا الاجر[6].

الخدمات العامة:

لقد اهتمت الدولة العربية في العصر الاموي بالخدمات العامة، كان الهدف منها تقديم المساعدة وتوفير الراحة لابناء الشعب، فالخليفة الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م) امر بتقديم الطعام في المساجد في شهر رمضان المبارك[7] كما امر ببناء دار ضيافة ومستشفى للمرضى، وتخصيص خادم للمرضى المزمنين، والمجذمين، والعميان، واجرة عليهم الارزاق[8].

اما الخليفة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-720م) فقد امر ببناء الخانات خدمة للمسافرين[9]، ولما حدثت مجاعة في عهده امر بمساعدة الناس من بيت المال[10] وخصص لمن يعلم الفقه وقراءة القران الكريم في المساجد مائة دينار سنويا[11].

كما اهتمت الدولة بنظافة المدن، فأمير العراق زياد بن ابيه عين جماعة كانوا مسؤولين عن تنظيف الشوارع في البصرة[12] وكان امير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي مهتماً بنظافة واسط[13].

نفقات المنشآت العامة:

كانت الدولة العربية هي المسؤولة عن بناء المدن وتحصيناتها واسوارها، وبناء المنشات العامة، فكان يتم بناء دور الامارة والمساجد الجامعة، والاسواق، والدواوين، ودور الرزق، والسجون، والقناطر والجسور وحفر الانهار وكريها، واقامة السدود وسد البثوق من بيت المال. وقد جاء في المصادر اشارات الى مقدار ما انفقته الدولة العربية في العصر الاموي من اموال

---

(1)الكندي، القضاة والولاة، ص 317.

(2)رفيع، اخبار القضاة،مج 3، ص180.

(3)نفسه،مج1، ص342.

(4)الكندي، نفسه، ص 354.

(5)الجهشياري، الوزراء والكتاب ، ص126.

(6)المصدر نفسه ، ص 113.

(7)اليعقوبي، نفسه،مج 2، ص291.

(8)نفسه، ص290.

(9)الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، مج 6، ص 597.

(10)انساب الاشراف، مج 5، ص112.

(11)ابن كثير، البداية والنهاية، مج 9، ص207.

(12)حضارة العراق، 5/ 396.

(13)عبد القادر المعاضيدي، واسط في العصر الاموي، 111.

بهذا الخصوص، فالحجاج بن يوسف الثقفي عندما انشاء مدينة واسط سنة 81هـ/700م انفق على بنائها ثلاثة واربعين الف الف درهم[1] وعندما انبثقت البثوق في العراق في عهده انفق على سدها ثلاثة ملايين درهم[2].

ولما حفر امير العراق خالد بن عبدالله القسري نهر المبارك بواسط بلغت كلفته اثني عشر مليون درهم[3] وفي عهد امير العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز تم حفر النهر المعروف بنهر بن عمر بالبصرة، وقد كانت كلفته ثلاثمائة الف درهم[4].

النفقات العسكرية:

كان على الدولة العربية الانفاق من بيت المال على الجيوش العربية البرية والبحرية التي كانت توجهها في حركات التحرير ،ومع ان المصادر لا تشير الى تكاليف جميع الحملات العسكرية، الا انه مما لا شك فيه ان الخلفاء والامراء الامويين كانوا قد انفقوا اموالا طائلة على نقل هذه الجيوش وتجهيزها والتي كانت تقاتل في جبهة واسعة تمتد من جبال البرنس غرباً حتى الصين شرقاً.

الحضارة العربية الاسلامية في العصر الاموي

أولاً: النظم الإدارية: {الدواوين}

يعد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب اول من من ادخل نظام الديوان الى الدولة العربية الاسلامية بعد ان اصبحت المدينة عاصمة لدولة مترامية الاطراف عظيمة الموارد، مما حتم ظهور انظمة ومؤسسات تتناول تنظيم موارد الدولة ووجوه الانفاق عليها، ولم تلبث تلك النظم ان تطورت تبعاً لحاجة الدولة واستجابة للظروف التي طرأت على حياة المجتمع خلال العصر الأموي فظهر عدد من الدواوين اختص كل منها النظر في شأن من شؤون الدولة.

أ- ديوان الجند:

كان ديوان الجند او يوان العطاء قد وجد منذ خلافة عمر بن الخطاب، فقد أكد المؤرخ الطبري ذلك وقال انه فرض الفرض للمسلمين ودون الدواوين في العام الخامس عشر للهجرة[5] ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وأمرهم بكتابة الناس على منازلهم، فتم وضع ديوان الجند او ديوان العطاء على ثلاثة أسس في مقدمتها أساس النسب والقرابة من رسول الله ﷺ ثم أساس السبق في الإسلام ثم التفضيل في الشجاعة والبلاء في الجهاد، وقد ظلت هذه الاسس معتمدة خلال العصر الأموي مع بعض التطورات البسيطة التي ادخلها بعض خلفاء الأمويين وولاتهم من حيث زيادة عطاء بعض الفئات من الموالي، كما حاولوا تغيير التنظيم العسكري واصلاحه عن طريق مزج القبائل وربطها برابطة جديدة اكثر قوة من رابطة القبيلة[6]، كما وضح ذلك من محاولة أسد القسري سنة (107هـ) بنقل الجند من البروقان الى بلخ، فقد كان الجند في الأولى منقسمين الى أخماس أما في بلخ فقد خلطهم وأسكنهم دون أخذ التقسيم

(1)المصدر نفسه ، 357.

(2)البلاذري ، فتوح البلدان360.

(3)المبرد،الكامل 3/ 1283.

(4)البلاذري ، فتوح البلدان، 455.

(5) الطبري،تاريخ الرسل والملوك ، ج4، ص163.

(6)فاروق عمر وآخرون، النظم الاسلامية، بغداد، 1987، ص150.

القبلي بنظر الاعتبار[1]، كما اتخذ الخليفة هشام بن عبد الملك موقفاً عملياً حين أمر واليه الجنيد بن عبد الرحمن بأن يسقط من الديوان (العطاء) أسماء المقاتِلة الذين يرفضون القتال، وأمره بأن لا يضغط عليهم لأنه سيرسل اليه مقاتِلة غيرهم يرغبون في القتال.

في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) بين احكام الجزية والخراج وعشور الارض وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في مصر وبلاد الشام، وكان وراء هذا الاختلاف اللغات التي كانت الدواوين تكتب بها في الاراضي المفتوحة، فعزم عبد الكل على اعتماد نظام موحد في الدولة العربية الاسلامية، وأعطى أوامره الى اعماله في الأقاليم للقيام بمهمة تعريب الدواوين[2].

ب- ديوان الرسائل:

يختص هذا الديوان بالإشراف على الرسائل الواردة من أقاليم الدولة العربية الاسلامية، ولم يكن له وجود في عصر الخلفاء الراشدين وإنما استحدث في عهد معاوية بن ابي سفيان، كان القائم على هذا الديوان يختار من الرجال المعروفين بأمانتهم وعلو مكانتهم وخلوص اسرارهم[3]، كما ان هذا الديوان كان يشرف على الرسائل الموجهة من الخليفة الى عماله، وقد تعددت اختصاصاته بمرور الزمن وتزايد عدد العاملين فيه، فكان بعضهم يقوم بالإنشاء والبعض الآخر يساعد في التلخيص والتبييض، كما اصبح لهذا الديوان محفوظات خاصة يتولى الاشراف عليها موظف خاص يعرف بالخازن، فكانت أصول المراسلات ونسخها تنظم في سجلات او مغلفات خاصة تعرف بالأضابير، توضع عليها بطاقات توضح محتوياتها ليسهل استخدامها والرجوع اليها[4].

ج- ديوان الخاتم:

يعد ديوان الخاتم من اكبر الدواوين التي عرفها العصر الأموي، ويرجع انشاءه الى معاوية بن ابي سفيان الذي حرص على ان لا تخرج التوقيعات بدون ختم فلا يعلم ما تحتويه من اسرار احد سوى الخليفة وحده ولا تتعرض هذه التوقيعات للتزوير والتعديل, ويشير الطبري الى الاسباب التي دفعت معاوية الى ختم الكتب الصادرة عن الخليفة, فذكر ان معاوية كان قد امر لعمر بن الزبير عند زياد بن ابيه بالكوفة بمئة الف درهم, ففتح بها عمر وحبسه حتى قضاها عنه اخوه عبد الله بن الزبير, فاتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم من قبل[5] واسند معاوية ديوان الخاتم الى عبد الله بن محصن الحميري حسب رواية الطبري[6] في حين يذهب السيوطي الى القول بأنه ولى عبد الله بن أوس الغساني مهمة الإشراف على ديوان الخاتم[7].

بان معاوية وقد ضم هذا الديوان عدداً من الكتاب القائمين على انفاذ كتب الخليفة والختم عليها اما بالعلامة او بالحزم، وكان الحزم يتم عن طريق لصق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب، وقد يجعل على مكان الإلصاق

(1)الطبري، ج7، (الطبعة الحسينية)، ص79.
(2)سالم، تاريخ الدولة العربية، ص678.
(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 2436.
(4) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، 1963، ص36.
(5) الطبري، ج6، ص184.
(6) الطبري، ج6، ص184.
(7) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص187.

علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه[1]، كما كان للخليفة ختم خاص قد يستعمله للأمور المهمة والخاصة من أجل الحفاظ على سريتها.

د- ديوان البريد:

كان الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان أول خليفة ينشئ نظام البريد وذلك عندما اتسع نطاق الدولة، واصبح من الضروري نقل الرسائل وتسهيل الاتصال السريع بين العاصمة وأقاليم الدولة المختلفة، اي ان البريد لم يكن يستخدم من قبل الرعية في نقل رسائلهم إلا بعد حين، فمهمة ديوان البريد الأولى نقل الاخبار بين الولايات الى الخليفة بما يجري هناك تفصيلاً، كما انه كان يتولى ينقل حاجيات الدولة ويشرف على المسالك والطرق ويرسم الخرائط المناسبة للأقاليم[2].

ومن اجل تسهيل الاتصال السريع بين الخليفة وعماله في الامصار كانت توضع مضمرات الخيل في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يؤمن وصوله الى المكان المقصود بسرعة[3].

القضاء:

كان القضاء في العصر الأموي بسيطاً كما كان الحال عليه خلال عصر الخلفاء الراشدين ذلك ان المذاهب الأربعة لم تكن قد ظهرت بعد، فكان القاضي يعتمد على الاجتهاد في الاحكام مستعيناً في ذلك بالكتاب والسُنة والاجماع والقياس.

وقد انقسم القضاء في العصر الأموي الى قضاء شرعي وقضاء مدني، فكان القاضي الشرعي يستمد احكامه من مصادر الشريعة الاسلامية، أما القضاء المدني فيتولاه المحتسب[4]، وكثيراً ما جمع القضاة الشرعيون بين السلطتين الشرعية والمدنية، أما القضايا التي يستعصي حلها على القاضي الشرعي فكان يفصل فيها قاضي المظالم الذي تفوق سلطته القضائية سلطة القاضي والمحتسب[5]. وقد أقر خلفاء بني أمية ديواناً خاصاً للنظر في المظالم، ويرجع الفضل في نشأته الى عبد الملك بن مروان. فكان إذا وقف على مشكلة احتاج فيها الى حكم منفذ ردها الى قاضيه ابي إدريس الازدي فينفذ فيها احكامه[6].

اهتم عمر بن عبد العزيز اهتماماً كبيراً برد المظالم الى اصحابها فبدأ بنفسه ثم بأهله وأقاربه فقلص مصاريف الخلافة وجلس على الحصير، ووزع مزارعه وردّ بعضها على ما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ، وصادر أموال وحلي زوجته فاطمة بنت عبد الملك وردها الى بيت المال، وردّ مظالم بني أمية على أهلها، ونظر بالمظالم الشخصية والمظالم العامة

(1) ابن طباطبا، ص107؛ عبد العزيز ، سالم، تاريخ الدولة العربية، ص680.

(2) عبد العزيز سالم،الفخري في الاداب السلطانية، ص680-681؛ فاروق عمر، اخبار الدعوة العباسية ، ص81.

(3) ابن طباطبا، الفخري، ص16.

(4) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص74.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص392.

(6) الماوردي،الاحكام السلطانية ص24.

التي تخص أهالي بلد بأكمله كإخراج المفروض على أهل اليمن من واليها مُحَمَّد بن يوسف الثقفي وقد أمر عمر بأن يأخذ عليها العُشر او نصف العُشر[1].

سكه الحجاج بن يوسف الثقفي، وتعد العملات التي سكها عمال بنو أمية في العراق أجود العملات التي عُرفت بأسمائها، مثل: الهبيرية، الخالدية واليوسفية[2].

الطراز:

عرفت مصانع النسيج بدور الطراز وهي لفظة فارسية معناها تطريز وعمل المدبج او الشريط الكتابي الذي ينسج في لحمة الثوب وسداة، ثم تطورت هذه اللفظة حتى اصبحت تعني المصنع الحكومي الذي تصنع فيه الثياب[3].

ولم يدخل الأمويون اي تغيير جوهري على صناعة النسيج السابقة على الاسلام، واكتفوا بإضافة الكتابة العربية التي تشير الى اسمائهم مع كلمات اخرى تجري مجرى الفأل او السجلات[4]. وكانت الدور المعدة لنسيج الأثواب الخلافية تسمى دور الطراز الخاصة، تميزاً عن دور طراز العامة التي تتولى صناعة ثياب الرعية وكان يتولى النظر على هذا الدور موظف يسمى صاحب الطراز ويتولى الاشراف على امور الصباغ والأنوال الحاكة الذين يعدون الحلل والبرود وغيرها، وفي تأميم أرزاق العمال[5]. ومن المعروف ان صناعة النسيج كانت قد ازدهرت في مصر قبل الاسلام، وكان الأقباط هم الذين برعوا في هذه الصناعة حتى اطلق العرب على المنسوجات المصرية اسم قباطي[6]، وقد عملوا على الافادة منها في كسوة الكعبة، ومنح الخلع، كما أدى ذلك الى نهوضهم بهذه الصناعة ودفعها الى الأمام، وقد وجدت صناعة النسيج اهتماماً وتشجيعاً من لدن خلفاء بني أمية، ففي عصر سليمان بن عبد الملك شاع نوع من الترف والتأنق في الزي حيث فرض على رجاله وأهل بيته وخدمه ارتداء الموشي لشدة ولعه بهذا النوع من النسيج الذي تدخل فيه خيوط الذهب ويعرف ايضاً المقصب، وفي عهده عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية، ولبس الناس جميعاً الوشي جباباً وأردية وسراويل وعمائم وقلانس[7].

الجيش:

كان الجيش خلال القرن الأول للهجرة يتكون في أساسه من العنصر العربي بحكم ان العرب هم مادة الاسلام، إلا ان ذلك لم يكن حائلاً دون مشاركة بعض العناصر غير العربية التي دخلت الاسلام كالفرس والروم وغيرهم من سكان المناطق الشرقية، مثل بخارى وسمرقند وفرغانه، وقد مُنح هؤلاء حقوق المقاتلة العرب نفسها من حيث العطاء والرزق من أجل كسبهم للإسلام، كما سمح لهذه العناصر بالتحالف والارتباط بأية قبيلة شاءوا او الاحتفاظ باستقلاليتهم[8].

---

(1) عطا سلمان جاسم، النظر في المظالم في الخلافة العربية الاسلامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985، ص ص172-178.

(2) الهبيرية، نسبة الى عمر بن هبيرة، والخالدية نسبة الى خالد بن عبدالله القسري، أما اليوسفية فنسبة الى يوسف بن عمر.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص471-472.

(4) نفسه، ص472.

(5)سالم، تاريخ الدولة العربية، ص686.

(6) الأزرقي، أخبار مكة، ج1، ص260.

(7)سالم، تاريخ الدولة العربية، ص687.

(8) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص220.

هناك فئة اخرى ضمن عناصر الجيش في العصر الأموي هي الموالي العتاقة اي الرقيق الذي أُعتقوا من الدولة او من قبل أسيادهم لأسباب عديدة، ولم يكن لهذه الفئة نصيباً في العطاء بل انهم اذا اشتركوا في المعارك مع أسيادهم الذين تربطهم بهم رابطة الولاء يأخذون نصيبهم من الغنائم فقط، كما ان بعضهم كان يفرض لهم في العطاء إلا ان عطائهم كان أقل من عطاء المقاتلة العرب، ومن الملاحظ ان السلطة الأموية اتجهت الى زيادة عطاء هذه الفئة من الموالي[1].

والجدير بالذكر ان المؤسسة العربية الاسلامية طوال فترة الاسلام كانت تعتمد على مبدأ الأمة المقاتلة الذي اثبتت فاعلية كبيرة خلال عصر النبوة والخلافة الراشدة، إذ ان المقاتلين كانوا يقتلون من أجل العقيدة الاسلامية ويعدون ذلك جهاداً في سبيل الله لنشر الاسلام وتوسيع رقعة الدولة العربية الاسلامية. أما في العصر الأموي فقد حرص الخلفاء وولاتهم على الأمصار على أن يربطوا مصلحة القبائل العربية المقاتلة ولا سيما في بلاد الشام بمصلحة عناصر الجيش، غير ان نجاح السلطة المركزية في الأقاليم البعيدة عن مركز الدولة كان يتوقف الى حد كبير على خلق الظروف والاوضاع التي تحفز المقاتلين على المشاركة في الحرب وذلك من خلال توثيق العلاقة الجيدة بين الولاة ورؤساء القبائل هناك[2]. كذلك عمد خلفاء بني أمية على انتهاج سياسة خاصة في الشام، فجعلوا في كل جند من بلاد الشام قبيلة معينة فسكن في جند قنسرين قبائل قيسية في غالبيتها، أما جند دمشق فقد كانت غالبة عليها قبائل كلب وجذام. في حين كانت اليمانية غالبة على جند حمص، وقد كان لهذا الاجراء أثراً في إبعاد القبائل ولو لفترة محدودة عن الصراعات الداخلية ومكنت الخلفاء الأمويين على ان يحفظوا التوازين بين هذه القبائل. وقد أشار الطبري الى ان بعض خلفاء بني أمية او ولاتهم قد قاموا بمحاولات لتغيير التنظيم العسكري المعمول به واصلاحه عن طريق دمج القبائل وربطها برابطة جديدة اكثر قوة من رابطة القبلية، فذُكر ان الوالي الأموي أسد القسري حاول سنة (107هـ) نقل الجند من البروقان الى بلخ وأسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسيم القبلي، حيث كان الجند في البروقان منقسمين الى أخماس[3]. كذلك بذل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جهوداً كبيرة من أجل التخفيف من أثر النفوذ القبلي عندما أمر نصر بن سيار بن عبد الرحمن بأن يسقط من الديوان (العطاء) أسماء المقاتلة الذين يرفضون القتال، وأمره بأن لا يضغط عليهم، وانه سيوجه اليه مقاتلة جدد ممن يرغب في القتال. مما يؤكد ادراك الخليفة بوجود بعض المقاتلة ممن لا يرغبون في القتال وليس للسلطة ان تحملهم على ذلك[4].

ولا شك ان غياب الجيش النظامي الدائم والمرتبط بالدولة قد جعل الخلافة الاموية تخضع لميول وأهواء شيوخ القبائل في أقاليم الدولة المختلفة، غير انه لابد من الاشارة الى وجود وحدات شبه نظامية دائمة في العصر الأموي مثل كتيبة الحرس الخاص بالخليفة التي اطلق عليها معاوية اسم (الغمامة)، هذا بالإضافة الى الكتائب التي كانت ترابط في المدن المهمة كما ظهرت أواخر العصر الأموي كتائب بأسماء قادتها وكانت أقرب الى الفرق العسكرية النظامية وكان مروان بن مُحَمَّد آخر خلفاء بني أمية قد أدخل نظام الكراديس او الكتائب إلا ان الوالي الأموي أسد القسري حاول سنة (107هـ) نقل الجند من البروقان الى بلخ وأسكنهم في هذه المدينة دون الأخذ بالتقسيم القبلي للمقاتلة بدلاً من الصفوف، ويعني هذا النظام من التعبئة العسكرية تقسيم الجيش الى خمسة أقسام رئيسية، المقدمة ثم الميمنة ميسرة وقلب

(1) فاروق عمر وآخرين، النظم الاسلامية، بغداد، 1987، ص147.

(2)فاروق عمر وآخرين، النظم الاسلامية، ص149.

(3) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك ، ج7، ص41.

(4) فاروق عمر وآخرين، النظم الاسلامية، ص150-151.

في الوسط، ثم كتيبة في الخلف وراء الجيش تعرف بالساقة، وكانت هذه الكتائب تعبأ على شكل أهلّة أو مربعات أو مثلثات[1].

صنوف الجيش

كانت الصنوف الاساسية التي بتألف منها الجيش العربي الاسلامي تتألف من الخيالة (الفرسان) والرجالة (المشاة) ،والرماة (النشابون) ، ثم اضيفت اليها صنوف اخرى اقتضتها طبيعة المعركة ، مثل المنجنيقيين ،والدبابين ، كما اقتضت الضروة ايضاً ايجاد وحدات عسكرية اخرى كانت تقوم بتهيئة كل مستلزمات المعركة من ادوات الحصار وشق الطرق ،وبناء المعسكرات ،وأخلاء الجرحى ،والتجسس على العدو وسنشير فيما يأتي الى كل صنف من هذه الصنوف لنتعرف على دوره وواجباته في المعركة.

1.الخيالة (الفرسان)

أهتم العرب بالخيل اهتماماً كبيراً ،ويعود هذا الاهتمام الى عهود مبكرة سبقت الاسلام ، وقد ازدادت الحاجة الى الخيل في الاسلام ، لاسيما بعد فرض الجهاد لضرورتها في ساحات القتال ، لهذا اقتناها الرسول (ص) وشجع المسلمين على تربيتها تطبيقاً لقوله تعالى : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرن من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ...)[2]، وقال الرسول عنها ايضاً : (الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، اتخذوا من نسلها وباهوا بصهيلها المشركين[3]، ولهذا فقد حرص العرب على اقتنائها والاكثار من عددها من معركة الى أخرى ، فمن فرسين فقط كانا مع المسلمين في معركة بدر ازداد العدد الى عشر الاف في غزوة تبوك ،وتضاعف أربع مرات اخرى ، حتى قيل ان الخليفة عمر بن الخطاب(رض) ومن كان يحمل الناس على أربعين ألف فرس [4].

لهذا ازدادت قوة الفرسان في عصر الراشدين ، حتى ان الخليفة عمر خصص قوات من الفرسان تبلغ أربعة الاف فارس في كل مصر من الأمصار الاسلامية مهيئة عند الضرورة لتكون عدة للطوارئ ، اذا ما تعرض ذلك المصر الى خطر مفاجئ وقد تطورت فرق الفرسان بعد قيام الدولة الأموية ، وتوالي انتصارات العرب على جبهات القتال فكانت معظم القوة العربية الضاربة في العصر الأموي تتألف من الفرسان بالنظر لاهمية هذا الصنف في تقرير النتائج النهائية للمعارك ،وكانت تقع على كتائب الفرسان واجبات عديد لما تمتاز به من سرعة الحركة والمناورة ،وقوة الصدمة ،ومن أهم هذه الواجبات الهجوم ،والالتفاف ،والمطارة ،والاستطلاع ،والحماية [5].

أما أسلحة كتائب الفرسان ، فكانت تتألف من الاسلحة الرئيسية المعروفة ، وهي السيف والرمح والقوس ،وقد استخدم الفرسان هذه الأسلحة جميعاً ببراعة فائقة.

---

(1)العبادي وآخرون، الحضارة الاسلامية، ص 19.

(2)سورة الانفال ، آية 60.

(3)مُحَمَّد بن عمر بن واقد الواقدي ،، كتاب المغازي ، تحقيق ، مارسدن جونس ، ط2 ، بيروت ، عالم الكتب ، 1984 ، 3/1019 -1020.

(4)محمود احمد مُحَمَّد سليمان عواد ، الجيش والقتال في صدر الاسلام ، الاردن – الزرقاء ، مكتبة المنار ، 1987 ، ص416.

(5)الجنابي ، المرجع السابق ،ص ص117-119.

وامتاز على اعدائهم بذلك ، كما زودوا خيولهم بالركاب من الحديد في بداية العصر الأموي ،ويذكر أن المهلب بن ابي صفرة كان أول من اتخذ الركاب من الحديد ،وكانت الخيول تدرع ايضا بدروع من الجلد او الحديد لحمايتها من أسلحة العدو.[1]

2-الرجالة (المشاة)

الرجالة هم الجند الذين يقاتلون وهم راجلون ، كانوا يؤلفون القسم الاعظم من القوات العربية ،ومهمتهم الأساسية في القتال هي الاصطدام المباشر مع العدو وتحطيم قوته الرئيسية والتقدم في صفوف متراصة وفي ثبات ومن هيئة تلقي الرعب في جنود العدو ،مع التزام الصمت التام ،لأن الهدوء والصمت يساعدان على الضبط ودقة التنفيذ .وكانوا يخرجون عن هذا الصمت للتكبير في حالة مقتل قائد العدو ،أو فرار اعدائهم ، بحيث يكون لهذا التكبير أثره في افزاع قلوب الاعداء ،وتحطيم روحهم المعنوية ومن واجباتهم ايضاً التصدي لقوات الفرسان المعادية ، وابطال حركتهم ،وابعاد خطرهم عن طريق عقر خيولهم ، أو افزاعها وتنفيرها . كما يكلف الرجالة أيضاً واجب الحرسات ، أو السيطرة على المناطق الحيوية مثل المضائق ،والوديان ،والدروب ،وكان الرجالة يلبسون الدروع الواقية من ضربات العدو ، ويضعون على رؤوسهم الخوذ لحمايتها [2].

3-الوماة (النشابون)

الرماة هم الجند الذين يحملون الأقواس التي يرمون منها السهام ويعد هذا الصنف من الصنوف الاساسية للقوات العربية ،وقد برع الرعب في استخدام هذا السلاح الى درجة كبيرة وفاقوا اعداءهم وشهدت معارك التحرير الاولى في عصر الراشدين نماذج من هذه البراعة ، فقد كان لخاد بن الولد فرقة من الرماة ، كان لها دوراً حاسماً في احراز النصر عند حصاره لأهل الانبار سنة 12 هـ / 633م ، فتشير احدى روايات الطبري [3]، الى ان خالدا (تقدم الى رماته ، فأوصاهم وقال اني أرى اقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها ، فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا ففقء الف عين يومئذ فسميت تلك الواقعة ذات العيون)

وقد تطور هذا الصنف في القوات العربية الى درجة كبيرة في العصر الاموي حيث سمى العرب به واشتهرت في العصر الأموي الى جانب الفرق العربية فرقة من رماة البصرة تدعى بالبخارية ، وقد أسلفنا أن عبيد الله بن زياد جاء بهم من بخارى وأسكنهم في احدى محلات البصرة .وقد نقلهم الحجاج بعد بناء واسط الى هذه المدينة ومن المحتمل انه استخدمهم ضمن قواته من جند الشام وكان للرماة دوراً كبيراً في المعارك التي غالباً ما تبدأ بتراشق النبل لايقاع اكبر الخسائر في صفوف العدو ،ولكن دور الرماة يبر في الدفاع اكثر من الهجوم ،لأن الرامي يكون في حالة الوقوف اكثر دقة في الرمي والاصابة من الرامي المهاجين الذي قد تؤثر حركته على دقته في التصويب ، لذلك فإن وضعها المضائق وفق اسوار المدن والقلاع يكون اكثر فائدة[4].

4-المنحيقيون والدبابون

---

(1) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص121-123.

(2) نفسه ، ص121-123.

(3) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص260.

(4) الجنابي ، المرجع السابق ، ص124.

وهؤلاء هم الجند الذين يعملون على آلة المنجنيق لرمي جيوش الاعداء بالحجارة والمواد الحارقة ، والذين يرافقون الدبابات التي تستخدم في التقرب الى أسوار الاعداء لغرض هدمها ،أو احداث ثغرة فيها وهم من صنوف الجيش الفعالة ، لما لهذه الاسلحة من تأثير على سير الحروب وأرباك الجيوش ، لاسيما في حصار المدن وكانت بعض المجانيق المستخدمة كبيرة جداً ، فقد كان لدى مُحَمَّد بن القاسم الثقفي في حملته على السند منجنيق ضخم يقال له العروس ، يعمل عليه وقت الرمي خمسمائة رجل ، نصبه على مدينة الديبل (كراجي الحالية) فأصاب سارية المعبد الرئيس في المدينة الأمر الذي أدى الى تطير العدو من ذلك وجزعه [1]، وقد استخدمت المجانيق في اماكن اخرى وضمن حملات عديدة في العصر الاموي ، ولاشك ان هذه المجانيق الكثيرة كانت تتطلب اعداداً كافية من الرماة والعمال الذين يقومون بتشغيلها ،ونصبها واصلاحها.

أما الدبابون ، فكان عملهم ينحصر في دفع الدبابة وهم محتمون في داخلها من حجارة الاعداء وسهامهم . وحينما يقتربون من اسوار العدو تبدأ مهمتهم الأساسية برمي المواد المشتعلة ، ونقب الاسوار بالمعاول والفؤوس بهدف احداث ثغرة فيها ،ويبدو أن صنف الدبابين كان ثانوياً في العصر الأموي ، لعدم استخدام هذا السلاح على نطاق واسع : ومع هذا فقد وردت اشارة الى استخدام الدبابة في الأندلس من قبل موسى بن نصير حينما حاول حصار مدينة ماردة ، فقد أمر بعمل (دبابة فدب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها ...)[2].

5–الفعلة :

تطلبت الحروب الكثيرة التي خاضها الجيش العربي الاسلامي وجود فئات متعددة من الرجال الذين لايدخلون ضمن الصنوف المقاتلة ، لأن مهامهم كانت تتركز على الاعمال الادارية ،والقيام بشق الطرق ،وحفر الخنادق ،وإقامة الجسور ،والقناطر ،وجفر الآبار ،وردم الخنادق ،وغيرها من العمليات التي تتطلبها طبيعة المعارك المتنوعة والمتسعة في العصر الأموي .وقد استعان قادة الجيش بالعمال وأصحاب المهن والحرف من البنائين والنجارين والحدادين من أهالي المناطق المحررة ،أو من أسرى الحرب ، لاسيما من الفرس والروم الذين كانت لديهم خبرة في هذه الأعمال ، فأفاد منها قادة الجيش العربي ،وأضافوا اليها الكثير من الأساليب التي جاءتهم نتيجة الخبرة والممارسة المستمرة في الحروب[3].

ومن الأمثلة على استخدام الفعلة في الجيش ، قيام الحجاج بن يوسف بتجنيد عدد من هؤلاء لتخريب القناطر والجسور في الطريق المؤدي الى البصرة لمنع قوات عبد الرحمن بن الأشعث من التقدم [4]، كما استخدم قتيبة بن مسلم الباهلي الفعلة في حصارة لمدينة بيكند فيما وراء النهر وتصور احدى روايات الطبري [5]، خطة قتيبة في الاستفادة من هؤلاء فتشير الى أنه (وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب ،وهو يريد اذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتهدم ...) ولكنه لم يستطع ان ينفذ هذه الخطة الى غايتها ، فقد سقط الحائط وهم يعلقونه ، فقتل اربعين من الفعلة ،ومع ذلك قاتل قتيبة اهل المدينة ،وظفر بها عنوة ويدل مقتل هذا العدد من الفعلة على ضخامة الاعداد التي انيط بها القيام ، بهذا الاجراء العسكري ، واستخدام مروان بن مُحَمَّد ، الذي كان والياً على ارمينية واذربيجان في عهد الخليفة هشام

---

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص424.

(2) اخبار مجموعة ، ص17.

(3) خالد جاسم الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ،دار الشؤون الثقافية بغداد ، ص129.

(4) البلاذري ،انساب ، طبعة الهورت ، مج11، ص24.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ،مج 2، ص ص1187–1188.

بن عبد الملك ، الفعلة من الحدادين في تسهيل عملية اقتحام احدى قلاع أرض السرير في أرمينية ، فقد أمرهم بصنع ألواح من الحديد يمكن أن تدق في حجارة السور ،وجاءوا بها الى خلف القلعة ، فجعلوا يدخلون تلك الاعمدة الحديدية بين حجارة السور واحداً بجانب الآخر ، ثم وضع على كل عمودين لوح من الخشب ،واستخدام المقاتلون هذا السلم المتدرج في الصعود الى القلعة واقتحامها ،وأمر بعد ذلك الفعلة بهدم سور القلعة حتى سوى بالأرض [1].

6-الخدمات (النقل والتموين والطبابة)

ادى توالي انتصارات العرب ،واتساع رقعة الدولة في العصر الأموي الى توفر اعداد كبيرة من الأسرى والرقيق الذين كانوا يوزعون على المقاتلين بصفة غنائم ، للاستفادة منهم في القيام ببعض الاعمال الخدمية ، مثل اعداد الطعام ،وجلب الماء ،ونقل الامتعة ونصب الخيم ،واقامة المعسكرات وحراستها ،وتوفير المؤن والذخيرة والاشراف عليها ونقل الجرحى الى مواقع الاسعاف ،ودفن الشهداء ،وغير ذلك من الاعمال التي تتطلب وجود جماعات جاهزة من الرجال المعدين لهذا الغرض[2].

وقد نجحت القوات العربية في مجال النقل من استخدام القوافل التي تعتمد على الجمال والبغال في توصيل الذخيرة والمعدات الى مناطق القتال .وكانت الجمال هي الوسيلة المفضلة في المناطق الصحراوية ، بينما استخدمت البغال في المناطق الجبلية الباردة ، استخدمت دواب البريد في نقل الامدادات البشرية السريعة في بعض المعارك مثال ذلك ارسال الخليفة عبد الملك بن مروان للمقاتلين من اهل الشام الى الحجاج يوسف على دفعات صغيرة محمولة على دواب البريد في اثناء حركة ابن الأشعث [3].

وفي مجال خدمات التموين ، كانت القوا العربية تتزود بالمؤن من المدن والقرى التي تمر بها ،وكان بعض رؤساء القبائل ، وكبار الأعيان يتبارون في اطعام الجند على نفقتهم الخاصة . وفي حالة ابتعاد القوات عن قواعدها الرئيسة ، كان لزاماً عليها ان تتولى انشاء قواعد متقدمة لتجهيز الجيش والمقاتلين بما يحتاجون من طعام وذخيرة . ويمكن اعتبار مدينة باب البواب في ارمينية مثالاً لمثل هذه القواعد المتقدمة حيث بني فيها مسلمة بن عبد الملك مخازن للطعام والذخيرة ،وقد اشترط مُحَمَّد بن مروان ، الذي اعقبه على ولاية أرمينية ، في معاهدات الصلح مع أهالي المدن المحررة ، أن يتعهدوا بإرسال كميات معلومة من الجنوب والطعام الى مخازن باب الأبواب [4].

كذلك تطورت وسائل العلاج والخدمات الطبية واسعاف الجرحى الذين يصابون في الحروب في العصر الأموي ، فبعد أن كانت النساء يقمن بهذه المهمة في عصر الرسول (ص) ،أصبحت معالجة الجرحى من واجبات جماعات متخصصة لهذا الغرض ، وأن كانت المعلومات المتوفرة عن هذه الجماعات قليلة ،ولكنهم بكل تأكيد أخذوا المبادئ الأولية التي كانت معروفة عن الطب من قبائلهم وعرافهم ، كما تقيدوا بالوصايا التي جاء بها الدين الاسلامي عن التطهير والنظافة وغسل الجروح وكيها[5] ، وهذا يعني أن المسؤولين عن الجيش أهتموا بوجود وسائل للعلاج والاسعاف من خيم

---

(1) ابن اعثم ، الفتوح ، مج 4 ، ص292.

(2) الجنابي ،تنظيمات الجيش ، ص130.

(3) الطبري ، تاريخ ،ج2،106 ، ابن الأثير ، الكامل ، مج4، ص465.

(4) البلاذري ، فتوح البلدان ،ص 210 ، الجنابي ، تنظيمات الجيش ،ص 132.

(5) راجي عباس التكريتي ، الاستاذ الطبي في الجيوش العربية الاسلامية ، بغداد ، دار الحرية للطباعة والنشر ، 1984 ، ص124.

وأدوية وأطباء وممرضين . وتشير احدى الروايات الى استخدامهم للمحامل ، أو النقالات لنقل الجرحى الى مواضع الاسعاف ويذكر أن الحجاج بن يوسف كان أول من أستحدث هذه المحامل وحمل فيها الجرحى[1].

7-القصاص والقراء

وهؤلاء من جملة الصنوف الملحقة بالجيش لآثارة حماس المقاتلين وتذكيرهم بامجادهم ،وحثهم على الصبر والقتال .وكان القراء يقرأون سورة الجهاد ،وهي سورة الانفال ، عملاً بالسنة النبوية الشريفة ،وقد توسعت ظاهرة استخدام القصاص والقراء في العصر الأموي ، فكانوا ينتشرون بين صفوف الجند قبل بدء المعركة ويلقون عليهم الشعر الحماسي ويذكرونهم بفضل القتال والجهاد والاستشهاد في سبيل الله ويحذرونهم في الوقت نفسه من نتائج الهزيمة ،وما يمكن ان يتبعها من السبي ،وهتك الحريم ،وسفك الدماء ،والخذلان وكان الولاة يحرصون على تزويد الجيش بمجموعة من هؤلاء القصاص الذين أصبحوا في أواخر العصر الأموي يتميزون بالعلم والدين والفقه ، من ذلك مثلاً ارسال حنظلة بن صفوان الكلبي والي افريقية ، للقصاص والقراء ليساهموا في حث الناس على الجهاد في معركة الاصنام مع الخوارج سنة 124هـ /741م .وبالفعل استطاع هؤلاء أن يستثيروا حماس المقاتلين حتى أنهم استبطأوا فراغ القراء من كلامهم تحمساً للقتال ،وفأرسل حنظلة الى القراء قائلاً : (تنحوا عن القوم وخلوا بينهم وبين عدوهم على اسم الله وعونه)[2].

8-العيون والجواسيس

وكان هؤلاء فئه ضرورية جداً للتعرف على خطط ونوايا الاعداء واستطاع أخبارهم ،ويعدون من العناصر القتالية الفعالة، لانها تقاتل العدو داخل صفوفه من خلال كشف نواياه وخططه ،وقد استخدم الرسول (ص) والخلفاء الراشدون ، العيون وعرفوا قيمتهم العسكرية ،واستطاعوا وضع الخطط السوقية الصائبة بناء على معلوماتهم وفي العصر الأموي كثرت الحاجة الى هؤلاء العيون والجواسيس لتعدد الجبهات القتال وشمولها [3]، فاستخدمهم موسى بن نصير في جبهات المغرب ، كما استخدمهم قتيبة بن مسلم في جبهات المشرق ، كذلك استفاد منهم الجراح بن عبد الله الحكمي في جبهة ارمينية ،ونظراً لخطورة العيون والجواسيس ، كان لابد من توفر شروط معينة ومواصفات خاصة لمن توكل اليه هذه المهمة .ومن هذه الشروط توفر الصدق ، وكتمان السر ، وأن يكون له المام وخبرة بجميع مناطق البلاد التي يستوجه اليها ، فضلاً عن معرفته بلغة أهلها كذلك يجب ان يكون صبورا على العقوبة والتعذيب اذا ما ظفر به العدو ، حتى لا يستفاد منه في كشف أخبار قومه وخططهم الحربية[4].

9-حرس الخلفاء:

اتخذ الخلفاء الأمويون قوة عسكرية للقيام بمهمات الحراسة الشخصية ،والسير في مواكبهم . ولم يكن هذا التقليد موجوداً في عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ، ويعد معاوية بن أبي سفيان أول من اتخذ له حرساً خاصاً ،وتبعه بعد

---

(1) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبين ، تحقيق ، حسن السندوبي ، القاهرة ، 1947-1948 ، ج 2، ص315 ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الاوائل ،تحقيق ، محمد السيد الوكيل ، طنجة 1966 ، ص254 ؛وينظر ، طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص151.

(2) ابو اسحق ابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق ، المنجي الكعبي ،تونس 1968 ، ص120 ،وينظر الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص ص133-135.

(3) ينظر فاروق عمر فوزي ، ونظام الاستخبارات العسكرية ، بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح ، بغداد –الحرية 1988 ، 104/4.

(4)الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص ص136-138.

ذلك بقية الخلفاء ،وكانت عناصر قوة الحرس تتألف في الغالب من الموالي الذين يدينون بالولاء المطلق للخلفاء ،ومن بعض رجال القبائل العربية المؤيدة والمساندة لهم ، فقد كان صاحب حرس معاوية رجل من الموالي يقال له المختار ، وقيل رجل يدعى مالك ويكنى ابا المخارق مالك مولى حمير [1] ، واستعمل عبد الملك بن مروان على حرسه ابا عياش الكهاني ، وبعده ابا الزعيزعة مولاه [2]، كما كان على حرس مروان بن مُحَمَّد آخر الخلفاء الأمويين ، سقلاب مولاه [3].

البحرية العربية الاسلامية (الأسطول):

بعد نجاح العرب المسلمون في تحرير الشام ومصر تطلعوا الى مجاراة أعدائهم الروم البيزنطينيين في ركوب البحر وبناء الأساطيل وتذكر الروايات التاريخية ان معاوية بن ابي سفيان والي الشام كان قد ألحّ على الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بأن يأذن له بغزو بلاد الروم بحراً لقربها من الشام، إلا ان الخليفة رفض الاستجابة لرغبة معاوية بعد ان وصف له عمرو بن العاص واليه على مصر البحر وأهواله، فكتب الى معاوية يقول: (لا والذي بعث مُحَمَّداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً)[4].

والواقع ان الفضل في إنشاء اول أسطول عربي إسلامي يعود الى الخليفة عثمان بن عفان (رض) الذي إذن لمعاوية في غزو الروم بحراً على ان لا يحمل احداً على ركوب البحر، بل يجعل الأمر اختيارياً، وقد نجح معاوية في تحقيق أهدافه وسعيه لبناء أسطول بحري يضاهي به أساطيل الروم، فقد أقبل العرب المسلمون على ركوب البحر وقد تفوقوا على الروم وغيرهم، وكثر عدد السفن التي كان لها أثرها في اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية وإخضاع العديد من جزر البحر المتوسط وكان لكل سفينة حربية قائد او مقدم له القيادة فيما ما يختص بسفينته في البحر وعليه تقع مسؤولية تدريب الجند وإعدادهم للقتال، وكان قائد الأسطول يدعى بأمير البحر[5].

وتشير المصادر الأوروبية الى ان الاصلاحات البحرية العربية المستخدمة في اوروبا لا تزال تحتفظ بعربيتها وقد شاع على ألسنة البحارة في جنوب أوروبا[6].

الواقع ان معاوية بن ابي سفيان أبدى اهتماماً كبيراً بالبحرية العربية منذ ان تولى الخلافة سنة (41هـ) فحرص على تدعيم الدفاع عن السواحل العربية ضد الغارات التي كانت تشنها الأساطيل البيزنطية، فأولى اهتماماً بتقوية وسائل الدفاع والحراسة الساحلية كالمحارس والمناور او المنائر او المواقيد الممتدة على سواحل مصر والشام، فكان على المرابطين في هذه المواقع إذا ما اكتشفوا عدواً في البحر مقبلاً من بعيد أشعلوا النار على قمم المناور او المواقيد إذا كان الوقت ليلاً او أثاروا فيها الدخان إن كان الوقت نهاراً بالإضافة الى استخدامهم الطبول والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة من غارة العدو، وكذلك قام معاوية بنقل أهالي البلاد الداخلية الى هذه الجهات الساحلية ومنحهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم على ركوب البحر من جهة وتعمير البلاد وزيادة عدد سكانها من جهة اخرى، فقد روي البلاذري ان معاوية

---

(1) الطبري ، المصدر السابق ، مج 2 ،ص205

(2)اليعقوبي ، المصدر السابق ، مج2، ،ص280.

(3) المصدر نفسه ، مج 2، ص ص346-347. .

(4) الطبري، تاريخ الطبري، مج2، ص114.

(5) حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، ص240.

(6)Vonkramer, Orient under the caliphs, p. 356.

نقل قوماً من أهل بلعبك وحمص الى سواحل الأردن وصور وعكا، كما نقل أقواماً من أهل البصرة والكوفة الى أنطاكيا في شمال الشام[1].

(1)العبادي وآخرون، الحضارة الاسلامية، ص212.

المحاضرة الخامس عشر :الحياة الفكرية في العصر الأموي.

1- العلوم الدينية:

تعد العلوم الدينية في مقدمة العلوم التي نالت اهتمام العرب المسلمين وعنايتهم خلال العصور المختلفة، حيث تأسست المدارس الدينية في أقاليم الدولة العربية الاسلامية ببعض الجهود التي بذلها الصحابة الذين شاركوا في حركة الفتح الاسلامي وتفرقوا في الأمصار وكان أساس تلك المدارس القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الفقه، فكان بداية التأليف العلمي عند العرب وثيقة الصلة بهذه المصادر، وكانت المدينة والبصرة الكوفة والفسطاط ودمشق من أقدم وأهم مراكز الحركة العلمية، ويعد علم القراءات أساس علوم التفسير ويتناول أساليب قراءة القرآن نتيجة لانعدام التشكيل والنقاط، ومن أشهر العلماء في هذا الميدان: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني[1] في المدينة، وعبد الله بن كثير مولى عمرو بن علقنة الكناني (ت: 120هـ) في مكة[2]، وعاصم بن ابي النجود (ت: 128هـ) في الكوفة، وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت: 118هـ) في دمشق[3].

ثم يأتي تفسير القرآن، الذي نشأ في عصر النبي (ص) ثم تولى صحابته هذه المهمة من بعده، باعتبارهم الواقفين على أسراره المهتدين بهدي الرسول الكريم ﷺ، ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس، وعن الصحابة أخذ التابعون وعن التابعين أخذ تابعوا التابعين فجمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير[4].

وإلى جانب علم القراءات والتفسير يأتي علم الحديث ويراد به ما يروى عن الرسول (ص) من قول او فعل، وقد أخذ الناس الحديث من آل بيت الرسول الكريم (ص) والصحابة، ثم ظهرت طبقة التابعين الذين أخذوا الحديث عن الصحابة، غير ان الحديث لم يتم تدوينه إلا أواخر القرن الأول الهجري في خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ)، وكانت الأحاديث تحفظ في صدور الرجال او تكتب في صحائف متفرقة وخشية انتشار الاحاديث التي انتحلت لتلبية حاجة البدع والترهات فقد حرص الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز على تدوين الأحاديث الصحاح، وأمر بعض من كان يثق بهم من علماء الحديث بجمعها، فكتبت في دفاتر وارسلت نسخة منها الى أقاليم الدولة العربية الاسلامية[5]، ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بالبصرة (ت: 161هـ)، وهو صاحب كتاب الجامع الكبير، وأبو عبد الرحمن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن المغيرة (ت: 159هـ) صاحب كتاب السُنن، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح (ت: 150هـ)، ومغيرة بن مقسم الظبي (ت: 136هـ) صاحب كتاب الفرائض. وزائدة بن قتابة الثقفي (ت: 61هـ) ومن مؤلفاته كتاب السُنن وكتاب القراءات وكتاب التفسير، ومكحول الشامي (ت:116هـ) صاحب كتاب السُنن في الفقه وكتاب المسائل في الفقه، ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت: 159هـ)، وله من الكتب كتاب السُنن في الفقه وكتاب مسائل في الفقه[6].

2- علم اللغة:

---

(1)ابن النديم، الفهرست، ص28.

(2)المصدر نفسه، ص28.

(3)صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دمشق، ص331.

(4) المصدر نفسه، ص332-333.

(5)سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص175.

(6) ابن النديم، الفهرست، ص225-227.

من الجدير بالذكر ان الإمام علي عليه السلام كان صاحب السبق في استخدام او وضع النقاط على الحروف، وهو الذي أشار على أبو الأسود الدؤلي بوضع النقاط على الحروف.

اضطر العرب بعد اختلاطهم بالروم والفرس وغيرهم من الشعوب التي دخلت الاسلام الى وضع قواعد اللغة العربية للمحافظة على العربية من اللحن والخطا، فظهرت مدرسة النحويين في البصرة ويرأسها أبو الأسود الدؤلي الذي قيل انه سمع قارئٌ يقرأ: إن الله بريءٌ من المشركين ورسوله بالكسر، فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل الى هذا[1] فاتصل بزياد بن ابيه وطلب منه ان يعين له كاتباً يفعل ما يقول له، فأتى بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، فأتاه بآخر لعله المبرد، فقال له أبو الأسود: "إذا رأيتني د فتحت فمي بالحرف فنقّط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممتُ فمي فنقّط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[2]"، وقد أخذ عدد من النُحاة عن أبي الأسود منهم يحي بن يعمر، وعنبسة بن معدان، وميمون الأقرن وعيسى بن عمر الثقفي الذي كان من مشاهير رجال النحو بالبصرة وعنه أخذ الخليل بن أحمد، وأصدر كتاب المكمل، وممن أخذ عن الدؤلي يونس بن حبيب (ت:183هـ) ومما تجدر الاشارة اليه ظهور ألفاظ ومصطلحات جديدة لم يكن للعرب سابق عهد بها استحدثته الشريعة الاسلامية والنظم السياسية والادارية التي شهدتها الدولة العربية، وقد ازدادت هذه المصطلحات بما نقله المسلمون عن الشعوب الاخرى في مختلف ميادين العلوم كالطب والرياضيات والفلسفة والكيمياء، وأدى ذلك الى البحث في مفردات اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقاتها، فظهرت المعاجم العربية. حيث يعد الخليل بن أحمد الأزدي (ت: 170هـ) أول من وفق في جمع أول معجم في اللغة العربية وهو أول من استخرج العَروض وحصن به أشعار العرب، وصنف الخليل كتابه المشهور المسمى العين، كما صنف كتباً أُخر منها كتاب النغم وكتاب العَروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب فائت العين وكتاب الإيقاع[3].

3- الشعر:

كان الخليل بن أحمد قد وضع قاموساً للغة وأنشأ علم العروض لوزن الشعر فتطور الشعر في العصر الأموي واتخذ اتجاهات جديدة لم تكن معروفة عن العرب قبل الاسلام، فظهر شعر الغزل، ومن أشهر شعراء هذا اللون عمر بن أبي ربيعة في الحجاز، وجميل عذره، كما ظهر الشعر السياسي الذي غدا وسيلة للدعاية فوجد شعراء أبلوا بلاءً حسناً منهم: عبيد الله بن قيس الرقيات، والكميت بن زيد الأسدي[4]. كما كان هناك شعراء موالين للخلافة الأموية مثل الفرزدق شاعر عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ويزيد، وجرير شاعر الحّجاج بن يوسف الثقفي والأخطل شاعر معاوية وخلفائه، وقد سجل هؤلاء الشعراء المفاخرات القبلية[5].

4- علم الكلام:

شهد العصر الأموي عدداً من الحركات الفلسفية الدينية كالجبرية التي تذهب الى القول بأن إرداة الله تعالى مطلقة وقدرته تضع حداً لإرادة الانسان والانسان مجبر لا اختيار له ولا قدرة. وان الله سبحانه يخلق في الانسان الاعمال والافعال ولا قدرة للانسان على تغييرها، واول من قال بالجبرية: جهم بن صفوان الذي سمي أتباعه بالجهمية، وقد نفت

---

(1) ابن النديم، الفهرست، ص40.

(2)نفسه، ص40..

(3)نفسه ، ص43.

(4)مصطفى الشكعة، الآداب في موكب الحضارة، القاهرة، 1968، ص85.

(5)المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص231؛ سالم، تاريخ الدولة العربية، ص701.

الجبرية صفات الله تعالى لأن صفات الله بشرية والبشر خلق، والى جانب الجبرية كان هناك فرقة القدرية والمعتزلة، وقد جاءت القدرية كرد فعل لحركة الجبرية، ومذهبهم هو ان الانسان يملك القدرة والارادة عن تصرفاته، ودعّمت القدرية آراها بآيات من القرآن الكريم، وكانت القدرية تعارض بني أمية لأنها تعتبر ان للإنسان حرية الاختيار، أما المعتزلة فهي أعظم مدارس الفكر والكلام في الاسلام، وظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة، ويرجع أصل هذه التسمية الى واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة استاذه الحسن البصري بمسجد البصرة لاختلافه معه في الرأي[1].

تتلخص آراء المعتزلة في القول بعدم تكفير مرتكب الكبائر واعتباره في منزلة بين المنزلتين، أي بين المؤمن والكافر[2]، وقالوا بالقدرة اي ان الله تعالى لا يخلق افعال الناس وإنما يخلقون افعالهم، وانهم من أجل ذلك يثابون او يعاقبون على عكس ما قال به خصومهم من الفقهاء الذين تغالوا في سلب الانسان قدرته وحريته في التصرف، كما ذهب المعتزلة الى القول بسلطان العقل وقدرته على معرفة القبيح من الحسن، وقالوا بالتوحيد فنفوا ان تكون لله تعالى صفات أزلية من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر غير ذاته، بل ان الله عالم وقادر، وحي وسميع وبصير بذاته، وقد استند المعتزلة في آرائهم هذه على قوله عز وجل: {وليس كمثله شيء} وقوله تعالى: {سبحان رب العزة عما يصفون}، وقد اضطهد خلفاء بني أمية المعتزلة، ولكن بعض الخلفاء ذهبوا مذهبهم مثل يزيد بن الوليد، ومروان بن مُحَمَّد الذي لُقب بالجعدي لأخذه القول بالقدر عن الجعد بن درهم المعتزلي[3].

5- علم التاريخ:

كانت المدينة مركز الدراسات التاريخية التي قامت على دراسة سيرة الرسول (ص) وأخبار الغزوات والهجرة الاولى الى الحبشة ثم الى يثرب، وقد اعتمد المؤرخون الأوائل على الروايات الشفوية، فكان كل جيل يستمد أخباره من الجيل السابق، وكان الخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحُفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالأسانيد التي اتبعها المحدثون في روايتهم للحديث فكان الخبر التاريخي يتألف من عنصرين رواة الخبر على التتابع وهو ما يعرف بالسند او الإسناد، ثم نص الخبر ويسمى المتن[4]. واقدم المؤلفات التاريخية التي جمعت بين الحديث والتاريخ كتب المغازي والسيرة، وقدر ازدهر هذا النوع من التأليف في المدينة باعتبارها دار الرسول (ص) ودار السُنة التي عاش فيها الصحابة وسمعوا الحديث ورووه الى التابعين، وتوزع مؤرخوا السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة على ثلاث فئات: فبرز في الأولى ابان بن عثمان بن عفان (ت: 105هـ) وعروة بن الزبير (ت:92هـ). ومن رجال الفئة الثانية عبد الله بن أبي بشر بن حزم الانصاري (ت: 135هـ) وعاصم بن عمرو بن قتادة الانصاري (ت: 120هـ) الذي عهد اليه الخليفة عمر بن عبد العزيز الجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن مغازي الرسول (ص) ومناقب الصحابة، وعليه اعتمد ابن اسحاق والواقدي[5]، كذلك يأتي ابن اشهاب الزهري (ت: 124هـ) ضمن هذه الفئة ويعد من أعظم مؤرخي المغازي والسير ويرجع الفضل اليه في تأسيس المدرسة التاريخية في المدينة[6]. أما الفئة الثالثة فمن رجالها مُحَمَّد بن اسحاق (ت: 152هـ) اشهر تلاميذه الزهري وتنسب

(1) نفسه، ص222.

(2) سالم، الدولة العربية الاسلامية، ص700.

(3))نفسه ، ص700.

(4)احمد امين، ضحى الاسلام، ج2، ص319؛ الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، 1960، ص20.

(5) احمد امين، ضحى الاسلام ، ج2، ص319.

(6)الدوري، نشأة علم التاريخ ، ص101.

اليه اقدم كتب السيرة التي وصلتنا، مُحَمَّد بن عمر الواقدي مولى بني هاشم (ت: 207هـ) الذي فاق ابن اسحاق دقته في المادة وفي الأسلوب مع زيادة في العناية بالتاريخ وتحقيق تواريخ الاحداث وتوضيح الإطار الجغرافي المتصل بالواقع[1].

وقد ظهرت خلال العصر الاموي ايضاً مدرسة اخرى للتاريخ في البصرة والكوفة تميزت بتناول الموضوعات الخاصة بالمعارك والفتوح الاسلامية، ودراسة الأنساب، لم تخلوا هذه المدرسة من كتاب السير والمغازي منهم معمر بن راشد اليماني البصري (ت: 150هـ)، ومن أشهر كُتّاب التاريخ والأخبار من اصحاب هذه المدرسة، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت: 157هـ) الذي اهتم بكتابة الاحداث التاريخية العامة في الاسلام، كالردة والفتوح والاحداث البارزة في خلافة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) واستشهاد الامام الحسين بن علي (عليه السلام)، وأخبار الأزارقة والخوارج، بالإضافة الى اهتمامه بالأنساب، ومنهم سيف بن عمر الكوفي الأسدي (ت: 98هـ) وعوانة بن الحكم الكوفي[2] ومما تجدر الاشارة اليه ان الامويين قد أبدوا اهتماماً بموضوع الأنساب، ووضعت سجلات لهذا الغرض، واشتد هذا الاهتمام مع بداية ظهور الشعوبية، حيث اخذ الشعوبيون من الموالين يبحثون عن مثالب العرب في الوقت الذي كانت فيه القبائل العربية تبحث عن مفاخرها، ويعد مُحَمَّد بن سائب الكلبي (ت: 146هـ) من اشهر نسّابي العراق وهو من علماء الكوفة الذين اهتموا بدراسة الأنساب[3].

كما شهد القرن الاول والثاني الهجري عناية كبيرة بدراسة تاريخ العرب قبل الاسلام حيث تم تدوينه خلال العصر الاموي، ومن ابرز المؤرخين الذين اشتهروا في هذا الميدان نذكر: عبيد بن شريه الجرهمي الذي ألفّ لمعاوية بن ابي سفيان كتاب الملوك وأخبار الماضين وتضمّن[4] الكثير من أخبار العرب في عصر ما قبل الاسلام، وقد أدرك عبيد خلافة عب الملك بن مروان ويأتي بعد عبيد الجرهمي مؤرخ آخر هو: وهب بن منبه (ت: 110هـ) وكان يمنياً من أهل ذمار وقيل انه من أصل فارسي، كما قيل انه كان يهودياً وأسلم، ومن الكتب التي تنسب اليه: كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم، ويغلب على اخباره طابع القصص الشعبي الخرافي كما هو الحال عند عبيد بن شريه[5].

6- علوم الكيمياء والطب:

برز الاهتمام بهذه العلوم خلال وقت مبكر من الدولة الأموية، حيث اشار المؤرخون الى ان أول من اهتم بالكيمياء خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي قيل انه أخذ هذا العلم على يد راهب من أهل الاسكندرية يدعى مريانوس الراهب، وكان خالد قد نزل بمصر في خلافة مروان بن الحكم، فقد ذكر الكندي ان خالد هذا رافق مروان في حملته سنة (65هـ)[6]، أما في مجال الطب فقد اشتهر عدد من النصارى خلال العصر الأموي منهم الطبيب المعروف بابن أثال وكان طبيباً لمعاوية بن ابي سفيان وعُرف بسعة معرفته بالأدوية المنفردة والمركبة، ثم طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي تيادوق، وماسر جويه اليهودي الفارسي طبيب مروان بن الحكم الذي ينسب اليه ترجمة كتاب في الطب باللغة السريانية

(1)الدوري،نشأة علم التاريخ ، ص30-31؛ سالم، الدولة العربية الاسلامية، ص696-697.

(2)ابن النديم، الفهرست، ص91.

(3)سالم، تاريخ الدولة العربية، ص698.

(4)ابن النديم، ص89.

(5) هاملتون جب، دراسة في حضارة الاسلام، بيروت، 1964، ص144.

(6) الكندي، ولاة مصر، ص65.

الى العربية وهو كتاب أهرن بن أعلين القسي[1]، ثم ابو الحجاج النصراني، طبيب معاوية بن ابي سفيان، ثم ابن أبجر السكندري طبيب عمر بن عبد العزيز[2].

المظاهر العمرانية

أولاً: العمائر الدينية:

أولى الامويون اهتماماً كبيراً بالمساجد الأولى التي أسست خلال عصر الخلفاء الراشدب، ومن المساجد التي تم تجديد بناءها تجديداً شاملاً جامع الرسول مُحَمَّد (ﷺ) في المدينة وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) الذي استعان ببعض الصُناع من أهل مصر والشام (من الروم والأقباط)، وجعل الأساس بالحجارة وكذلك الجدران. أما الأعمدة، فقد حُشيت الحجارة بعمد الحديد والرصاص مدت فوقها الأسقف الخشبية مباشرةً[3].

ثم جامع البصرة الذي تم إنشاءه بالطين واللبن في خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة (44هـ) أُعيد بناؤه من الآجر والجص وتم تسقيفه بخشب الساج، واتخذت له عمد من الحجر وتم ذلك على يدي زياد بن أبيه الذي ذكر انه بنى منارة الجامع بالحجارة وأقام المقصورة[4]، كذلك تناولت حركة التجديد هذه جامع الكوفة الذي بُني سنة (17هـ) حيث تم تجديد بناؤه سنة (51هـ) على يد زياد بن أبيه ايضاً، الذي زاد في مساحته[5]، وحين تولى الوليد الخلافة أمر عامله على صنعاء بتجديد جامعها ويزيد في مساحته ويحكم بناءه، فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه من جهة القبلة الأولى[6].

أما جامع عمرو بن العاص في الفسطاط فقد زيد في بناءه خلال العصر الأموي أكثر من مرة واتخذت له أربعة مآذن خلال ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري سنة (53هـ) وضعت في أركان الجامع، وحين تولى قرة بن شريك مصر أعاد بناءه واستحدث فيه المحراب المجوف لأول مرة سنة (93هـ)[7].

المساجد الجامعة التي أُنشأت في العصر الأموي

الجامع الأموي بدمشق:

حرص الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك على ان يقيم مسجداً جامعاً للمسلمين لا يقل عظمة عن الكنائس البيزنطية الكبرى، فقد رأى الشام بلداً يكثر فيه النصارى لهم فيه بيعاً قد بولغ في زخارفها وانتشر ذكرها مثل كنيسة القيامة وبيعتا اللد والرها، فبادر بمفاوضة أصحاب الكنيسة يوحنا المعمدان داخل معبد الأله جوبتير الدمشقي والتي كان المسلمون يصلون في جوارها، وطلب اليهم التنازل عنها وعرض عليهم مالاً كثيراً فلما رفضوا هذا العرض أقدم الوليد على انتزاعه قسراً، وأمر بهدم الكنيسة والجامع القديم المقام بجوارها وبناء الجامع الذي أُنجز في سنة (87هـ)[8].

---

(1) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، 1965، ص171-174.

(2)ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص111؛ ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص24.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص6؛ السمهودي، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، ج1، ص368.

(4)البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص6؛ السمهودي، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ، ج2، ص426.

(5المصدر نفسه، ج2، ص340؛ أحمد فكري، المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، 1961، ص201.

(8)مُحَمَّد بن احمد الحجري، مساجد صنعاء، ص24، صنعاء، 1361هـ، القاهرة، 1961، ص201.

(1) لكندي، ولاة مصر ، ص62.

(8) البلاذري، ج1، ص49 (ذكر الدكتور احمد فكري ان قصة مشاطرة المسلمين والنصارى كنيسة يوحنا المعمدان هي مجرد أسطورة، كما أكد ان الجامع الأموي لم يقم على نظام الكنائس، أنظر ،المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها، ص274).

قبة الصخرة:

تعد قبة الصخرة بيت المقدس من أروع العمائر الدينية التي أُنشات في العصر الأموي، ويرجع الفضل في بنائها الى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (72هـ)، وهي بناء حجري مثمن الشكل تتوسطها الصخرة التي روي ان رسول الله صلة الله عليه وآله وسلم أُسري به عندها ليلة الإسراء فسميت القبة بذلك بقبة الصخرة. وقد اتخذت شكل بناء مثمن أُقيمت فوقه قبة عالية تغطيها الفسيفساء المزينة باللون الأخضر والذهبي، وحملت القبة على دائرة من العقود نصف الدائرية تقوم على أعمدة قديمة جُلبت من عمائر قديمة، ارتبطت فيما بينها عند رؤوس التيجان بأوتار خشبية ضخمة، ويفصل بين الصف الدائري للعقود التي تقوم عليها القبة والمثمن الخارجي للبناء كله مثمن من العقود التي تقوم على الأعمدة والأكتاف، وقد ظل تخطيط قبة الصخرة فريداً في العمارة العربية الاسلامية في عصورها المختلفة حيث ان تصميمها يحقق الهدف الذي أُقيمت من أجله وهو تحويط الصخرة المقدسة بالحرم الشريف[1].

المسجد الأقصى:

كان المسجد الجامع الأقصى قد أُنشأ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، في موضعه مصلى من الخشب سنة (16هـ)، ثم بناه الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (65هـ) حسب رواية المقدسي[2]، أما ابن الأثير فيذكر ان بناءه قد تم في عهد الوليد بن عبد الملك سنة (87هـ)[3]. ويتألف بيت الصلاة في هذا الجامع من عدة بلاطات طويلة على جدران القبلة، وقد تهدم هذا الجامع وأُعيد بناؤه في عهد الخليفة العباسي مُحَمَّد المهدي، وقد أُقيمت مساجد جامعة في أنحاء مختلفة من الدولة العربية الاسلامية في العصر الأموي نذكر منها: المسجد الجامع في القيروان وجامع الزيتونة بتونس، والمسجد الجامع بواسط ومسجد قصر الحير الشرقي، ومسجد بصري، والمسجد الجامع بحران، والمسجد الجامع بالاسكندرية المعروف بجامع الألف عمود وغيرها[4].

ثانياً: المنشآت المدنية:

أظهرت الآثار الأموية من القصور التي أنشأها الخلفاء الأمويين تجاوزهم استخدام الزخرفة الى استعمال التصوير، وقد تجلى في بناء هذه القصور ميل الأمويين الأصيل الى الفن وانجذابهم نحو البادية حيث الاستمتاع بهدوء الصحراء والاستمتاع فيها بالراحة، لذا أقام خلفاءهم معظم قصورهم على حافة البادية[5].

ومن القصور التي تُنسب الى هشام بن عبد الملك قصر خربة المفجر الذي يقع على بعد ثلاثة أميال شمال أريحا قريباً من البحر الميت، وكان قصراً شتوياً تزدان جدرانه برسوم آدمية، ويُلاحظ اسم هشام مسجلاً على أحد جدران القصر، كما يُنسب الى الخليفة نفسه قصر الحيرة الغربي الواقع على بعد أربعين ميلاً جنوب غرب تدمر، وقد عُثر في أطلاله على نقود عربية وتماثيل من النوع التدمري الروماني[6]، كما ان هناك بقايا قصر يسمى الحير الشرقي ويقع على بعد

(1) سالم، بيوت الله مساجد ومعاهد، ج2، القاهرة، 1960 (كتاب الشعب رقم 78)

(2) المقدسي أحسن النقاسيم، ص54 و ص169.

(3)ابن الأثير، الكامل، ج5، ص9؛ سالم، تاريخ الدولة العربية، ص711.

(4) سالم، تاريخ الدولة العربية، ص712.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج5، ص262.

(6)الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج8، ص180.

أربعين ميلاً شمال شرقي تدمر يُنسب بناؤه الى هشام بن عبد الملك ايضاً[1]، كذلك نُسب الى الخليفة الوليد بن عبد الملك القصر المعروف بقصير عمره الذي يقع على بعد خمسين ميلاً من عمّان، وهو بناء صغير نسبياً يقع على حمام وقاعة للاستقبال، تنفذ على الجانب الجنوبي منها غرفتان من الجانبين أشبه بالمخدعين، وقد ازدانت أرض الغرف والقاعة بالفسيفساء التي تمثل زخارف نباتية، أما الغرف الأخرى فكانت مكسوة بالرخام، وتزدان جدران الغرف بصور ملونة من النوع المعروف بالفريسكو، وكذلك ازدان الحمام بصور ملونة آدمية وحيوانية[2].

(1) سالم، تاريخ الدولة العربية، ص705.

(2) نفسه ، ص706.

ان الأحداث والوقائع التاريخية إنما يكمن سرها وإعجازهاليس في إطار الدرس الأكاديمي انما في ما مدى تفاعل العقول معها، وكيف السبيل في قراءتها واستنطاقها، وإلا فكونها مسلمة قد ثبتت بأقلام المؤرخين والمحققين فهذا لا يعدو فائدتها المباشرة في تقرير الحقائق ورسم الجذور والامتدادات و هاهنا ترى تلك الممارسات الساذجة النابية القلقة التي تقف عند حدود استهلاك الحقيقة التاريخية وتعمل على تداولها واستمرارها ولوكها ضمن درس تاريخي باهت يفتقد الأساليب الناجعة والمناهج الفعالة– التي تضفي عليها نوعا من الحيوية وشيئا من المرونة– فهي بذلك – أي الحقيقة التاريخية– رثة بالية قد أشرفت على أفولها أو على الأقل لا تراوح مكانها، وفي خضم هذا المعطى الذي آسفنا سبيله ونهجه، كنا قد أولينا محاضراتنا هذه، شيئا من الجدية والتناغم النقدي، آملين من الله عز وجل أن يجعله قيمة مضافة في رصيد الطلاب وأن يعينهم به على مسيرة الطلب والاجتهاد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القرآن الكريم

المصادر

1-ابن الأثير، الكامل في التاريخ،دار الكتب العلمية ، بيروت 1987 ، ج 01

2-الباقلاني مُحَمَّد بن الطيب أبو بكر ، التمهيد،تحقيق رتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية بيروت، 1957

3-الترمذي بو عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ) ، الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف ، ، ط1، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، 1996

4-بن حزم الأندلسي أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد ، جوامع السيرة النبوية ،تح عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية ، 1424 – 2003

5-ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن مُحَمَّد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين ، الإصابة في تمييز الصحابة ، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - على مُحَمَّد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1995، مج 2.

6-حمد الخضري، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، تحقيق وتعليق يوسف بديوي وسمير عطار

7-أبو جعفر، مُحَمَّد بن جرير الطبري 224 – 310 هـ)، تاريخ الرسل والملوك ،تح مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم [ت 1980 م]، دار المعارف بمصر،، ط2 ،1967

8-بن الجوزي عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992 ، ج 02.

9-خليفة بن خياط أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ) ، التأريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم , مؤسسة الرسالة - دمشق , بيروت ، ط2 ، 1397.

مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت 151هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)،تح سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1978

10-الذهبي - شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج4

11-الذهبي (شمس الدين ابي عبد الله مُحَمَّد بن احمد بن عثمان)، دول الإسلام، تحقيق حسن اسماعيل مرة و محمود الأرناؤوط ،ط1، دار صادر ، بيروت ، 1999

12-ابن العربي(القاضي مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت 543هـ))، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، وعلق عليه محمود مهدي الاستانبولي، ار الجيل بيروت – لبنان، لطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م

13-عماد الدين ابن كثير، البداية و النهاية ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر، مصر 1997 ،ج 03

14-ابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ، ط1 ، .1986

15-ابن أبي العز الحنفي (ت 792 هـ) ، شرح العقيدة الطحاوية، مج 2، دار السلام بالقاهرة ،2006

16-ابن سعد مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، الطبقات الكبرى،دراسة وتحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،1990

17-ابن هشام أبو مُحَمَّد عبد الملك ، السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط3، 1375هـ – 1955 م.

18-المالقي ابو عبد الله مُحَمَّد بن يحيى ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ،تح تحقيق: أحمد فريد المزيدي واحمد حجازي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

19-الماوردي(أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ) ، الأحكام السلطانية، دار الحديث – القاهرة، دت

20-ابوعبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ، فضائل الصحابة ، ط3 ، دار الكتب العربية ؛ مج .1

21-ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المحقق: مُحَمَّد علي البجاوي، دار الجيل ، 1412 – .1992

22-أبو عبد الله، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي ، صحيح البخاري ، الطبعة الأولى 1422 هـ ، دار طوق النجاة ،بيروت.

23-ابن عساكر بو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر 499 هـ - 571 هـ) ، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، ترجمة عثمان بن عفان ﷺ، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995

24-أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت 360هـ) ، المعجم الكبير ،محقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ،دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط2، 1994،مج 1

المراجع

1-أكرم ضياء العمري ، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين ،مكتبة العبيكات، د ت.

2-ابراهيم حركات ، السياسة و المجتمع في العصر النبوي ، منشورات دار الافاق الجديدة ، المغرب.

3-ألفريد لويس دي بريمار، تأسيس الاسلام بين الكتابة و التاريخ، دار الساقي، دت

4-أحمد أمين سليم، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتب كريدية اخوان ، بيروت د ت

5-حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في صدر الإسلام ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت 1992

6-حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، دار الجيل ،بيروت 1996 ، ج 01

. 7-جورجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ،مطبعة الهلال ، مصر 1922

8-السيد عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010 م.

9-عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية دت، ص ص11-.12

10-سيد حنفي حسنين ، حسان بن ثابت شاعر الرسول صلي الله عليه و سلم ، مؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة, القاهرة الطبعة، 1963م

11-شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي، مكتبة الخانجي.

12-البغدادي، إسماعيل باشا؛ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبعة وكالة المعارف بإستانبول 1955م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

13-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد; الطبعة: الثانية .1993

14-مصطفى الشكعة، كتاب مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، اوت .2004

15-مُحَمَّد مبروك نافع ، تاريخ العرب عصر ماقبل الاسلام ،مطبعة السعادة ، مصر .1953

16-مُحَمَّد عبد القادر أبو فارس. ،غزوة بدر الكبرى ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، د ت

17-مُحَمَّد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية،مطبعة الاستقامة، مصر .1954

18-مُحَمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت 1367هـ) ، مناهل العرفان في علوم القرآن ،ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دت.

19-مُحَمَّد أحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين،

20-محمود شاكر، موسوعة التاريخ الإسلامي" السيرة"،المكتب الإسلامي، بيروت .1991

21-محّمد سَعيد رَمضان البوطي، كتاب فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر – دمشق ، ط25، 1426 هـ

22-محمود عرفة محمود ، العرب قبل الاسلام ،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ،مصر 1995

23-مناع بن خليل القطان (ت 1420هـ) ، مباحث في علم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة 3 ، 2000.

24-نبيلة حسن مُحَمَّد، في المكتبة التاريخية ومنهج البحث، القاهرة، دار المعرفة الجامعية 2005 م.

25نور الهدى لوشن، انتشار الاسلام من خلال النقوش الكتابية، جريدة الشرق الاوسط، ع9553، يناير 2005

26- مُحَمَّد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار النهضة العربية، بيروت، ت ت.

27- مُحَمَّد موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، دار الامة، جدة، ط1، 2016

28- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية .1993

29-عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ الدولة العربية الاسلامية ، الدار الثقافية للنشر،القاهرة .2006

30-علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام،مكتبة النهضة الإسلامية،القاهرة د ت.

31-عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، دار التراث القاهرة ، دت.

32-عبد الرزاق بن همام الصنعاني أبو بكر ، المصنف، دار التأصيل ، 2015

33-هاري. و. هازارد وآخرين، أطلس التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1955م.

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
مقدمة	01
المحاضرة الاولى: مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام.	03
المحاضرة الثانية : تاريخ العرب قبل الإسلام:	12
المحاضرة الثالثة :حياة النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعثة.	17
المحاضرة الرابعة: السيرة النبوية من البعثة حتى الهجرة إلى الحبشة:	19
المحاضرة الخامسة: في السيرة النبوية بعد هجرة الحبشة إلى الهجرة للمدينة	21
المحاضرة السادسة :الغزوات و السرايا:	25
المحاضرة السابعة :أحداث التي وقعت بعد فتح مكة.	35
المحاضرة الثامنة : عصر الخلافة الراشدة(أبوبكر بن الصديق ﷺ)	42
المحاضرة التاسعة الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب ﷺ	54
المحاضرة العاشرة الخليفة الثالث: عثمان بن عفان ﷺ	66
المحاضرة الحادية عشر الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ	74
المحاضرة الثاني عشر (العصر الأموي41 – 132 هـ)(التطور السياسي)	86
المحاضرة الثالث: عشر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الاموية .	103
المحاضرة الرابعة عشر النظام المالي و الاداريو الجيش في الدولة الاموية .	121
المحاضرة الخامس عشر :الحياة الفكرية و المظاهر العمرانية في العصر الأموي.	141
الخاتمة	149
المصادر و المراجع	150
الفهرس العام	154